

عَلَى نَبِيِّ طَالِ الْبَابِ
وَمَلِكِ الْعِيسَى وَفِينَا

أو

الْبُرْهَانُ الْإِبْلَاقِيُّ فِي تَحْقِيقِ نِسَابِ الصَّوْتِ إِلَى عَلِيٍّ

وَبَلِيهِ كِتَابُ

فَتْحُ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ ، بِصَحَّةِ حَدِيثِ بَابِ مَدِينَةِ الْعِلْمِ عَلَى

تَأْلِيفِ

الْهَيْئَةِ الْمَحْدَثَةِ الْحِجَّةِ

أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ الصَّبَّاحِ دَيُّقِ الْغَمَارِيِّ الْحَسَنِيِّ

الطبعة الأولى

١٩٦٩ - ١٣٨٩ هـ



عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَوْ

الْبُرْهَانُ الْإِسْلَامِيُّ فِي تَحْقِيقِ نِسَابِ الصُّوْفِ إِلَى عَلِيٍّ
وَبَلِيهِ كِتَابُ

فَتْحُ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ ، بِصَحَّةِ حَدِيثِ بَابِ مَدِينَةِ الْعِلْمِ عَلَى

تَأْلِيفِ

الْهَيْئَةِ الْمَحْدَثَةِ الْحَجَّةِ

أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحِيِّ الْغَمَارِيِّ الْحَسَنِيِّ

الطبعة الأولى

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

القاهرة

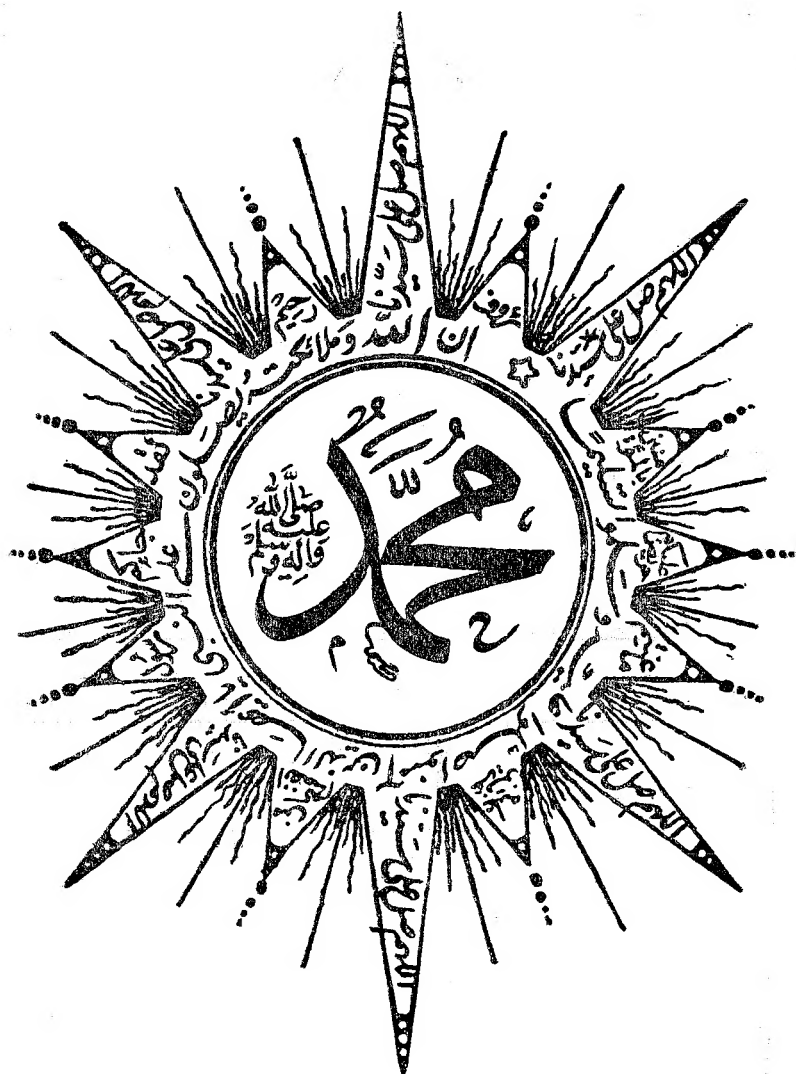
تحقیق

الحقیر بن سید

الغفہ شبندی











بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
عَلَى سَيِّدِ رَسُولِ اللَّهِ الْأُمِّينِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْهَادِيَةِ الْكَرِيمِ
وآلِهِ وَسَلَامٌ تَلِيماً كَثِيراً .

يُشَرِّفُنِي أَنْ أَقْدِمَ لِلأَوَّلِ مَرَّةً - أَمَانَةً لَشَيْخِي وَعِرْفَانَا
بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ وَإِذَا لَرَّحَالَةَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى بَعْضِ خِزَانَتِهَا
الْعِلْمِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ - هَذَا الْمُؤَلَّفُ النَّفِيسُ الْعَزِيزُ لِلْكِتَابِ -
عَلَى بَنِي طَالِبِ إِمَامِ الْعَارِفِينَ - سَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَرِضَاهُ - وَالْمَعْنُونُ بِكِتَابِ الْبَرْهَانِ الْجَلِيِّ عَلَى صَحَّةِ
اِتِّسَابِ الصُّوفِيَّةِ إِلَى عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ - وَمَعَهُ كِتَابُ -
فَتْحُ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ فِي صَحَّةِ حَدِيثِ بَابِ مَدِينَةِ الْعَالَمِ عَلَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ - لَشَيْخِي الْعَارِفِ بِاللَّهِ - الْعَالِمِ الْمُحَدِّثِ وَالْقُطْبِ
الرُّومَانِيِّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي يَسُرُّ نُورَ النُّبُوَّةِ وَالسَّنَةِ بَيْنَ جَنْبَيْهِ
- الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّدِيقِ الْحَسَنِ الْأَدْرِسِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - شَيْخِي الَّذِي تَشَرَّفْتُ بِلِقَائِهِ وَصَحْبَتِهِ
وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ - مَا وَفَّقَنِي رَبِّي - وَالَّذِي لَا يَزَالُ عِيَا بِالنِّسْبَةِ
لِي - وَمَا زِلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ

رسول الله وآله متشرفا بصحبة - ملتصقا لمدته وامداده
الموصول بسيد الأنام صلوات الله تعالى وتسليمه عليه
وعلى آله وهو عين الوجود وفضل صحابتي صلى الله عليه
وعلى آله وسلم تسليما تاما مباركا فيه .

أحمد الصديق بن محمد يا أطيبا نورا ودعنا الحسنة
حجة العلماء وأجهم مجتهده وبيادته الأثر المنيمة
والفضل فيما أرى للحنان . أضواء نور الهدى كان لبرته

ذاك الكتاب نفحة من علمه ورشفة من جمره الزاخر في العلوم
والحديث والسيرة والسنة المنيرة والتاريخ وبيان لفظه
الفريد رضي الله تعالى عنه وسنانه الطاهرة والبالغة
وقدرته على اجزاء العلوم والمعارف الى اصول غرائبها
وينايعرها - فان كتاب الصوفية الى سيدنا الامام علي
كرم الله وجهه - أمر يعرّفه أولو البصائر من السادة
الصوفية الفارقيين في مجرمعارفه - وتحقيقه هنا
بجلاء وصفاء ولي الله الوارث الحمدي أحمد به الصريح
رضوان الله تعالى عليه - ليستيقن الذين أوتوا العلم
من قبل ويزداد الذين آمنوا إيماننا ويسعد المؤمنون به -
وليكون حجة على زائغي القلوب والأبصار أو ضعا فرها

ممن لم يتذوقوا بعد من هذا المنهل الصافي ولم يتمكنوا من
معرفة التاريخ الصحيح - أو أولئك الذين ينكرون
بلا علم أو راية .

يا أسفى على نفس ما تزوّقه بكأس الهوى مرارة قريبتى
والله المستعان على كشف الغشاوة عن الأبصار لتستفیر
القلوب بمرآة البصائر والازدواج ، والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الفاتح لما أغلق .
وان كان التصرف أصلا هو العمل بالعالم على وجه
الاعتماد - كما قال شيخنا أحمد الصديق - والأفضل
بالعزائم دون الرخص فذلك - عمل أهل اليقين -
وهم أعلى مراتب الخلق العابرين - وأقربهم الى الله تعالى
إيمانا وقليلا وتسبيحا وتزكيا - فقول سيدنا على عليه
السلام - لو كشف الغطاء ما ازدوجنا يقينا - صلوات
ضخم على قدر ما تجلّى في مرآته عليه السلام من علوم الدنيا
والآخرة ومعارفها ومقائرها وما لكبرا وعلوم منزلة اليقين
عند الله عز وجل - وما أودع في علمه وما اختصه الله
تعالى من أسرار ومعارف رأى بها عالم يره بشر مثله
حتى كان يقول عليه السلام - صلواتي ..

وفي حياة سيدنا الامام على كرم الله وجهه الموضوع
الكافي على أنه عليه السلام قدوة أمتنا بعد رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وقرأتنا إليه -
عليه الصلاة والسلام وعلى آله - وَرَّثَ وَأَوْدَى علوم
الاستبصار ومجتهم ويقين العارف بالله والعالم بالحق
وبنوره - وجاهد جهاد أولى العزم من أصحاب الرسالات
- وزهد زهد الرافضين عن كل شيء إلا وجه الله
تعالى - أبرار - وكانت حياته الدنيوية على هامش
معارفه الألربية وكانت دنياه - على عظم رسالته التي
حملها وأطلع بها منذ شبابه عليه السلام - وانجازاته
وأعبائه فترة خلافته عليه السلام - كانت الدنيا
بالنسبة له أياما تَقْفَى يؤدي فيها الأمانة وينقل بها
الرسالة إلى خلفاء أمتنا المحمدية متوارئين في
أوطانها وأبدالها يحملونها بنور الله إلى يوم تَكَلَّمَ فيه
الأمانات ويلقون فيه ربهم بالتحيات - رضی الله
تعالى عنهم أجمعين .

هو الله نور جامع . تراه العين بنور بصيرتي
فهو النور الحق . ما تجلى المؤمن بمرآة مقيتي

هو النور الحَقِيقِينَا هـ فعلى نورى صفت هدايتى
وهو نورى أَنَا يَقِينَا إِذَا هـ مَا تَحَلَّتْ عَنى شَرِيعَتى
هو نور على نور هـ حَالِ التَّجَلَّى الطَّالِبِ كَرِيمَتى
مَوْلَاى صِلَى وَسَلَمِ دَائِمَا هـ أَبَدَا عَلَى حَبِيبِكَ غَيْرِ الْبَرِيَّةِ

وطريق الصوفية واضح لا زيف فيه ولا لبس -
طريق مجاهدة النفس مع العبادة والذكر وصِدْقِ التَّوْبَةِ
حَتَّى تَقْوَى الْبُخْسِيرَةَ تَسُدَّ بِكَ بِوَاطِنِ الْأُمُورِ وَمَقَاتِلَةِ
الْأَحْوَالِ وَالتَّجَلِّيَاتِ - وَتَجَلَّى إِرَادَةِ الْعَمَلِ تَعَالَى
فِي مِرَاةٍ بِصِيرَتِهِمْ فَلَا يَرُونَ فِيهَا وَبِهَا سَوَى الْأَنْوَارِ
الرَّبَّانِيَّةِ - فَتَجَلَّى فِي مِرَاةِ الذِّكْرَيْنِ حَقِيقَةُ تَجَلِّيَاتِ
الرُّجُودِ الدَّرَنِيَّةِ (الْمُؤْمِنِ مِرَاةِ الْمُؤْمِنِ) فَيَنْعَمُونَ بِالْأَنْوَارِ
الْإِلَهِيَّةِ وَهُمْ لَا يَزَالُونَ فِي خَلْقَةِ الْأَشْبَاحِ الرُّنْيُوقَةِ -
سَلُوكَا عَلَى مَعْبَرِ الرُّوحِ - يَرُونَ بِنُورِ اللَّهِ وَالْبَقِيَّةَ بِهِ
مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُمْ - فَهُمْ فَا صَاعِدَاتِ عِبَادِ اللَّهِ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ
- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَّخِذُ اللَّهُ لَهُمْ نُورَهُمْ بِالتَّجَلَّى الْأَعْظَمِ
فَيَلْتَقَى النُّورُ بِالنُّورِ وَالصِّدْقُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ وَحَبِيبِ الْأَكْرَمِ وَنُورِهِ
الْأَكْلِ - وَهُوَ النُّورُ الَّذِي يَعْرِفُهُ الذَّاكِرُونَ فِي دُنْيَانَا

قبل الآخرة - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - إلى ربها - في
مياتها ومآلها - سبحانه اللهم صلى وسلم وبارك دائماً أبداً
على سيدنا محمد النبي الكريم وآله صدرة وتسلماً تاماً مباركاً
فيه - ما ذكره الزاكرون وما غفل عن ذكره الغافلون -
اللهم وارزقنا حسن الأدب وصِدْقَ التوجه والتأدب
في الذكر .

ذكر الله باسم الكمال . من بنوره انشقت أبواب
سناه يملو كل ذرة . شذاه أطيب ما في الوجود
ذكر الله الذي اجبتى . قلب الزمان مشقة لورود
وما من ذرة في الكون . إلا بنوره قاعة في الوجود
مولاي صلى وسلم دائماً أبداً على بصيرك عين الوجود
رضي الله سبحانه وتعالى عنك - يا سيد أحمد الصريحي -
وأرضاك ونفع بك عباد الله المخلصين والعلماء العالمين
والصوفية على وجه اليقين والحمد لله رب العالمين .

حسن محمد التهامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

هو الإمام المجتهد ، خاتمة الحفاظ ، فارس المعاني والألفاظ . محي السنة ، والداعى إليها . ومميت البدعة ، والناعى عليها . أبو الفيض أحمد بن الشيخ الإمام المجتهد القدوة ، الحافظ الحجة . مربى المريدين ، وقطب الواصلين : أبى عبد الله شمس الدين محمد بن الولي الكبير ، والبدل الشهير : محمد الصديق بن القطب الغوث الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة : أبى العباس أحمد بن محمد آل عبد المؤمن التيجكاني المنصوري ، الشريف الحسنى الإدريسي . ينتهى نسبه إلى إدريس بن عبد الله الخض أبى الحسن المثنى بن الحسن بن على عليهم السلام .

نسب كأن عليه من شمس الضحا نوراً وفي فلق الصباح عموداً
ووالدته بنت العارف بالله ، لذاكر الله ، التالى لسكتاب الله ، عبد الحفيظ ابن الولي الكبير ، العلامة الشهير : أحمد بن القطب الكبير ، لسان الصوفية ، المعبر عن أذواقهم ومواجيدهم ، بأفصح عبارة ، وأعذب إشارة : أحمد بن محمد الحجوجي الحسنى الإدريسي ، الشهير بابن عجيبة . صاحب التفسير وشرح الحكم وغيرهما .

فقد جمع المؤلف الشرف من الجهتين ، وضم أسباب المجد من الطرفين .

ولد سنة ١٣٢٠ هـ ، بقبيلة بنى سعيد ، فى بيت عمته ، حيث كان الشيخ الإمام والده فى زيارتها . وسماه باسم جده سيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن الذى كان إلى جانب حفظه للقراءات السبعة ، وإمامته فى الفقه وعلوم العربية ، يحفظ

صحيح البخارى فعادت عليه بركة تلك التسمية ، وسرى فيه سر صاحبها . فصار من كبار حفاظ الحديث ، بل أمير المؤمنين فيه .

نشأ في بيت علم وتصوف ، ووالاه الشيخ الإمام والده بعنايته في تربيته على الأخلاق الفاضلة ، وتعويده على الفتوة والرجولة الكاملة ، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، وصلى تراويح رمضان بوالديه في البيت ، بالختمة كلها . وعادة أهل المغرب في صلاة التراويح ، قراءة الختمة كلها في رمضان ، بواقع جزء من القرآن كل ليلة . وكان في صغره يحضر دروس الشيخ الإمام والده في صحيح البخارى ، فيسمع منه الحظ على جهاد الكفار ، ووجوب الاستعداد لذلك ، فاتجه إلى تعلم الرماية ، ومهر فيها حتى صار يصيب من العشرة عشرة ، واقتنى أجود المسدسات والبندقيات ، استعداداً للجهاد الذي كان يتوق إليه . وبقى - إلى جانب ذلك - كتب التفسير والحديث والفقه والتصوف ، حتى جمع مكتبة عظيمة أنشأ لها غرفة خاصة في الزاوية الصديقية . ولما أمر الشيخ الإمام والده الإخوان الصديقين المقيمين بالزاوية : أن يحفظوا القرآن ، كتب المؤلف لهذه المناسبة كتاب « رياض التنزيه في فضل القرآن وفضل حامله » وهو باكورة انتاجه العلمى ، وكان سنه حين كتبه أقل من التاسعة عشرة . وإذ رأيت ذلك الكتاب ، ورأيت ما فيه من فصول ممتعة ، وبحوث قيمة . ثم رأيت العارف الشيخ عبد الرحمن الأخضر يعتذر في آخر منظومة السلم ، بصغر سنه حيث يقول :

ولبنى إحدى وعشرين سنةً معذرة مقبولة مستحسنة

عرفت فضل الله على المؤلف ، وعظم ما وهب له . ولا عجب في ذلك . فإن آل الصديق هياهم الله للعلم ، وجعلهم أهلاله . كان الشيخ الإمام والد المؤلف رضى الله عنه يقول - متحدثاً بنعمة الله تعالى - : العلم مضمون لنا . وظهر مصداق كلامه ، في مؤلفنا العظيم . ذلك أن جملة سنى حضوره ، سنتان . هما

سنة ٣٩ — ٤٠ هجرية . حصل فيهما من العلم ، ما لم يحصله غيره ، في عشرات السنين . ومما ألفه في شبابه - وهو دون العشرين - كتاب : « تنوير الخُلبوب بمكفرات الذنوب » وهو ثاني تأليف له .

ولما وصل إلى الأزهر ، لحضور العلم . اشتغل أثناء ذلك بتخريج أحاديث الشهاب للقضاي ، وكتاب الشهاب ، فيه مائتان وألف حديث . من غير ذكر صحابي ، ولا عزو إلى أي كتاب . وقد شرع في تخريج أحاديثه العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر السكتاني رحمه الله . لسكنه لم يقمه ، لأنه وجد فيه أحاديث غريبة لم يجد لها مخرجاً . فجاء المؤلف وخرج تلك الأحاديث كلها حديثاً حديثاً ، مع بيان رتبته ، وذكر شواهد لها . بل كتب تخريجها : أحدهما صغير ، في مجلد ، سماه : « بغية الطلاب بتخريج أحاديث الشهاب » ، ثم سماه أيضاً « فتح الوهاب » والآخر . كبير في مجلدين ، سماه « الإسهاب في تخريج أحاديث الشهاب » يذكر فيه الحديث بإسناده منه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . على طريقة الحفاظ ابن عساكر في تاريخ الشام . وأضراجه من الحفاظ الذين يروون في كتبهم ، الأحاديث بأسانيدهم ، وهي طريقة عزيزة لم يسلكها أحد بعد ابن عساكر (٥٧١ هـ) إلا المؤلف . وهي تدل على كثرة الحفظ ، وسعة الرواية . وله غير هذا مؤلفات كثيرة ، بلغت عشرين ومائة كتاب ، كلها ما بين حسن وأحسن ، وجيد وأجود . وكثير منها أنشأه جواباً لسؤال ، أو تسجيلاً لمناقشة ، أو ردّاً على منكر بغير حجة .

سئل عن حديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً » فألف رسالة سماها : « إياك من الاغترار بمحدث أعمل لدنياك » .

وفي إحدى زياراته لفاس ، حصلت مناقشة بينه وبين بعض العلماء هناك في رفع اليدين في الدعاء عقب الصلاة . وادعى ذلك العالم أنه بدعة ، فألف رسالة

سمّاها : « المنج المطلوبة في استحباب رفع اليدين في الدعاء بعد الصلوات المكتوبة » طبع بقم .

وبلغه أن شيخاً يسمى الرمانى من أهل الغربية - قبيلة بجوار مدينة أصيلا بالمغرب - ينكر حديث : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » بانياً إنكاره على أن الطائفة غير ظاهرة اليوم ، ولا موجودة : فكتب رسالة سماها « الأجوبة الصارفة عن أشكال حديث الطائفة » أثبت فيها تواتر الحديث ، وبين معناه بما أزال عنه كل إشكال : وكتب الحديث السيد عبد الحى الكتانى رسالة ذكر فيها أن حديث « ومن لغافلا جمعة له » غير موجود في كتب الحديث وأنه بحث عنه في عدة كتب حديثية فلم يجده : فرد عليه المؤلف برسالة بين فيها أن الحديث موجود في تاريخ واسط للحافظ أسلم بن سهل الواسطى أحد شيوخ الطبرانى : ونقل الحديث بإسناده من الكتاب المذكور ، وهو كتاب نادر . وصحف الكتانى حديث « من فارق الدنيا على الإخلاص » فكتبه « من رزق الدنيا » وبنى عليه أن الحديث يحض على اقتناء الدنيا ، فرد عليه المؤلف برسالة سماها « وسائل الإخلاص من التحريف في حديث من فارق الدنيا على الإخلاص » .

وأمره الشيخ الإمام والده بالرد على ابن خلدون في الفصل الذى عقده في مقدمة تاريخه ، للكلام على المهدي ، حيث ضعف أحاديثه ، وجرح رجال أسانيدها . فآلف كتاب « إبراز الوهم المسكنون من كلام ابن خلدون » أثبت فيه تواتر أحاديث المهدي . وأبدى براعة في الكلام على الرجال في التوثيق والتضعيف . وناقش في ذلك مناقشة دلت على بلوغه درجة الاجتهاد في علم الرجال . وقد طبع في دمشق ، ونقل عنه علامة حلب ومؤرخها المرحوم الشيخ محمد راغب الطباخ ، في المقدمة التى كتبها لمعالم السنن . وإذا قابلت هذا الكتاب بما كتبه المرحوم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، في المهدي وعيسى عليهما السلام . وهى رسالة

مطبوعة بمصر ، وجدت فرقاً واسعاً بينهما ، وتأكدت أن ما كتبه الشنقيطي إنما يصدر عن طالب مبتدئ ، لم يعرف شيئاً من قواعد العلم .

ومما ألفه ولم يسبق إليه كتاب : « حصول التفريج بأصول العزو والتخريج » تكلم فيه على بدء تخريج الأحاديث متى كان ؟ وبين شروطه وقواعده . والمؤلف يعتبر منشيء هذا الفن ومخترعه ، كما كان الإمام الشافعي منشيء علم الأصول . ولم يتكلم أحد من الذين اشتغلوا بالتخريج ، في هذا الفن ، ولا حاولوا حوله . كالبيهقي والزرکشي وابن الملقن والزبلي والعراقي وابن حجر والسيوطي وغيرهم . ومن مؤلفاته التي لم يسبق إليها أيضاً كتاب سماه « ليس كذلك » وموضوعه التعقيب على الحفاظ في بعض إطلاقاتهم ، كأن يقول : الإمام أحمد أو ابن معين في حديث ليس له إلا طريق واحد ، فيقول المؤلف : ليس كذلك ، بل له طريق آخر ، ويذكره . أو يقول : ليس له طريق صحيح ، فيقول المؤلف : ليس كذلك ، بل له طريق صحيح ، ويبيّنه . أو : الراوي فلان ، ليس له متابع ، فيقول المؤلف ليس كذلك ، بل تابعه فلان ، ويذكر متابعته .

وهو يدل على سعة حفظه ، وشدة اطلاعه . إذ لا يقدر على إثبات ما نفاه الحفاظ الكبار ، كأحمد وابن معين والذهبي والعراقي وابن حجر ، إلا من كان واسع الحفظ ، شديد الاطلاع .

ومن غرائب مؤلفاته رضي الله عنه التي لم يسبق إليها : كتاب مسند الجن ، وهو كتاب غريب ، ذكر فيه الأحاديث التي رواها الجن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ومنهم زوبعة الجني الصحابي وهو مذكور في الإصابة .

وكتب حاشية على شرح المناوي للجامع الصغير ، المسمى بالتفسير . وسماها : المداوي لعلل المناوي . ناقش فيها أغلاط المناوي في التصحيح والتضعيف ، وفي الكلام على الرجال ، وهي في أربعة مجلدات كبار .

وخرج أحاديث بداية المجتهد ، لابن رشد ، وسمى تخريجه « هداية الرشد بتخريج أحاديث بداية ابن رشد » وهو في مجلدين . لا يستغنى عنه علماء الشريعة ، والباحثون في الخلاف العالى . بل من أراد الاجتهاد ، فهذا الكتاب يكفيه .

وشرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى للمالكى بالدليل ، وسماه مسالك الدلالة . وعلى كثرة شروحه التى بلغت مائة شرح أو أكثر ، لم يشرحها أحد بالدليل قبل المؤلف . يذكر المتن ، ويعقبه بذكر دليله : إما آية أو حديث أو قياس أو إجماع ، أو دليل من الأدلة التى يعتمدها المالكية ، كعمل أهل المدينة أو قول الصحابى والاستصلاح .

ومن هذا الشرح كتب أصغر أشقائه شرحاً على العشماوية بالدليل أيضاً . ولما ألف الشيخ محمد الخضر الشنقيطى ، رسالة « إبرام النقض لما قيل من أرجحية القبض » رد عليه المؤلف بكتاب كبير سماه « المثنونى والبتار فى نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار » اطلع الشيخ الخضر على ملازم من مقدمته فأخجم وأخذ العى والخصر .

نشأ منذ صغره ميالاً لمعرفة الدليل ، لا يقبل قولاً بغير دليله ، وذلك لما كان يسمع من الشيخ الإمام والده ، فى دروس صحيح البخارى ، من تقرير الأدلة ، والترجيح بين المذاهب ، حسب موافقتها للدليل . وكان يسمعه وهو يحض على العمل بالسنة ؛ فنشأ محباً لها ، ولذلك ترك مذهب المالكية ، لأنهم يذكرون الفقه أحكاماً مجرعة عن الدليل ، إلا فى كتب ابن عبد البر والباجى وأضرابهما ، وتمسك بمذهب الشافعية ، لأن كتبهم تذكر لكل حكم دليله . ثم رأى وجوب الاجتهاد عليه ، فترك التقليد ، ودعا إلى العمل بالسنة ، ولاقى فى دعوته ، من متعصبة المقلدين ، وجهلة المتعلمين . إسفافاً فى القول ، ورمياً بالبهتان ، وعناداً

يؤدى إلى الضلال . فلم يثنه ذلك عن عزمه ، ولا فتّ في عضده . بل صبر وصابر ، وقابل إسفافهم بالجد ، وبهتانهم بالصدق وعنادهم بالحجة الدامغة . فاستنارت بكلامه عقول ، وتفتحت له قلوب ، وأوجد مدرسة للعمل بالسنة ، لا ثانى لها في شمال أفريقيا .

وكان يحب الإمام الشافعى رضى الله عنه محبة خاصة ، لأسباب ، منها : أنه كان يدعو إلى السنة والعمل بها ، ولقى من تعنت الحنفية بالعراق ، والمالكية بمصر . مثل ما لقي المؤلف من المتكلمين اليوم ، ومنها : أن الشافعى كان يحب أهل البيت ، وكلامه يومئذ يتفضّل الإمام علىّ على جميع الصحابة ، ومنها : أن الصوفية يعدون الإمام الشافعى منهم ، ويقولون : إنه نال رتبة البدلية ، وقد كان شقيقه العلامة الكبير المحدث الخطير السيد عبد الله الصديق ، رأى له رؤيا تدلّ على أنه يكون خليفة الإمام الشافعى ويسير على نهجه ، وقد حصلت هذه الرؤيا ، وهو لا يزال في الكتاب يحفظ القرآن . فتحققت — فيما بعد — باجتهاد المؤلف ، ونصرته للسنة ، ودعوته للعمـل بها . كما اجتهد الشافعى بعد أن كان مالكيًا ، ونصر السنة بالعراق ، بين متعصبة الحنفية ، وبمصر مقر المالكية ، في ذلك الوقت .

أملى المؤلف مجالس حديثية ، في طنجة بالزاوية الصديقية ، وفي مصر ، بحامع سيدنا الحسين عليه السلام ، ومسجد السكيخيا ، فأحيا سنة الإملاء ، بعد انقراضها بسنين عديدة .

وطريقة إملائه : أن يلقى الحديث بإسناده منه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويشعر في شرحه وذكر شواهد ، وما يتصل به من فوائد وآداب ، في مدى ثلاث ساعات . فيدهش السامعين بقوة حفظه ، وفصاحة لسانه وحسن بيانه ، ومن الطرائف أنه أملى مرة بالزاوية الصديقية ، حديثًا في سنن البيهقي ، وكان إسناده عجيبيًا ، بتسلسل برواية مرضى : حدثنا الأعمش عن الأعرج عن الأصم

عن الزمن . . الخ ؛ فلما انتهى الإملاء . قال له بعض الظرفاء : أخبرني في أى مستشفى رويت هذا الحديث ؟ وإن المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الذى وصف إملاء السيد مرتضى الزبيدى ، وأثنى عليه ، لو شاهد إملاء المؤلف لاعترف بأنه أكبر وأوفى من إملاء صاحبه . ولقد رأيت مجالس إملاء ، لبعض كبار الحفاظ ، فوجدناها ضئيلة ، لا يبلغ مجموعها مجلساً واحداً من إملاء المؤلف .

وكان رضى الله عنه جميل الصورة ، بهى الطلعة ، إذا قابلته ، رأيت في وجهه تلك البهجة التى دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم لحفاظ حديثه ، حيث قال : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها » بشوش الوجه ، سخي اليد ، كريم النفس ، مرضى الخلق . شجاعاً جريئاً ، لا يهاب الموت ، ولا يخشى السلطان . وله وقائع مع السلطات الاستعمارية الفرنسية والأسبانية ، نشرتها الجرائد الأجنبية في أوروبا ، منوهة بجرأته ، وكان على الهمة ، لا يعطى الدنية ، ولا يرضى الضيم ، يتواضع مع الضعفاء والمساكين ، ويساعدهم بماله وبجاهه وكان يكره تقليد الأفرنج في أكلهم ولبسهم وعاداتهم التى تنافى روح الإسلام ؛ دعاه المرحوم الشيخ الظواهري شيخ الأزهر إلى حفلة غداء ، إحتفالاً بالشيخ عبد الحى السكتانى عند عودته من الحج ، وكان من جملة الحاضرين المدعوين الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ عبد الحميد اللبان والشيخ التفتازانى ، ودُعُوا إلى المائدة ، فإذا عليها شوك ، فأكل بيده ، ولم يستعمل الشوكة ، فقال الشيخ الظواهري : وأنا آكل بيدي كما فعل الشيخ ابن الصديق ، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أكل التمر ، بشوك النخل ، فسأله المؤلف : أين يوجد هذا الحديث ؟ قال : فى الجامع الكبير ، قال : لا يوجد فيه هذا الحديث . قال : هل أحطت بأحاديث الجامع الكبير ؟ قال : نعم ، وهذا الشيخ السكتانى بجانبك فأسأله ، فسأله فوافق المؤلف على أن الحديث غير موجود ، وهكذا كان فى التمسك بالحق ، لا يجابى فيه أحداً ،

ولا يحامله ، وله في هذا الباب حوادث كثيرة مع علماء الأزهر ، يعلبهم بقوة حجته ، ويصكهم صك الجندل ، وبالجملة فهو مجتهد العصر وإمامه . قام بفريضة تجديد الدين ، وتحمل عبء الدعوة إلى السفة ونشرها ، جزاه الله خير ما يجزى به المجتهدين المجددين ، آمين .

هذا الكتاب

المؤلف رضى الله عنه ، صوفى بفطرته ، شاذلى المشرب منذ نشأته ، يحب الصوفية ويعتقدهم ، ويدافع عنهم بلسانه وقلمه ، ويعترف بما وهبهم الله من أذواق ومعارف وأسرار ، ويزور الأولياء أحياء وأمواتاً ، يلتمس بركتهم .

وكان لا يحب ابن تيمية ، لانحرافه عن أهل البيت ، وعن الصوفية ، ويرى أن الله عاقبه ، فجعل كتبه عمدة للمبتدعة ، فلا تجد ناصبياً ولا وهابياً ولا غيرها ، ألا وهو يستند إلى ابن تيمية ، ويحتج لابتداعه وضلاله بما في مؤلفاته .

وكان - مع إعجابه بالحافظ ابن حجر - يكره منه انحرافه عن الصوفية ، وإن كان لم يجرّد قلمه لشتّمهم وتكفيرهم كما فعل ابن تيمية .

ولما رد على ابن خلدون في الفصل الذى كتبه عن المهدى ، وجده تعرّض للصوفية ، واعترض عليهم فى أشياء ، منها : انتسابهم للإمام علىّ عليه السلام ، وأنكر سماع الحسن البصرى من علىّ ، كما أنكره كثير من الحفاظ ، فألف هذا الكتاب للأغراض الآتية :

(١) بيان سماع الحسن البصرى من علىّ عليه السلام ، بالطرق المعروفة عند أهل الحديث .

(٢) مناقشة ابن تيمية وابن خلدون ، ورد كلامهما بالحجة والبرهان .

- (٣) بيان سبب اختصاص الصوفية بعلىؑ ، وانتسابهم إليه .
(٤) بيان كثير من الخرق الصوفية ، ومنها ما هو غير معروف اليوم .
(٥) بيان سند الشاذلية بطريق الصحبة ، وبطريق الخرقه .
(٦) بيان أن سند الصوفية متصل بعلىؑ عليه السلام ، ليس في انقطاع ، ولا إرسال .

وإذا أردت أن تعرف فضل هذا الكتاب ، وما ضمه بين دفتيه من بحث وتحقيق ، فاقراء رسالة « تحاف الفرقه برفو الخرقه » للحافظ السيوطى ، فإنك حين تقرأها لا تملك إلا أن تعترف بأن المؤلف هبة ، ادخرها الله لهذا العصر ، ليمين لعباده أن فضله ممدود ، وأن عطاءه غير محدود . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .





المقدمة

علم التصوف من أشرف العلوم وضعاً ، وأكثرها نفعا ، جليل المقدار ، على المنار . علم يزكي النفوس ، ويخلصها من أدوائها ، ويصفي مرآة القلوب ، فتشرق عليها أنوار بارئها . علم يرقى الأرواح ، في راقى الفلاح ، ويهذب الطباع الخبيثة الرديّة ، فتصير أخلاقاً حميدة رضية .

أهله خيرة الله من خليقته ، والصفوة الممتازة من بريته ، عبوده بصدق الأخلاص وإخلاص الصدق ، فبدا لهم من لوازم تجلياته ، وطوالع نفحاته . ما أشهدهم سر الحق في الخلق ، وعرفهم حكمته في مقام الجمع والفرق .

أهل التصوف هم - كما يقول الغزالي - السابقون لطريق الله وخاصته . سيرتهم أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلاً . فإن جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به . وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريق ، طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالسكينة عما سوى الله تعالى . ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة . استغراق القلب بالسكينة ، بذكر الله . وآخرها : الفناء بالسكينة في الله .

ويقول أيضاً : حاصل عمل الصوفية قطع عقبات النفس ، والتنزه عن أخلاقها المذمومة ، وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتخليته بذكر الله انتهى .

فبداية التصوف تخلية عن مذموم الأخلاق والمادات ، وتخليه بمحاسن الأفعال والصفات . ونهايته فناء في مشاهدة الله ، وصرف النظر عما سواه ، وسألكه لا بدّ له من شيخ يعلمه كيفية السلوك ، ويجنبه آفات النفس ودخائلها .

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الأنصاري في شأن المريد :

يصحب شيخاً عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه

وهكذا يتلقى كل شيخ منهم عن فوّه أخذاً وتلقيناً ، حتى تنتهي السلسلة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري ، الذي تربى في بيت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، حيث كانت أمه خيرة مولاة لها ، ولطالما ألقمته أم سلمة نديها . ولما حنكته بشعرة من لحية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كانت تحتفظ بها ، بلعها الحسن ، وهو يتلمّظ بها ، فرزق ببركة ذلك فصاحة في العبارة ، وحكمة في القول ، حتى كان الناس يقولون عنه إذا سمعوا وعظه : كلامه يشبه كلام الأنبياء ، وهو قد تلقن عن أكثر الصحابة علماً ، وأقدمهم سلماً : الإمام عليّ عليه السلام . فإليه تنتهي سلسلة الصوفية ، أو خرقتهم كما يقولون . وعنه تلقيت حقائق التصوف ودقائقه ورقائمه . وهذا وإن كان متفقاً عليه بين الصوفية رضي الله عنهم ، لا يختلفون فيه ، فإن غيرهم من العلماء وقف إزاء هذه السلسلة مواقف مختلفة : منهم من أنكر اتصال السلسلة ، وزعم أنها منقطعة ، اعتماداً على تصريح كثير من الحفاظ بأن الحسن لم يلق عليّاً عليه السلام ، بل صرحوا بأنه لم يلق بدرياً قط . وهذا موقف ابن تيمية من الحفاظ ، وابن خلدون من الفقهاء والمؤرخين .

زاد ابن تيمية ، فأنكر اختصاص عليّ عليه السلام بعلم لا يكون عند الشيخين .
رضى الله عنهما .

وهذا نتيجة حقد دفين في قلبه . ومنهم من اعترف بانقطاع السلسلة أيضاً ،
لكنه لا ينكر على أصحابها تمسكهم بها ، بل نراه يقلقها منهم ، تبركاً بهم ،
والتماساً لفضلهم . وهذا موقف الحافظ ابن الصلاح ، والحافظ السخاوي وغيرها .
ومنهم من أيدّ الصوفية في كلامهم ، وبّين اتصال السلسلة بلقى الحسن لعليّ
عليه السلام . وهذا موقف الحافظ السيوطي الذي ألف رسالة إتحاف الفرقة
برفو الخرقه ، وذكر فيها عشرة أحاديث ، يرويها الحسن عن عليّ عليه السلام ،
لكنها معنونة لم يقع التصريح بالتحديث إلا في حديث واحد منها . والحسن
مداس كما هو معروف ، لا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث تصريحاً لا يحتمل
تأويلاً ، وذلك الحديث الذي صرح فيه بالتحديث ، نسب الغلط فيه إلى راوٍ
قبل الحسن . وعلى ذلك لم تقطع رسالة الإتحاف حجة المنكرين ، وبقيت الخرقه
في حاجة إلى رفو متين . وكل من جاء بعد السيوطي ممن كتب عن الصوفية
وخرقتهم ، لم يزد على ما في رسالة الإتحاف جملة ، ولا أتى بما يروى غلة ،
ولا يشفي غلة ، حتى جاء مؤلفنا الإمام بكتابه « البرهان الجلي » فرفا الخرقه فيه
رفواً محكمًا ، صارت به أصح وأمتن ، وأقوى وأمكن ، وبّين فيه أن معظم
الذين حكموا بانقطاعها - وفيهم الحافظ ابن حجر - بنوا حكمهم على تقليد
واسترواح ، ولو استعملوا حفظهم في البحث عن مرويات الحسن وتمحيصها ،
لعلموا أنه سمع عليّاً عليه السلام ولقيه . ثم ذكر أحاديث من مسند أبي يعلى ،
وسنن البيهقي وغيرها ، ويصرح فيها الحسن بالسماع من عليّ ، تصريحاً لا احتمال
فيه ولا غلط .

ثم عطف على ابن تيمية وابن خلدون فيبين لهما بأدلة كثيرة اختصاص عليّ

بالتصوف ، وبعالوم أخرى لم تكن عند الشيخين رضى الله عنهما . وبسط تلك الأدلة ، ووضحها توضيحاً لا يدع مجالاً للشك والتردد :

منها : أن علم على عليه السلام ، تواتر مثل شجاعته ، حتى صار مضرب المثل بين الناس جميعاً .

ومنها : أن الصحابة - وفي مقدمتهم الشيخان - اعترفوا له بالتقدم في العلم ، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم .

ومنها : أنه لم يسم أحد من الصحابة بالإمام غيره .

ومنها : قول النبي عليه الصلاة والسلام : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » .

وهذا الحديث هو الأصل في الباب ، وهو السر للباب ، فهو يشيد لإمامة على عليه السلام وتقدمه في العلوم . كما يفيد أنه في الحقيقة باب النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس السيد البدوي رضى الله عنه ، كما يشاع عند العامة بمصر .

وهذا الحديث اختلفت فيه أنظار علماء الحديث ، فالناصبية والمتخذعون بهم من أهل السنة جزموا بوضعه . واقتصر آخرون على تضعيفه . ومنهم من سلك سبيل التوسط ، كالحافظ ابن حجر فإنه قال : ليس بموضوع ولا ضعيف ، ولكنه حديث حسن ، ولم يصححه إلا قليل من الحفاظ ، روى بعضهم بالتشيع من أجل تصحيحه له ، لكن مؤلفنا الإمام ألف كتاب « فتح الملك العلى بصحة حديث ، باب مدينة العلم على » أثبت فيه صحة الحديث بتسعة مسالك ، لو رآها الحافظ ابن حجر ، لجزم بأن الحديث بلغ أعلى درجات الصحيح .

ثم عطف على الذين قالوا بوضع الحديث أو ضعفه أو تحسينه ، فناقشهم مناقشة طيب بعل الحديث ، خبير بقواعد التعديل والتجريح ، ماهر في تطبيقها

أحسن تطبيق ، وممكنه إطلاعه الواسع من أن يلزمهم بقواعد أصولها ، ثم غفلوا أو تغافلوا عنها .

وسلك فيه أسلوباً مبتكراً ، لم يسبق إليه ، فقد ألف الحفاظ قبله أجزاء مفردة في تصحيح أحاديث أو تحسينها ، كالحافظ العلائي ألف جزءاً في تحسين حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وآلف الحفاظ العراقي جزءاً في صحة حديث التوسعة يوم عاشوراء .

وآلف الحفاظ ابن حجر جزءاً في صحة حديث عموم المغفرة للحجاج .

لكن أسلوبه يفوق أسلوبهم تنسيقاً وترتيباً ، وتفرعاً وتبويباً ، بل طريقة تخريجه الأحاديث في كتبه ، تخالف طريقة من قبله على نحو أمتع ، وبأسلوب أنفع ، لا نستثنى من ذلك ابن حجر شيخ الحفاظ بدون منازع ، ولا غيره .

ولقد قال بعض أفاضل العلماء المعاصرين : إنه لاحظ أن كلام مؤلفنا الإمام في تخريج الأحاديث ، أوسع من كلام الحفاظ في التلخيص الحبير ، وهكذا تجد كل تخريجه ممتعة نافعة ، وكلما قرأت مؤلفاً من مؤلفاته ، ازدادت يقيناً ببلوغه درجة الاجتهاد بجدارة واستحقاق ، ولو ذهبنا نذكر مؤلفاته ، ونبين ما امتاز كل مؤلف منها في موضوعه ، أو أسلوبه ، أو جمعه وترتيبه ، لم تكف هذه المقدمة لذلك .

فلنقتصر حديثنا على كتاب « البرهان الجلي ، وفتح الملك العلي » فهما أوضح دليل على صحة ما نقول ، لأنك لا تجد لهما نظيراً في كتب التصوف والحديث ، لا في موضوعهما ، ولا في أسلوبهما ، ولا فيما اشتملا عليه من قواعد وفوائد ، يعز وجودها في شيء من الكتب ، لأنها نتيجة خبرة واسعة ، وملاحظة دقيقة في تطبيق القواعد ، وذهن وقاد . ومواهب أفاضها الله على مؤلفنا الإمام العظيم ، وأهله بها لأن يكون حجة العصر وإمامه ، يحدد أمر الدين وبقيم أعلامه .

ثم إن كتاب «فتح الملك العلي» يعتبر أصلاً لكتاب البرهان الجلي، وأساساً له، لأن صحة حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» يبنى عليها صحة انتساب الصوفية إليه، وأنهم أخذوا علومهم وحقايقهم عن إمام شهد له المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم.

بل أمر بالتلقي عنه، حيث قال في آخر الحديث السابق: «فمن أراد العلم فليأت الباب» ولذلك كان طبع الكتابين معاً، غاية التوفيق، وعين الصواب، لأنهما كما قدّمنا بمثابة أصل وفرع، أو دليل ومدلول، أو علة ومعلول.

فالتلازم بين موضوعيهما واضح للعيان، والتناسب بينهما لا يحتاج إلى بيان، والله الموفق وعليه التكلان.

يا عليّ العالين في الأسماء	مصطفى المصطفى من الأنبياء
من صفات الكمال في الأعلواء	يا عليّ العالين في كل وصف
في النهى رأيك العلي الضياء	في الوعى سيفك العليّ الملى
وفي الدين والحجا والذكاء	مفرد أنت في الساحة والتقى
ن أنقى الأشخاص دون مرأ	شهد الله أن شخصك قد كا
بل تحلت في ذاتك العصماء	صلة الأرض بالسمااء تجلت
كل من حازها بلا استثناء	مثلاً كنت للخلافة أفضى
لك ذكرى وآية للفاء	ليلة الهجرة المفيسة تبقى
بإخاء أعظم به من إخاء	يا أخاً للنبي أنعم وأكرم
غير ما هم عليه من أهواء	إنما الناس دائماً لم يكونوا

الحمد لله

فهرست البرهان الجلى

صفحة

- ١ خطبة الكتاب وذكر الباعث لتأليفه
- ٢ مقدمة وفيها بيان لزوم الشيخ في العلم والطريقة
- ٤ الاتصال بالشاذلى من طريق الجزولى وزرّوق
- ١٠ سند الطريقة الصديقية
- ٢١ لأبى الحسن الشاذلى طريقتان: طريقة تحكيم وإرادة، وطريقة خرقة وتبرك،
وبيانها بتفصيل .
- ٣٥ طريقة الخرقة لأبى الحسن الشاذلى
- ٤٥ بقية شيوخ الشاذلى فى طريق الخرقة
- ٤٥ محيى الدين ابن العربى من شيوخ الشاذلى
- ٥٠ طعن فى خرقة المتصوف جماعة
- ٥١ نص طعن ابن تيمية فى الخرقة
- ٥٢ نص طعن ابن خلدون فيها أيضاً
- ٥٥ حكم العلماء بنفاق ابن تيمية لثبوت بغضه لعلّى عليه السلام
- ٥٨ ابن خلدون كان ناصبياً منحرفاً عن علّى
- ٥٩ كذب ابن تيمية فى حكاية الاتفاق على تقديم أبى بكر رضى الله عنه
- ٦٢ قال الشيوخ: أعطى علّى العلم اللدنى
- ٦٦ حديث صحيح يفيد تقديم علّى على الشيخين رضى الله عنهم
- ٧١ كان عمر رضى الله عنه يقول: لولا علّى لهلك عمر
- ٧٥ أعلم الأمة وأقضاهم علّى بدون استثناء
- ٧٧ يضرب المثل بعلم علّى وشجاعته
- ٧٨ التفضيل بين الصحابة ظنى لا قطعى
- ٨٥ فضل أجمع من الصحابة علّى على جميع الصحابة
- ٨٨ كذب حكاية الإجماع على تفضيل الشيخين رضى الله عنهما

- ٩٣ على مرجع أهل التوحيد والتفسير والتصوف وغيرهم
٩٥ مزايا على على جميع الصحابة
١٠٠ بيان بطلان كلام ابن خلدون أيضاً
١٠٢ اختصاص جماعة من الصحابة كل في علم معين
١٠٨ عهد النبي عليه الصلاة والسلام إلى على سبعين عهداً لم يعهدها لغيره
١١١ رجوع إلى إبطال بقية كلام ابن تيمية
١١٤ الصوفية لا يعرفون الخرقه ، وإنما يعرفون الصحبة والاقتداء
١١٧ كلام الشيخ الأكبر في معنى لبس الخرقه ، وهو نفيس
١٣٠ العجلة مذمومة إلا في سبعة مواضع وبيانها
١٣٦ المقصود من الخرقه ، الصحبة سواء حصل لبس أم لا ؟
١٣٩ غلط ابن تيمية في فهم حديث : رأيت ربي في أحسن صورة
١٤٦ ألبس النبي صلى الله عليه وسلم الخرقه لجماعة من الأولياء
١٤٩ حديث نزول الخرقه من الجنة موضوع
١٥٣ تروى الخرقه من جهة الصديق ، رواية نادرة
١٥٨ رجوع إلى إبطال كلام ابن تيمية أيضاً
١٦٣ ابن تيمية لا يتكلم بالعلم والانصاف ساعة الرد والمناظرة
١٦٨ من تدليس ابن تيمية
١٧٢ كرامة لأبي محمد حبيب العجمي
١٧٤ طعن ابن تيمية في رواية معروف السرخي والرد عليه
١٧٩ للخرقه طرق لم يتعرض لها ابن تيمية
١٨١ طعن ابن تيمية في سماع الحسن بن على والرد عليه من وجوه
١٩٣ الحسن رأى عثمان وسمع خطبته فكيف لا يسمع من على ؟
١٩٦ ذكر الأحاديث التي رواها الحسن عن على عليه السلام

- ٢٠١ تصريح الحسن بالسمع من عليّ عليه السلام
٢٠٣ تصريحه بجمالة عليّ عليه السلام وبالصلاة خلفه
٢٠٤ تصريحه بكثرة سماعه من عليّ عليه السلام
٢٠٦ بيان متى يصح سماع الصغير ؟
٢١٣ سند الخرقه من طريق الحسن عن عليّ ، صحيح على شرط البخارى ومسلم
٢١٦ الدليل على أن الحسن صحب عليا واقتردى به كما هو شرط الصوفية
٢٢٢ حديث النظر إلى عليّ عبادة صحيح ، وادعاء الذهبي وضعه كذب
٢٢٣ من ضعف الحديث لم يفهم معناه
٢٢٥ لم ينفرد الحسن بأخذ الخرقه عن عليّ ، بل وردت عنه من طرق أخرى أيضاً
٢٢٩ رد كلام ابن خلدون
٢٣١ ذكر من لبس الخرقه من الحفاظ والفقهاء وأهل الصلاح

تذييله

وقعت أخطاء مطبعية لم نتمكن لظروف القاهرة من تصويبها نعتذر عنها
اعتماداً على ذكاء القراء الألباء ، ولكن لا يسعنا أن نترك مثل هاتين العبارتين
أولاهما في صفحة ١٥٩ سطر ١١ صوابها : ولبس أبو الفتح من أبي إسحاق بن
شهریار المرشد الخ .

وفي الصفحة نفسها سطر ١٤ وصوابها : وصحب أبو عمرو شيخه أبا تراب
النجاشي ، وصحب أبو تراب شيخه شقيقا البلخي .
وفي صحيفة ٢٠٢ سطر ٧ نقص ، التصويب قال : صاغت جبريل عليه السلام ،
قال : صاغت كفي سرادقات . . الخ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الملك الحق المبين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ، لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فلما كانت خرقه التصوف وأسانيد طرق الصوفية رضى الله عنهم أكثرها يتصل بأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه من رواية الحسن البصرى عنه ، وكان الناس مختلفين فى سماعه منه على قولين : فأنبت سماعه منه قوم ، ونفاه آخرون ، تقليداً لمن قال ذلك من الحداث بدون دليل ولا برهان ، واستند إلى نفهم جماعة فطعنوا فى خرقه التصوف وأسانيد الصوفية بالانقطاع وعدم الاتصال . أحببت أن أبين خطأهم فى ذلك وأحقق سماع الحسن من على عليه السلام ، واتصال السند من جهة بما لا يبقى معه شك ولا ارتياب ، وأجعل الكلام فى ذلك مع ابن تيمية وابن خلدون اللذين طعنا فى خرقه التصوف المتصلة بعلى عليه السلام ، وأبين أغراضهما الفاسدة من ذلك ، وأبدأ أولاً بالكلام على سند طريقتنا الشاذلية ، وأحقق اتصالها بأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، وأبين ما وقع فيه من الاختلاف والاضطراب ، ثم اتصال أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطريقتين : طريق التمكن والإرادة المتصل بعلى من جهة ابنه الحسن عليهما السلام ، وطريق الخرقه والتبرك المتصل بعلى عليه السلام من جهة الحسن البصرى رحمه الله تعالى .

وسميته **البرهان الجلى** ، فى تحقيق انتساب الصوفية إلى على ، والاتصال بأبى الحسن الشاذلى **فأقول** ، ومن الله تعالى أستمد العون والتوفيق :

مقدمة

قال والدى قدس سره فى بعض ما كتبه من الإجازات فى الطريق .

أما بعد : فلا يخفى على ذوى البصائر والعقول أن الفنون كلها لا بد فيها من واسطة ، ومن لا واسطة له فى فنه لا بركة له فيه ولو حصل فيه على الغاية القصوى ، فبركة الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه . فمن رزقها رزق الثن وبركته . ومن حرمها حرم الفن وبركته ، وهو أمر لا يحتاج إلى برهان إذ ليس الخبر كالعيان .

ولما كان التصوف أولها بذلك وأحقها بما هنالك ، وكان من لا شيخ له فيه لا يعبا به ولا يلتفت إليه . بل هو عندهم لقيط لا أب له وسقيط لا طعم فيه . بل حتى لو فرض أن شيئاً من المعارف والأذواق حصل لأحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة . فالمتعين عليه أن يستند إلى الواسطة أدباً مع الشريعة المطهرة ، إذ جاءت باعبارها وأمرت بشكرها ، وأيضاً فإن الاستناد إليه فيه كمال ورفعة قدر وجلال لأن فيه خروجاً من رعونات النفس والأنانية إلى رفعة التواضع والعبودية . وفاهيمك بها عزاً وشرفاً ورفعة وفخراً . إذ هى سبب للحرية . بل هى فى الحقيقة عينها ، ولو صح لأحد شيء بلا واسطة لما كان لمولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه السلام واسطة مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل ففى تقديم المفصول على الفاضل رفعة لمقام الفاضل وتنويه بعبودية الكامل ، وانظر إلى أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يفتح لك الباب وتفهم سر الخطاب . فما عظمت الحرية فى أحد إلا وكانت العبودية فيه أعظم . إذ ما تشرف من تشرف إلا بها ، وما طرد من طرد إلا بالدعوى والركون إلى الحرية والأنانية ، وما أفلح من أفلح إلا بصحبة من

أفصح . وقد قال الجنيد رضى الله تعالى عنه سبق في علم الله القديم ألا يدخل أحد لحضرته إلا على يد عبد من عباده .

وقال القطب أبو العباس أحمد المرسى رضى الله عنه ما صارت الأبدال أبدالاً إلا بمجاسة أمثاله . لذلك وجب علينا أن نذكر سفدنا ونبين نسبنا في هذه الطريق الدرقاوية التي هي لب الطرق الاتصالية الجامعة بين الجملانية والشاذلية المؤسسة على الكتاب والسنة والخصصة بالنفحات الربانية . إذ في اتصال سببنا بسببهم ونسبتنا بنسبتهم استمطار للرحمات الإلهية واستنزال للنفحات القدسية وتحريك للسلسلة النبوية . مع أن الإسناد من الدين في كل وقت وحين طال الزمان أو قصر وقل عدد الوسائط أو كثرت ثم ذكر سنده الآن ثم قال وليكف الإنسان شرفاً ونخراً أن يعرف رجال هذه السلسلة النورانية الحمديدية فإنها سلسلة الذهب الإبريز التي من تمسك بمحبة رجالها نال رضى الملك العزيز . وأما من دخل فيها وكان حاقاً من حلقاتها فلا يصف الواصف فضله ولا يلحق أحد شأوه وقدره . فقد قال القطب الشعراني رضى الله عنه في فوائد النسبة العامة أن المنتسب يكون كالحلقة في السلسلة لا يتحرك في أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف غير المنتسب فإنه يتحرك وحده ويسكن وحده اهـ .

وقال المعارف الشعراني في مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين اعلم أيها المريد وقتنا الله وإياك لمرضاته أن من لم يعرف آباه وأجداده في الطريق فهو أعشى وربما انتسب إلى غير أبيه . فيدخل في قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله من انتسب إلى غير^(١) أبيه » ومرادنا بمعرفة الآباء صحة الاقتداء بهم في الأخلاق الشرعية ، وقال سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه :

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبوى

(١) في صحيح مسلم « من أدعى - أى انتسب - إلى غير أبيه أو اتعصى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » فالحديث يشمل - بطريق الإشارة - أدياء الطريق كلهم .

وذلك لأن الروح ألصق بك فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده . فكان بذلك أحق أن تنسب إليه دون الجسم . وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم . وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط لا أب له في الطريق ، ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق عن شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ، ثم يأذن له صريحاً بأن يرشد ويلتقن ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف رضى الله عنهم أجمعين اهـ وبعد هذا فلنشرع في المقصود بعون الله فنقول :

فصل

اعلم أن الاتصال بالشيخ أبي الحسن الشاذلى رضى الله عنه اشتهر من طريق الشيخين الإمامين العارفين السكبرين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن سليمان الجزولى صاحب دلائل الخيرات ، وأبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسى القاسى المعروف بزروق رضى الله عنهما .

فن طريق أبي عبد الله الجزولى تتصل الطريقة العيساوية والحمدوشية والوزانية والريسونية والبقالية وغيرها ، فإن سيدى محمد بن عيسى أخذ عن سيدى أحمد بن عمر الحارثى السفينانى عن سيدى محمد بن سليمان الجزولى وأخذ أيضاً بإذن شيخه المذكور عن سيدى عبد العزيز التابع عن الجزولى .

وأخذ عن سيدى على بن حمدوش العلمى العروسى المجذوب عن سيدى محمد الحفيان عن والده عن سيدى محمد أبى عبيد الشرقى عن والده أبى القاسم الجابرى الزعري وعن سيدى عبد الله بن ساسى كلاهما عن التابع عن الجزولى . وقيل إن سيدى عبد الله بن ساسى أخذ عن سيدى عبد العزيز التابع بواسطة تلميذه العارف السكبر سيدى عبد الله الغزوانى والصحيح أنه أخذ عن التابع بدون واسطة .

وأخذ العارف مولاى عبد الله الشريف العلمى الوزانى عن سيدى على بن أحمد

الصرصرى عن سيدى عيسى بن الحسن المصباحى عن سيدى محمد بن على الزمرانى المعروف بالطالب عن سيدى عبد الله الغزوانى عن التابع عن الجزولى .

وأخذ سيدى عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن ريسون وشقيقه سيدى على بن عيسى كلاهما عن العارف الغزوانى عن التابع .

وأخذ سيدى محمد بن على بن عيسى بن عبد الرحمن بن ريسون عن سيدى عبد الله بن حسين امغار عن الغزوانى أيضاً .

وأخذ سيدى محمد بن علال الحاج البقالى عن سيدى أبى الشتاء دفين فشتاله عن الغزوانى وكذلك يتصل به كثير من أولياء المغرب .

فصل

والشيخ الجزولى أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد الله امغار عن أبى عثمان سعيد المرتفانى عن أبى زيد عبد الرحمن الرجراجى عن أبى الفضل الهندى عن عتوس (بتشديد النون) البدوى راعى الإبل عن أبى العباس القرافى عن أبى عبد الله المغربى عن أبى الحسن الشاذلى .

قال : أبو العباس بن أبى الحسن الفاسى فى المنح الصافية هكذا نرى هذه السلسلة كثيراً عند فقراء العصر وما رأينا عندهم غيرها ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ الذين بين الشيخ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الشريف امغار والشيخ أبى الحسن الشاذلى واحداً ، وأما الشيخ أبو عبد الله امغار فلا نزال نسمع أنه لقيه الشيخ أبو عبد الله الجزولى بدكالة وأنه أخذ عنه وسمعت أنه يذكره باسم الشيخ فى بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب . قال والإمام القرافى المذكور لا اعلم هل هو صاحب القواعد والذخيرة وشرح الأربعين وغيرها والتاريخ يوافقه إن كان هو أم غيره ، وأبو عبد الله المغربى لم نجده فيمن وقع ذكره من أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى لطائف المنن وكتاب ابن الصباغ وكتاب

الإمام الشريف أبي محمد عبد النور على أنه لم يستوف ذكر واحد منهم وإنما ذكروا ما تيسر لهم من أعيانهم وعظماهم اهـ .

وقال حفيد أخيه أبو عيسى في تحفة أهل الصديقية والقراقي العالم المعروف لا يعرف بهذا الشأن فيؤخذ عنه طريق الصديقية وإنما يعرف له العلم الظاهر وإن كانت له مع ذلك ديانة وصلاح فهو أمر زائد على ذلك أخص منه اهـ .

قلت: ويبعده أيضاً كون القراقي أدرك أبا الحسن الشاذلي رضى الله عنه وأخذ العلم عن طبقة وأقرانه كالعز بن عبد السلام، بل مات القراقي قبل أكبر أصحابه وأشهرهم أبي العباس المرسى رضى الله عنه بسنتين فإنه مات سنة أربع وثمانين وستماية وكانت وفاة أبو العباس المرسى سنة ست وثمانين فيبعد أن يأخذ عن الشاذلي بواسطة مع اشتباهه وكونه معه في بلد واحد وتوفر الدواعى على الأخذ عنه، لا سيما وقد كان شيوخه يترددون إلى الشاذلي ويجالسونه، ويأخذون عنه . ثم على احتمال أن يكون فاتحه الأخذ عنه فاستدرك ذلك بواسطة بعض أصحابه فهو أخذ خرقة وتلقين لا أخذ صحبة واقتداء ، وطريق الشاذلية مبنية على الصحبة والاقتداء لا على الخرقة والتلقين، التي هي أقصى ما يصل إليه علماء الظاهر عند الميل إلى طريق التصوف واعتقاد الظاهرين من شيوخ الطريق في عصرهم .

ثم وجدت الشيخ ابن عطية السلاوى قال في كتابه سلسلة الأنوار عنوس البدوى عن شيخه القطب الشهير الجامع أبي الحسن على القراقي صاحب القرافة، فهذا لو صح لكان صريحا في تعيين كونه غير القراقي الفقيه لكنه مما انفرد به صاحب السلسلة ولم يذكره غيره ، بل كلهم اتفقوا على ذكره باسم أبي العباس القراقي أو الإمام القراقي . وأما أبو عبد الله المغربي فقد نقل صاحب دوحة الناشر عن شيخه الولي الصالح أبي الحجاج يوسف بن عيسى الفجيجي أن القراقي المذكور أخذ عن أبي العباس المرسى فإن صح ذلك من جهة النقل فالغالب على الظن أنه أبو عبد الله المغربي كناه بعضهم بذلك جهلا بكنيته ونسبته لأن أبا العباس أندلسى والأندلس

من المغرب في عرف المشاركة بل والجغرافيين والمؤرخين وإلا فهو أبو عبد الله بن سلطان المغربي التونسي أخو الشيخ ماضى أبي العزائم أو أبو عبد الله البجائي الخياط أو أبو عبد الله القرطبي الذي أرسله الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه من الإسكندرية إلى تونس ليربى أبا عبد الله بن سلطان ويكمل حاله حيث تركه صغيرا وكان يمدّه غيبيا ، فالعجب من قول أبى العباس الفاسى أنه لم يجد ذكر أبى عبد الله المغربي في أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلي المذكورين فيما سعى من الكتب وكل هؤلاء مذكورون في كتاب درة الأسرار لابن الصباغ .

ثم وجدت القادري قال في المقصد الأحمّد وما قاله أبو العباس بن الشيخ أبى الحسن الفاسى في مؤلف له في أسانيد أبيه وتبعه حفيد أخيه سيدى المهدي في التحفة والإلماع من أنه لا يعرف من هؤلاء الشيوخ أحد سوى الشيخ أبى عبد الله أمّار وأن القرافى المذكور لا يدرى هل هو العالم المشهور أو غيره وأن أبا عبد الله المغربي لم يوجد في لطائف المنن ولا في كتاب ابن الصباغ وسيدى عبد النور لا يوجب شيئا في هذا السند ولا يكسبه ضعفا ولا علة لما علم في أن علماء الظاهر لا يمتنون بمعرفة رجال هذه الطريق ولا بالتعريف بهم لعدم ترتب حكم شرعى على ذلك كما يترتب عليه في نقل الحديث، وإنما يمتنى بذلك أهلهم المنتسبون . وقد تواطأت هذه الطريقة الجزولية على حفظ هذا السند ونقله بعضهم عن بعض وكفى بذلك معرفة لرجال وشهرة لهم لاسيما وقد تضافرت جماعة من أهل العلم الظاهر والصالح على روايتهم لهذا السند أخذا وإجازة حتى تلميذ الشيخ الجزولى رضى الله عنه المؤذن بأنه أخذ ذلك عن الشيخ نفسه وهو أعرف شهادة وغيبا وناهيك تعريفا بهم معرفته هو لهم . والتردد في أن القرافى هو العالم المعروف أو غيره لا ينبغي إذ من المعلوم أنه لا يعرف له أخذ في الطريق ولو كان لوصفه به الأسيوطى في حسن المحاضرة عندما عرف به كما وصف كثيرا في العلماء بذلك وهو حافظ الدنيا وعالمها مع كونه من أهل بلده وعدم وجوده أبا عبد الله

المغربى فى الكتّاب المذكورة لا يؤذن بكونه منفيًا ولا مجهولًا. لأن تلك الكتّاب الثلاثة لم تتعرض لذكر أصحاب الشيخ الشاذلى كلهم ولا استوفت منهم بعض البعض ، هذا وقد ذكر الأبى فى شرح مسلم أن ابن البراء كان يقرأ فى مسجد القبة من تونس فأتاه رجل فقال له رأيت البارحة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى: قل لفلان يعطيك جبة ، فقال له ابن البراء قال لى أنا فى اليقظة لا أعطيك شيئًا فذهب الرجل فدخل على الرجل الصالح أبى عبد الله المشتهر بالمغربى فى موضعه القريب من المسجد المذكور فأعطاه الجبة فقبل له إن الرجل يتخرض فقال الشيخ لو علمت أنه صادق أعطيته الدنيا ، ومعلوم أن الشاذلى كان بتونس وترك أصحابا هنالك وابن البراء كان معاصرا له فأبو عبد الله المغربى المذكور فى الحكاية ليس هو إلا ذاك والله أعلم ، وهو دفين خارج تونس وقبره شهير هنالك يزار، ثم العلم بهؤلاء السادات الماضين من حيث الظاهر إنما هو بالشهرة والسامع وقد يكون الإنسان فى قطر شهير وأهل قطر آخر لا يعرفونه وهو لم يطاء تلك الأقطار كلها حتى يستقرى المجهول من المعلوم وهذا أبو زيد الرجراجى له شهرة عظيمة فى أرضه لم يصله خبره ، وهل الآخرون بالقياس عليه إلا كذلك. وحيث لم يعرفهم ولا عرف شهرتهم فليستند إلى من عرفهم وعرفها حتى لا يحكم على معلوم بجهالة ولا على مستور بخمالة اهـ. ولما نقله حفيده العلامة محمد بن الطيب القادري فى الزهر الباسم فى مناقب سيدى قاسم قال : وكأن أبا العباس الفاسى وحفيد أخيه سيدى المهدي ومن قبلهما لم يكنهم هذا القدر فى التعريف بهؤلاء الشيوخ إلا أن يقال هو كاف فى هذا الباب اهـ .

(قلت) أبو العباس الفاسى يتكلم على الإسناد من حيث الاتصال والانقطاع والمعرفة والجهالة فى الظاهر لا فى الباطن . فلا يلزمه أن ينتقل مما هو فيه إلا غيره وإلا كان خروجا عن الموضوع لأن البحث فى الإسناد . بل مجرد ذكره من علم

الظاهر لا من علم الباطن الذى يسلم لأهله ولا يبحث معهم فيه. ثم إنه لم يحزم بجمالة المذكورين بل ولا نطق بها وإنما نسب الجمل إلى نفسه بهم وعدم وقوفه على تراجعهم، وذلك لا يستلزم أن يكونوا فى نفس الأمر مجبولين فاعتراض أبى محمد القادرى رحمه الله تعالى عليه غير وجيه كما هو ظاهر والله أعلم .

وأبو زيد الرجزاجى ذكر فى (دوحة الناشر) أنه المعروف عند العامة بأبى زيد والياس المقبور بوادى شفشاو من أعمال مراکش وأنه أقام بمكة عشرين سنة مجاورا وكان من كبار العارفين الواصلين إلى مقام القطبية وقد تقدم فى كلام القادرى أنه مشهور ببلاده .

فصل

وللشيخ الجزولى طريق آخر إلى الشاذلى فيما ذكره العارف الغزوانى فى جواب أجاب به العلامة محمد اللقانى المالكي المصرى ذكر له فيه أن إمامه وقدوته فى هذا الشأن ، هو الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز التباع وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو عبد الله الجزولى وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو محمد عبد العزيز العجمى أخذ عنه بالجامع الأزهر وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو الحسن الشاذلى اه وهو منقطع جزما فإن بين وفاة الشاذلى وولادة الجزولى نحو مائة وخمسين سنة تقريبا وهو زمان لا يمكن الأخذ فيه بواسطة بل ولا واسطتين ، فلعل العارف الغزوانى يقصد أن العجمى المذكور تنتهى طريقته إلى أبى الحسن الشاذلى كما يقول الصوفية المتأخرون شيخنا أبو الحسن الشاذلى وكما يقول الشيخ الأكبر فى الفتوحات المسكية عن بعض المتقدمين شيخنا فى هذا المقام فلان كالحلاج والغزالى والجيلانى ، فليس المراد أنه شيخ بدون واسطة بل محمول على ما ذكرنا والله أعلم .

فصل

ومن طريق الشيخ زروق تتصل بالشاذلى رضى الله عنه الطريقة الناصرية والغازية والصادقية والفاسمية اليوسفية والجليلية والدرقاوية ذات الفروع

الكثيرة بالمشرق والمغرب التي منها طريقتنا الصديقية المنسوبة إلى والدنا الشيخ الإمام العلامة المجتهد العارف الكبير القطب الغوث الجامع أبي عبد الله سيدي محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الشريف الحسني رضي الله عنه، فإنه أخذها عن شيخه نور الملة والدين قطب الواعظين سيدي محمد بن إبراهيم الفاسي عن العارف الرباني سيدي عبد الواحد بناني عن العارف المولود سيدي محمد بن الغالي أيوب عن القطب الكبير سيدي أحمد بن عبد المؤمن جد مولانا الوالد عن إمام الأولياء مجدد الطريق في الألف الثاني مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي عن العارف الكبير سيدي علي الجمل العمراني عن سيدي العربي بن عبد الله عن والده أحمد ابن عبد الله عن سيدي أحمد النيني وسيدي قاسم الخصاصي أخذ عن الأول الجيلانية وعن الثاني الشاذلية وهو عمده وسيدي قاسم أخذ عن سيدي مبارك عبابو وعن سيدي محمد بن عبد الله الفاسي معن وهو عمده وسيدي محمد بن عبد الله عن سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي عن أخيه سيدي يوسف بن محمد الفاسي عن سيدي عبد الرحمن المجذوب عن سيدي علي الدوار عن سيدي إبراهيم إخمم الزهروني عن الشيخ زروق رضي الله عنهم أجمعين وأنا تلقنت وصحبت واقتديت بوالدي رضي الله عنه كما لبست وتبركت من غيره .

فصل

والشيخ زروق يتصل بالشاذلي رضي الله عنه من طرق متعددة فيما ذكره جماعة من أصحاب الفهارس والإنبات وتراجم الشيوخ، إلا إنهم وهو فيها فجعلوها طريق صحبة واقتداء وهي طريق خرقه وتبرك، بل منها ما هو مجرد رواية لكتاب الحكم العظائية بطريق الإجازة لا بالسمع والتلقي كما ستمعرفه .

الطريق الأول منها : عن أبي عبد الله محمد بن قاسم الغوري عن عبد الله بن أحمد بفتح الحاء والميم عن سيدي علي وفا عن والده سيدي محمد عن شرف الدين أبي سليمان داود بن عمر الباخلي عن تاج الدين أحمد بن عطاء الله عن أبي العباس

المرسى عن أبي الحسن الشاذلى هكذا ذكره صاحب المنح البادية فى سلسلة الطريقة الوفايئة وهو سند صحيح معروف الرجال ، إلا أنه ليس سند صحيحة واقتداء ، بل هو سند خرقة وتبرك ، فإن أبا عبد الله القورى الفقيه المشهور لم يكن من أهل هذا الشأن وإن كان من الصالحين . أما شيخه سيدى عبد الله بن حمد فكان من الأولياء المعقدين المتبرك بهم فى حياتهم وبعد مماتهم وهو مترجم فى الجذوة والساوة ونيل الابتهاج وغيرها مات بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فالسند متصل صورة منقطع معنى لوجود الغورى فيه وهو من علماء الظاهر لامن علماء الباطن .

الطريق الثانى : ذكره الشيخ زروق نفسه ونقله عنه جماعة منهم ابن حجر الهيئى فى فهرسته قال الشيخ زروق ألبسنى الخرقة وارخى لى العذبة العارف أبى حفص عمر النبيتى ولقننى الذكر وصاغننى وشابكنى قال ألبسنى العارف المجد صالح الزواوى وهو لبس من محمد بن محمد بن مخلص الطيبي وهو من الحافظ علاء الدين مغطاي وهو من شريف الدين أبى بكر المغربى والشريف محمد بن القطب أبى الحسن الشاذلى وهما من والد الثانى القطب الغوث الفرد الجامع أبى الحسن الشاذلى وهو كما ترى صريح فى لبس الخرقة . وسيأتى سند أبى الحسن الشاذلى فيه .

الطريق الثالث : عن العارف المجذوب سيدى أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن عروس التونسى صاحب الكرامات والخوارق وشيخ الطريقة العروسية عن سيدى محمد الجاهدى عن سيدى سليمان الجزار عن الشيخ الجبتيانى عن سيدى محمد الحنفى عن ابن عطاء الله عن أبى العباس المرسى عن أبى الحسن الشاذلى وهو سند غير صحيح من جهتين :

إحداها : أن الحنفى ولد بعد وفاة ابن عطاء الله بأزيد من ستين سنة .

وثانيتها : أنه يتصل بالشاذلى من جهة ياقوت العرشى عن المرسى لامن جهة ابن عطاء الله كما هو معروف .

وقد ذكروا لسيدى أحمد بن عروس طريقاً آخر وهو أنه أخذ عن الشيخ فتح الله بن يوسف العجمى عن سيدي ياقوت العرشى عن أبى العباس المرسى عن أبى الحسن الشاذلى ، كذا ذكره جماعة منهم الشيخ الشهير أبو محمد عبد السلام^(١) بن سليم الأسمر فى سلسلة طريقته . ونظم ذلك منه إلى النبی صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الطريق المشهورة لأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وهو سند منقطع أيضاً فإن فتح الله العجمى لم يدرك ياقوت العرشى بل ولد بعد وفاته بنحو خمس وثلاثين سنة لأن العرشى مات سنة اثننتين وثلاثين وسبعائة والعجمى ولد بعد سنة سبع وستين كما يستفاد من الضوء اللامع للسخاوى فإنه قال توفى سنة ثمان وأربعين ورأيت من أرخ وفاته سنة سبع وقد قارب الثمانين فيكون ولد بعد العرشى بالزمن المذكور ، ثم إن المعروف فى طريق فتح الله العجمى أنها جُستيه أخذها عن صدر الدين الناكورى عن نصير الدين محمود الأودهى عن نظام الدين الدهلوى عن فريد الدين شكر كنج عن قطب الدين الدهلوى عن معين الدين الجشتى بسنده المعروف المتصل بإبراهيم بن أدهم عن الفضيل بن عياض عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن البصرى عن على عليه السلام .

وقد ذكر هذا السند أيضاً الشيخ عبد السلام الأسمر فى نفس المنظومة إلا أنه صدر بالأول وجعله عمدته ، بل صرح هو وغيره من شيوخه بأن طريقتهم شاذلية ، بل قالوا إن طريقتهم العروسية هى لب الطريقة الشاذلية ، والواقع إنها طريقة جشتية إذ كانت ولادة سيدي أحمد بن عروس فى الطريق على يد الشيخ فتح الله العجمى أو عروسية منفردة إن كان سيدي أحمد بن عروس وصل من طريق الجذب الإلهى والله أعلم .

(١) كثير من الصوفية هنا يعتقدون أن هذا هو الشيخ عبد السلام بن مشيشى صاحب الصلاة المشيشية وهو خطأ .

الطريق الرابع: عن الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى عن عبد الرحمن بن عمر القبابى بكسر القاف وفتح الواحدة نسبة إلى القباب الكبرى موضع^(١). عن تقي الدين على بن عبد الكافى السبكى عن تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى عن أبى العباس المرسى عن أبى الحسن الشاذلى كذا ذكره ابن حجر الهيئى فى فهرسته فقال: «ولشيخ زروق طريقة أخرى إلى الشاذلى قيل ما فيها رجل إلا وتقطب» ثم ذكر هذا السند وذكره أيضاً العلامة محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فى المفتح البادية فقال فى أسانيد الطريقة الشاذلية: «وهى طريقتان طريق الصحة والاعتداء وطريق التبرك والتلقين أما طريق الصحة والاعتداء فقد صحبت شيخنا الإمام أبى البركات يعنى عبد القادر الفاسى واقتديت به وسمعت عليه أحزاب الشاذلى وكثيراً من كلامه وهو يرويها من طريق الشيخ زروق عن الشمس السخاوى» فذكر السند إلى الشاذلى وسبقهما إلى ذلك الشيخ طاهر بن زيان القسنطينى نزىل المدينة المنورة وهو تلميذ الشيخ زروق فنظم سلسلة الطريقة الشاذلية عن شيخه زروق عن السخاوى إلى الشاذلى ثم منه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ونقل منظومته بتمامها العلامة الصومعى فى كتابه المعزى بمناب أبى يعزى، ثم قال فالشيخ السخاوى رضى الله عنه أخذ هذه الطريقة بحقوقها وشروطها عن الشيخ السكامل أبى زيد عبد الرحمن بن عمر القبابى، وأخذها أبو زيد عن الشيخ الحاصل الجامع للشريعة والحقيقة أبى الحسن على بن عبد الكافى والكل معروف عند الأصوليين وأهل علم البيان وأئمة هذا الشأن اهـ .

وكل هذا خبط وتخليط وتهور قبيح . أما أولاً فإن هذا ليس سنداً للطريق ولا للخزقة وإنما هو سند لكتاب الحكم العطائية لجرد الإجازة ، فقد ذكره الشيخ زروق فى أول شرحه السابع عشر للحكم فقال : وأما الإسناد فقد أخبرنا به إجازة شفاها الشيخ شمس الدين السخاوى سنة ست وسبعين وثمانماية بداره بالقاهرة قال

(١) هى إحدى بلاد مركز دكرنس محافظة الدقهلية .

أخبرنا به إجازة من بيت المقدس الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القبابي قال
أخبرنا به في جملة كتب الشيخ ابن عطاء الله شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن على
ابن عبد الكافي السبكي عن مؤلفها هـ .

وأما ثانياً فإن السخاوى لم يلق القبابي ولا رآه بعينه فضلاً عن أن يكون
صحبته وأخذ عنه الطريق بشروطها وآدابها كما يقول الصومعى ، وإنما استجاره له
الشمس بن قمر فأجاز له من بيت المقدس وهو بالقاهرة بل لما مات القبابي كان
السخاوى ابن سبع سنين لأن القبابي مات سنة ثمان وثلاثين ببيت المقدس وكانت
ولادة السخاوى سنة إحدى وثلاثين ، وبهذا الطريق أيضاً كان أخذ القبابي عن
التقى السبكي فإن القبابي كان لما مات التقى السبكي ابن سبع سنين أيضاً لأنه ولد سنة
تسع بتقدیم التاء وأربعين وسبعماية وكانت وفاة التقى السبكي سنة ست وخمسين
وإنما أجاز له إجازة عامة دخلت فيهما مؤلفات ابن عطاء الله ، وللرغبة في علو الإسناد
يتعلق الحديثون في الرواية بمثل هذا إذ كان القبابي قد عمر وألحق الأحفاد بالأجداد
وشارك السخاوى فيه كبار شيوخه ، كالحافظ وأقرانه فإنه ممن أخذ عن القبابي
بالسمع وذكره في معجم شيوخه ، وبسبب أخذ القبابي في صغره بالإجازة عن التقى
السبكي وأقرانه علت روايته وحصلت الرغبة في الأخذ عنه للمحدثين ، فأين هذا
من طريق الصحبة والاقتداء بآدابها وشروطها .

وأما ثالثاً فإن الحافظ السخاوى رحمه الله ما شتم لطريق الصوفية رائحة فضلاً
عن الولاية فضلاً عن القطبية بل هو عدو لكثير من أهل الله كابن الفارض وابن
سبعين وابن العربي وتلك الطائفة . وله في إكفار الشيخ الأكبر ابن العربي رضى
الله عنه مجلد كبير سماه القول المبني اعتمد فيه على فتاوى علماء الظاهر أمثاله بإكفار
الشيخ الأكبر وتضليله بدون ذكر علم ولا دليل ، فكيف يوصف بالقطبية هو

والقبابى كما يحكيه ابن حجر الميتمى مع أنه ممن يعرف جيداً مواقف السخاوى ضد الصوفية العارفين وردود الحافظ السيوطى عليه وعلى أمثاله والانتصار لهم .

فصل

وطريق الصحبة والافتداء للشيخ زروق رضى الله عنه هو ما أخذه عن الشيخ العارف الكبير أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى عن أبى زكريا يحيى القادرى عن سيدى على وفا عن والده سيدى محمد وفا عن أبى سليمان داود بن عمر الباخلى عن تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله عن أبى العباس المرسى عن القطب أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم .

فصل

فأما أخذ الشيخ زروق عن أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى أخذ صحبة واقتداء واردة وتحكيم فأمر مجمع عليه بين أهل الطريق وصرح به الشيخ زروق نفسه، فذكر أنه اجتمع به فى أوائل رجب سنة ست وسبعين بالقاهرة فصحبه سبعة أشهر أو نحوها، ثم رحل إليه فى سنة ثلاث أو أربع وثمانين فصحبه نحو ثمانية أشهر أو نحوها، قال وانتفعت به فيها انتفاعاً لا يخفى وقال إنه ما لقى أعرف بالله منه ولا أكبر منه ، وصدر به فى أول طبقات شيوخه الذين رتبهم على سبع طبقات : الأولى العارفون أهل التمسكين، الثانية العارفون أهل التلوين، الثالثة أهل السلوك من المريدين، الرابعة أهل الورع، الخامسة الزهاد، السادسة العباد، السابعة أهل النسك. ولا ينقل فى كتبه إلا عنه بل أفرد بالترجمة فى كتاب مستعمل فيما يقال، فإنه يوجد كتاب فى ترجمة أبى العباس الحضرمى لم يعرف مؤلفه ويشاع إنه للشيخ زروق .

فصل

وأما أخذ الحضرمى عن أبى زكريا القادرى فمشكل من وجوه ، منها أنه وجد بخط الشيخ زروق أنه سأل شيخه الحضرمى عن خرقة فقال نحن لا نعرف

شيئاً من هذا ، ولكن طريق أُمى وسلفها تنتهى إلى الشيخ أبى مدين المغربى اه
فقد يفهم من هذا أن الحضرمى لا شيخ لله وهو مدفوع بأن السؤال إنما وقع عن
الخرقة وسندها لا عن صحبة من اقتدى به وسلك على يديه أو سرى من جهة المدد
فإن الشيوخ ثلاثة: شيخ التلقين ، وشيخ الخرقة ، وشيخ الصحبة والاقتداء . وهذا
الأخير هو الذى عليه الاعتماد^(١) ولا سيما عند الشاذلية ، فإنهم لا يعتمدون الخرقة ،
بل ولا يعرفونها ، كما قال الحضرمى لا سيما شيوخ المغرب ، فلو سئل الجمل أو تلميذه
مولاي العربى الدرقاوى ، بل وشيوخ الجمل إلى المجزوب والدوار وإفهام لأجابوا
بما أجاب به الحضرمى من كونهم لا يعرفون الخرقة أصلاً ولا لبسوها من يد أحد
كما هو أيضاً حال شيوخنا وأشياخهم لأنهم إنما يعرفون الصحبة والاقتداء
والسلوك والاجتماع الذى يصح به الانتساب ويحصل به النفع من الأعلى للأدنى .
قال القسطلانى فى المواهب اللدنية: وكثير من السادات يكتفى بمجرد الصحبة
كالشاذلية وشيخنا أبى إسحاق المتبولى اه .

وقال ابن حجر الميمنى فى فهرسته : ثم إن السادات الشاذلية لا يعتبرون فى
طريقتهم لبس الخرقة وإنما المعول عليه عندهم الصحبة الصادقة مع الاقتداء اه .

وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن سمعت شيخنا أبا العباس أحمد المرسى رضى
الله عنه يقول : طريقتنا هذه لا تنسب للشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد
إلى الحسن بن على بن أبى طالب وهو أول الأقطاب ، وإنما يلزم تعيين المشايخ
الذين يستند إليهم طريق الانتساب من كانت طريقتهم بلبس الخرقة فإنها رواية
والرواية تتعين بتعيين رجال سندها ، وهذه هداية ، وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل
عليه منة لأستاذ ، وقد يجمع شمله برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون آخذاً
عنه وكفى بهذا منة اه .

(١) وينقسم إلى مربى ومرقى .

فصل

ومنها: أن الشيخ أبا زكريا القادري هذا غير معروف ، فمنهم من جعله قادري النسب والطريقة فقال عن أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن أبي زكريا يحيى عن والده أبي السعود أحمد عن والده أبي صالح نصر عن والده أبي محمد عبد الرزاق عن والده القطب الشهير مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بسنده المعروف إلى الحسن البصري عن علي عليه السلام ، نقله أبو العباس الفاسي في (المنح الصافية) عن بعض التقاييد ، ثم قال : والذي يغلب على ظني أنه سقط شيء من هذا الإسناد ، فإن الشيخ تاج الدين البكري الشريشي صاحب القصيدة الشريشية روى ببغداد عن أبي صالح نصر هذا . وقد توفي الشريشي سنة إحدى وأربعين أو ثلاث وأربعين وستماية على الخلاف فيه . والشيخ أبو الحسن علي بن محمد وفا شيخ الشيخ أبي زكريا يحيى توفي سنة سبع وثمانماية ، فانظر في ذلك اهـ .

وقال أخوه أبو حامد (في مرآة المحاسن) : إن التاريخ يأبى ذلك ، فقد ذكر جلال الدين السكركي في كتابه (نور الخدق في لبس الخرق) أن شيخه شمس الدين البكري لبس الخرقة من الشيخ ففتح الدين المالقي سنة إحدى وعشرين وثمانماية وهو لبسها من الشيخ صلاح الدين الفؤي المعروف بالميقاتي ، وهو لبسها من الشيخ علاء الدين علي وأخيه زين الدين عبد القادر ، وهما لبساها من والدهما الشيخ شمس الدين محمد ، وهو لبسها من والده الشيخ سيف الدين يحيى ، وهو من والده الشيخ ظهير الدين أحمد ، وهو من والده الشيخ عماد الدين أبي صالح نصر ، وهو من والده تاج الدين عبد الرزاق . وكانت وفاته سنة ثلاث وستماية ، وهو لبسها من والده الشيخ عبد القادر ، فقد لبسها البكري قبل ولادة الشيخ ابن عقبة بثلاث سنين من المالقي الذي لبسها من الميقاتي الذي لبسها من حفيد الشيخ (٢ — البرهان الجلي)

سيف . فواضح أن الشيخ سيف الدين يحيى فى طبقة متقدمة لا يمكن أن يأخذ عنها الشيخ ابن عقبة ، انتهى .

قلت : وهو استدلال طويل أوجبه عدم الوقوف على تاريخ وفاة أبى زكريا يحيى بن أحمد القادرى الذى مات بمدينة حماء سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وذلك قبل ولادة ابن عقبة بتسعين سنة بتقديم الناء لأنه ولد سنة أربع وعشرين وثمانماية ثم إنه سقط من النسب الذى ذكره رجل ، وهو محمد بن أبى صالح نصر ، فالصواب أبو زكريا يحيى بن أبى السعود أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ، كما ذكره ابن قاضى شهبه فى كتابه (الإعلام بتاريخ الإسلام) والحافظ تقي الدين محمد بن رافع السامى وغيرهما .

وقال أبو عيسى فى (تحفة أهل الصدقية) وأما أحمد بن عقبة الحضرمى فقد تعدد وجدان اتصاله بالشيخ ابن وفا ، فتأكد كونه شاذلى الطريقة إلا أنه فى بعضه بالواسطة وفى بعضه بدونها ، وإذا لم يصبح دون واسطة فتتبعين الواسطة وفى بعض ذلك جعل الواسطة الشيخ أبى زكريا يحيى بن أحمد القادرى ، ولا يبعد أن يكون ذلك وهما ويُسَمَّىه والله أعلم أن يكون المراد بالشيخ أبى زكريا يحيى ابن الشيخ أبى العباس أحمد أخى الشيخ أبى الحسن على بن وفا ، وهو أخذ عن والده سيدى أحمد عن والده سيدى محمد اه .

قلت: وهذا الذى ذكره ظنا قد صرح به جماعة تحقيقا ، فذكر (فى المنح البادية فى سند الطريقة الوفاية) أن العارف الشعرانى أخذها عن الشيخ شاهين المتوفى سنة أربع وخمسين وتسعمائة عن أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى عن يحيى بن أحمد الوفاى عن إمام الطريقة عمه سيدى على .

وذكر الملا إبراهيم الكردى الكورانى فى كتابه (أنباه الأنباه) بسنده إلى سيدى محمود مرداش الحمدي عن أبى العباس أحمد بن عقبة عن أبى زكريا عن أبى الحسن على بن وفا ، إلا أنه اقتصر على ذكر كنية أبى زكريا بدون وصف

لا بالقادري ولا بالوفائي ، لكن بشكل عليه أمور، منها أن يحيى بن أحمد الوفاي كنيته كما ذكر السخاوى (فى الضوء اللامع) أبو السیادات لا أبو زكريا ، إلا أن يقال : لعل أول من كناه بذلك فى السلسلة لم يعرف كنيته الخاصة ، فكناه بكنيته ، ومنها أنه غير قادري لا نسبا ولا طريقة، بل هو إدريسى النسب ، شاذلى الطريقة، إلا أن يكون اشتهر بذلك لأمر اقتضاه وبعده كون السخاوى لم يصفه بذلك ، مع اعتناؤه بالأنساب والألقاب، وكونه من معاصريه وأهل بلده ، ويمكن أن يكون تحريفا من القاهري وهو أيضا بعيد لا تفاهم على وصفه بالقادري .

فصل

ومنها: أن الشيخ أبا العباس أحمد بن عقبة الحضرمي رحل من بلده حضرموت إلى مكة سنة ست وأربعين وثمانماية ، وأقام بها عشرين سنة كما ذكره الشيخ زروق فيكون انتقاله إلى القاهرة بعد سنة ست وستين وفى ذلك الوقت كان يحيى بن أحمد الوفاي قد مضى لوفاته نحو تسع سنين لأنه مات سنة سبع وخمسين اللهم إلا أن يكون الحضرمي رحل إلى القاهرة فى حياة أبى السیادات ، ثم رجع إلى مكة ، وهو بعيد ، أو رحل أبو السیادات إلى الحجاز وهو بعيد أيضا ، لعدم تعرض السخاوى لذلك فى ترجمته وهو شديد الاعتناء بذكر رحلة المترجمين فيه إلى الحج .

فصل

ومنها أنهم اتفقوا على أن أبا زكريا القادري أخذ عن سيدى على وفا وأبو السیادات يحيى بن أحمد الوفاي لم يصحب عمه سيدى على ولا تأدب به فى الطريق ، لأن عمه مات وهو ابن تسع سنين لم يبلغ سن الصحبة والافتداء لأنه ولد سنة ثمان وتسعين بتقدیم التاء وسبعماية ، ومات عمه سيدى على سنة سبع وثمانماية فإن كان هو المذكور فى السند، فلا بد من واسطة أخيه ، أبى الفتوح محمد، فإنه كان تلميذا له كما يستفاد من كلام السخاوى. إذ قال وجلس بعد موت أخيه

أبى الفتح مكانه، وتكلم على الناس فرزق القبول، فإنه يفيد كونه تلميذا لأخيه حيث خلفه في مجالس التدكير، ولم يعقد ذلك في حياته كما أن أخاه أبا الفتح قام مقام عمه سيدى على بعد وفاته، كما في ترجمته من (الضوء اللامع) لكن يعكر على هذا كون أبى الفتح تلميذا أبيه أحمد بن محمد وفا لاعمه سيدى على والسند من طريق سيدى على، لا من طريق أخيه أحمد، فقد ذكر السخاوى أن سيدى عليا كان يشير إلى أن مدد أبى الفتح من أبيه، ويؤيده كون الطريقة الوفايية تروى من طريق أبى الفتح عن أبيه أحمد لا عن عمه على .

فصل

فبان من هذا أن أبا زكريا القادري هو غير يحيى بن أحمد الوفايى أبى السيادات، كما فهمه أبو عيسى القاسى، ومن صرح به بعده فإنما اعتمد على ظنه فحققه بل هو شيخ آخر قادري النسب شاذلى الطريقة من أصحاب سيدى على وفا أخذ عنه أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمى بمكة أو غيرها ولم تعرف له ترجمة والله أعلم .

فصل

وأما من يقول عن أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى عن أبى الحسن على ابن وفا بدون واسطة أبى زكريا المذكور فقولُه باطل، فإن الحضرمى ولد بعد وفاة أبى الحسن على بن محمد وفا بنحو سبع عشرة سنة لأنه ولد سنة أربع وعشرين وثمانماية وتوفى سيدى على وفا سنة سبع وثمانماية وأبطل من هذا قول من قال عن زروق عن ابن وفا .

فصل

واتفقوا على أن سيدى عليا وفا أخذ عن والده سيدى محمد مع أنه لم يدرك من حياته إلا أربع سنين على ما يستفاد من كلام الشعرانى، فى تاريخ ولادته، أوست سنين على ما يستفاد من كلام السخاوى، لكن ذكر العارف الشعرانى

أن سيدى محمدا وفا أوصى بمنطقته أن تخلع على ولده عند كبره ، فلما خلعت عليه وقع له الفتح ، وهذا يدفع الإشكال في نسبته إلى والده في الفتح ، مع أنه تركه في السن المذكور ، وقد وقع مثله لكثير من الأولياء ، كسيدى العربى الفشتالى مع سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنهما فإن الأول أوصى للثانى بقلنسوته قبل أن يولد ، فقال لو لدته إنه سيولد لك ولد فإذا كبر فادفعى إليه هذه الامانة ، فلما لبسها سرى إليه المدد وحصل له حال ، فكان ذلك بداية فتحه ، وكذلك الشيخ بابا جرج التبريزى ، مع الشيخ نجم الدين الكبريا كما سيأتى فى سر الباس الخرقه عند العارفين .

فصل

ولأبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى طريق آخر إلى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فإنه أخذ عن الشيخ عبد الكبير الحضرمى ، عن عمر العرابى عن عبد الرحمن الشافعى ، عن ابن المياق ، عن ياقوت العرشى ، عن أبى العباس المرسى عن أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم .

فصل

وأما الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فله طريقان : طريق لإرادة وتحكيم ، وطريق خرقه وتبرك ، أخذها قبل أن يأخذ الأولى .

أما طريق الإرادة والتحكيم ، فعن القطب الكبير أبى محمد مولانا عبد السلام ابن مشيش عن سيدى عبد الرحمن المدنى العطار ويقال له الزيات ، عن تقى الدين الفقير بالتصغير فيهما ، عن القطب فور الدين ، عن القطب تاج الدين ، عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزوينى عن القطب أبى إسحاق البصرى عن القطب أبى القاسم أحمد المروانى ، عن القطب أبى محمد سعيد ، عن القطب سعد عن القطب أبى محمد فتح السعود ، عن القطب سعيد الغزوانى عن القطب أبى محمد جابر ، عن أول الأقطاب وأجل الأصحاب سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب عليهما

السلام عن والده باب مدينة العلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتعلق بهذا السند مباحث .

الأول: اختلف في هذا السند هل هو من أخذ الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو من أخذه عن والده على عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره ابن مفضل (في السكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء بسيد الدنيا والآخرة) وابن عسكر في (دوحة الناصر في أخبار أهل القرن العاشر) وأبو حامد العربي الفاسي (في مرآة الحاسن بإخبار أبي الحاسن) وأبو علي اليوسي وأبو سالم العياشي وأبو العباس أحمد بن العربي ابن الحاج، والشهاب أحمد بن العجمي وأبو الحسن البوتيجي والشمس البديري الستة في اثباتهم والملا إبراهيم الكردي والسكراني في (أنباء الأنباه) بتحقيق إعراب كلمة لا إله إلا الله، وابن عياد (في المفارح العلمية) والصومعي (في المعزى في أخبار أبي يعزى) وأبو محمد القادري (في المقصد الأحمد) في أخبار سيدي أحمد بن عبد الله وأبو عيسى المهدي الفاسي في (تحفة أهل الصديقة بأسانيد الطريقة الجزاوية والزورقية) وأبو الصلاح علي بن محمد الصمعيدي (في تطهير الأنفاس بمناقب أبي العباس) وأبو علي ابن رحال المعداني (في الروض المانع الفايح في مناقب أبي عبد الله محمد الصالح) وأبو عبد الله السنوسي (في السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين) وغيرهم إلى الحسن بن علي عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ويؤيده، قول أبي العباس المرسى، كما ذكره تلميذه ابن عطاء الله في طريقة الشاذلي رضي الله عنهم أنها تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : طريقنا هذه لا تنسب للمشاركة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو أول الأقطاب اهـ .

وذكره جماعة منهم الشيخ زروق فيما نقله عنه ابن حجر الهيتمي في (فهرسته) وابن عطية السلاوى (في سلسلة الأنوار) والشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر (في نصيحة المريدين) وأبو العباس أحمد بن أبي الحاسن الفاسى (في المنح الصافية في الأسانيد اليوسفية) وأبو العباس أحمد بن عجيبة في (فهرسته) ، وشرحه على الحكم ، وأبو عبد الله الحراق في شرحه عليها أيضا ، وأبو محمد الكوهن في (فهرسته) ، والشيخ الفاسى المسكى (في الفتوحات الربانية) وتلميذه العلامة السندى في ترجمته ، وآخرون يطول عددهم بزيادة ذكر على عليه السلام .

ويؤيده كون جميع الطرق تنتهى إليه ، إلا ما لا يصح سنده ، وكان من طريق الاتصال الروحاني وكونه أول من تكلم في التصوف ومعارف القوم ، كما سيأتى بسطه .

وذكر بعضهم أنها تروى من الطريقين من جهة الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن جهته عن على لأن الحسن كان أول فتحه ومدده من يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم صحب واقتدى بوالده عليه السلام ، كما وقع لكثير من أهل الله تعالى ، حصل لهم الفتح من يده صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة ، برؤيا منامية أو اجتماع روحاني ، ثم صحبوا بعد ذلك الشيوخ للسلوك والتهذيب ، أو انتسبوا إليهم للأدب مع الشريعة والركون إلى الوساطة .

وذكر بعضهم أن الحسن ورث القطبية من والدته سيدة نساء أهل الجنة صلى الله عليه وسلم وهى أول الأقطاب على الإطلاق ، وكل هذا صحيح فإنهم بيت النبوة ، ومنبع المعارف والكمالات والأسرار ، وقد ألبسهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميعا بكسائه الشريف ، وسقاهاهم بمدده العظيم ، وشملهم بنوره الفخيم ، فحازوا منه صلى الله عليه وآله وسلم أعلى مراتب الولاية ، وأقصى ما يصله البشر من درجات العرفان قالت عائشة رضى الله تعالى عنها دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فألقى عليهم ثوبا فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب

عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) فدنوت منه فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك فقال: تمنحني فإنك على خير.

رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم واللفظ له ، والحاكم والبيهقي في الدلائل والشعب ، وغيرهم باختلاف يسير .

ورواه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه على شرط الشيخين وابن مردويه من طرق عن أم سلمة رضى الله عنها قالت هذه الآية نزلت في بيتي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وفي البيت على وفاطمة والحسن والحسين فجللهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بكساء كان عليه ، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فقلت: أنا معهم يا رسول الله ، فقال إنك على خير أنت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالسر في هذا الإلباس الذي منع أن يدخل معهم فيه غيرهم ، هو سر يان المدد لإلاهي الفايض فيه صلى الله عليه وسلم منه إليهم بواسطة ذلك الثوب كإسمايلى بمانه فى الكلام على سر الباس الخرقه عند العارفين وإلا فلا معنى لإلباسهم الثوب عند الدعاء بالتطهير ، فإن دعاءه صلى الله عليه واله وسلم مستجاب ، والإلباس لا تعلق له به ، لولا إرادة المعنى الذى يقوله الصوفية العارفون رضى الله تعالى عنهم فإنه لا يحتمل غيره بلا شك ، والله أعلم .

الثانى : كون الراوى عن الحسن عليه السلام هو أبو محمد جابر غير مذكور والده ولا نسبه هو كذلك عند جميع من أورد هذا السند ، إلا أبا على بن رحال فإنه قال فى (الروض الیانع الفایح) أنه جابر بن زید وهو بعيد أو باطل لأن جابر بن زید بصرى بعيد عن أهل البيت بل ناصبى مبغض لهم وإن نقلوا عنه القبرى من ذلك فإن الإباضية^(١) كلهم ينتسبون إليه وهو إمامهم ومفخرتهم وعليه يعتمدون

(١) بكسر الهمزة ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، بالكسر ، وهم طائفة من الخوارج ، يدينون ببغض على وأهل بيته عليهم السلام .

في مذهبهم، ومن جهته يسندون أحاديث فروعهم، بل لا يكادون يروون إلا عنه كما يعلم من مسند الربيع بن حبيب الإباضي ومع هذا فلم أر من ذكر روايته عن الحسن عليه السلام، وإلا الصومعي التادلي^(١) فإنه صرح في (المعزى) بأنه جابر بن عبد الله الأنصاري وهذا هو الأقرب، بل المتعين، فقد أسند الخرقة جماعة من جهته رضى الله عنه، كما سيأتى، والآخذ عنه سعيد الغزواني بالعين المعجمة بعدها زأى منقوطة، كما عند الأكثر: وعند القشاشي في (السمط) والفاسي (في الفتوحات) سعيد القيرواني بالقاف بعدها ياء ثم راء مهملة نسبة إلى القيروان وقال بعضهم سعيد القزويني، نسبة إلى قزوين، وقال بعضهم المغرواني بالميم بعدها غين معجمة ثم راء مهملة ثم واو نسبة إلى مغروان .

والآخذ عنه فتح السعود فيما ذكره الأكثر من بغير ياء النسبة وذكره الصومعي وابن عسكر والكوراني والقادري وابن العجمي والعمياشي والبديري والفاسي في (التحفة) بزيادة ياء النسبة، وذكره القشاشي واليوسى والبتنوني (في السر الصفي) مثله أيضاً مع زيادة الميم في أوله وأغرب ابن الحاج، فقال في (برناجحه) خفر السعود والآخذ عنه سعيد بغير ياء، والآخذ عنه سعيد بزيادتها عند الأكثرين، وعكس بعضهم وحذف بعضهم سعيداً، والآخذ عنه أبو القاسم أحمد المرواني فيما عند الجميع، إلا العارف الفاسي المسكي فإنه قال أبو القاسم بن مروان وتبعه تلميذه السندي (في ترجمته) والآخذ عنه أبو إسحاق إبراهيم البصري، في قول الجميع والآخذ عنه زين الدين القزويني، وسماه جمع كابن حجر والقشاشي محمود، وسماه بعضهم محمداً، والآخذ عنه شمس الدين، سماه الجميع محمداً، وزاد بعضهم وصفه بالمعداني المقيم بأرض الترك والآخذ

(١) نسبة إلى تادلة، قبيلة من قبائل البربر بمراكش مثل صنهاجة، وغيرها، وقد أنجبت هذه القبائل علماء وأولياء كثيرين .

عنه تاج الدين محمد ، والآخذ عنه نور الدين أبو الحسن على والآخذ عنه نضر الدين اسمه محمد أيضاً ، والآخذ عنه تقي الدين الفقير اسمه عبد الرحمن النهروندى نسبة إلى نهروند من قرى واسط بالعراق ، والآخذ عنه عبد الرحمن المدنى اسم والده الحسين فيما ذكره جماعة ، وسمى البدرى والده محمداً وزاد اسم جده عبد الرحمن أيضاً فله أعلم .
ووقع في هذه الأسماء اختلاف كثير بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير بسبب تحريف الناقلين والذي صححه جماعة كأبي العباس الفاسى في (الفتح الصافية) وأبى محمد عبد السلام بن الطيب القادري (في المقصد الأحمـد) هو ما ذكرناه .

(الثالث) هؤلاء الرجال لا يعرف لأحد منهم عين ولا حال إلا عبد الرحمن المدنى العطار ، فإنه معروف العين بأخذ القطب ابن مشيش عنه وتصريحه بأنه كان يأتيه من المدينة المنورة طياً للتريبة والتسليك ، كما نقله عنه تلميذه أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنهما ، والباقون قد بحثنا عنهم كثيراً نحن ومن قبلنا فلم نجد من ذكرهم ولا بعضهم .

قال : أبو العباس الفاسى في (الفتح الصافية) لست أعرف من هؤلاء الشيوخ الذين بين الإمام الحسن والشيخ عبد الرحمن المدنى واحداً ، وإنما ذكرتهم تقليد للفروضى ، ثم هذه الطريق ، والله أعلم ، هى التى عنى قطب زمانه تاج الدين أبو الفضل أحمد بن عطاء الله رضى الله عنه فيما قدمنا عنه والله أعلم بالصواب .

وقال أبو عيسى (في التحفة) رجال السند المذكور غالبهم لا يعرفون ، كما أشار إليه صاحب (النبذة) وكذا صاحب (داعى الفلاح) اهـ وهو محمد زين العابدين بن محمد المعروف بسبط الموصى المتوفى سنة خمس وخمسين وتسماية .

ومن أجل هذا لم يحزم بها أبو حامد الفاسى في (مرآة المحاسن) فقال بعد حكاية قول الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه طريقتهما لا تنسب للمشاركة ولا للمغاربة وإنما هى واحد عن واحد إلى الحسن بن على عليهما السلام مانصه : فقد أثبت

الشيخ أبو العباس وجود السلسلة متصلة فمن وافقها نقلاً فذاك الآخذ والانتساب ومن لنا بالموافقة ، قال شيخنا الإمام أبو عبد الله القصار ولا يلزم من الآخذ الانتساب فإن الإنسان يأخذ عن شيوخ كثيرة ، وينتسب لواحد ، ولا علم لنا لمن ينتسب سيدى عبد الرحمن المدنى ولو تحققنا أخذه عن معين واحد أو أكثر اهـ .

قلت: قد ذكر بعضهم أنه أخذ عن أبي العباس أحمد الرفاعى وعن أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونه الخراعى الأندلسى ، وعن أبي زيد عبد الرحمن التناجرى وأبعد بعضهم فقال إنه أخذ عن الشاشى ، كما سيأتى .

ونقل أبو زيد الفاسى فى (إبتهاج القلوب لمناقب أبي الحسن الفاسى وشيخه الجذوب) عن المواهبى أن المذكورين كلهم أشرف وهذا يقتضى معرفته بهم ولعله أخذ ذلك من قولهم فى طريقة أبي الحسن الشاذلى إنها طريقة الأشراف .

ثم إن الشيخ العارف أبا عبد الله محمد بن مسعود الفاسى المكي وصف رجال السند المذكورين فى كتابه (الفتوحات الربانية) بما فيه بعض تعريف بالمقام ، إلا أنه أتى بما يستحق أن يوصف به كل عارف بالله تعالى .

فقال: وأما سيدى عبد السلام فأخذ عن سيدى وأستاذه بحر العلوم وترجمان لسان أهل العوارف القطب الربانى والغوث الصمدانى الشريف سيدى عبد الرحمن المدنى العطار الملقب بالزيات لسكناه بحارة الزياتين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، كان رضى الله عنه من أكابر أولياء الله تعالى وكان من رجال الغيب وكان غوثاً كاملاً فرداً جامعاً أتى إلى مولانا عبد السلام بن مشيش لما وقع الجذب وهو ابن سبع سنين فدخل عليه وهو عليه سيمى أهل الله ، فقال: له أنا شيخك وأخبره عن أموره وأحواله ومقاماته مقاماً مقاماً ، وقال له أنا واسطتك فى كل حال وكل مقام ، وقد سئل بعد ذلك سيدى عبد السلام بن مشيش هل كنت تأتية أو يأتيك فقال : كل ذلك قد كان ، فقل له طياً أو نشرًا قال طياً .

وهو أخذه عن سيده وأستاذه القطب الربانى العارف بالله الصمدانى شيخ مشايخ أهل المشرق والمغرب وسند الواصلين إلى أنجح المطالب، وأقصى المشارب، غوث الزمان ووسيلة أهل العرفان من أقامه الله فى جميع أحواله ميسراً، القطب تقي الدين الفقير بالتصغير سمي نفسه بذلك تواضعاً، كان رضى الله عنه من أكابر العارفين بالله وكان راسخ القدم فى المعرفة بأحكام الله، والتنزلات الإلهية بأوامر الله .

وهو أخذ عن سيده وأستاذه الغوث اللامع والفرد الجامع القطب الذى لا يشاركه أحد فى مقامه، ولم يدانيه أحد من أهل وقته وأوانه ، بحر العلوم الدافقة، وأمام أهل الطريقة والحقيقة سيدى نحر الدين كان من المشايخ المر بين ومن الأقطاب المتصرفين رضى الله عنه .

وهو أخذ عن القطب الربانى والعارف الصمدانى الغوث الجامع والبرهان الساطع نور الدين أبى الحسن ، كان رضى الله عنه عارفاً محققاً جامعاً لأسرار الحقيقة محتوياً على دقائق الطريقة، وكان من أكابر العارفين ومن أهل الوجد والتمكين .

وهو أخذ عن قطب الوجود وإنسان عين الشهود الغوث الجامع الفرد سيدى تاج الدين ، كان من أكابر أولياء الله الدالين على الله بالله .

وهو أخذ عن القطب شمس الدين بأرض الترك كان إمام أهل العرفان وموصل المريدين إلى الله وكان من أكابر العارفين الواصلين المحققين الجامعين بين الشريعة والحقيقة والطريقة .

وهو أخذ عن قطب الوجود وغوث يستمد منه كل موجود ، الشيخ زين الدين القزوينى، كان أوحده أهل زمانه علماً وعملاً وزهداً وورعاً وكان إمام المتقين وحامل راية العارفين .

وهو أخذ عن قطب الأولياء سيدى إبراهيم البصرى غوث الأصفياء رضى الله عنه .

وهو أخذ عن القطب أبي القاسم بن مروان ، كان رضى الله عنه من أهل التمكن والرسوخ فى اليقين وكان غوثاً جامعاً لأسرار الحقيقة والشرعية وهو أخذ عن أبي محمد سعيد ، كان رضى الله عنه قطباً عارفاً محققاً جامعاً .

وهو أخذ عن أبي محمد فتح السعود كان رضى الله عنه قطباً وارثاً تلقى عن أكابر السلف الصالح وتابع التابعين ، وهو أخذ عن القطب سيدى سعيد القيروانى كان رضى الله عنه من أكابر أولياء الله وكان قطباً وارثاً لأسرار أستاذه التابعى الجابر أبى محمد جابر وأما البحر الذخائر من كان للمساكين جابر سيدى أبو محمد جابر فورث القطبانية الكبرى والخلافة الأخرى عن أول أقطاب هذه الأمة وسراج الظلمة وسيد شباب أهل الجنة سبط الرسول وابن سيدتنا فاطمة البتول بنت الرسول سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أخذه عن والده سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسيدنا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام وجبريل عن الله عز وجل .

وهذه سلسلة الذهب لأنها سلسلة بالأقطاب ومعنفة بالأوتاد والأنجاب اه .

قلت : ولعل الشيخ الفاسى رضى الله عنه عرف مقامات هؤلاء الرجال من طريق الكشف فقد قال فى كلامه على الديوان وإنه خاص بهذه الأمة دون غيرها من الأمم ما نصه : وقد أعطانا الله الكشف والعلم الإلهى . إن أولياء الأمم الماضية ولايتهم تنقطع بموتهم ، وموت أنبيائهم وأما أولياء هذه الأمة الحمدية فلا تنقطع

ولايتهم إلى يوم القيامة لوجود بقاء شريعتهم ، فكما أنه لا انقطاع لشريعتهم ، كذلك لا انقطاع لولايتهم اه ويؤيده ما فى (لطائف المنن) لتاج الدين ابن عطاء الله رضى الله عنه عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، أنه قال فى تلميذه أبى العباس المرسى رضى الله عنهما ، والله ما من ولى كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه ، وفيه

عن أبي العباس المرسى نفسه أنه كان يقول: والله الذى لا إله إلا هو ما من ولى لله كيان أو هو كيان إلا وقد أطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه ، وكم حظه من الله تعالى اه فلا يبعد أن يكون الشيخ الفاسى منح هذا المقام أيضاً والله اعلم .

(الرابع) هذا السند أول من ذكره تقي الدين أبو عبد الله محمد الاسكندرى سبط أبي الحسن الشاذلى على ما قيل فى كتابه (النبذة المفيدة) وفى كتابه (شفاء الغليل ودواء الغليل) وهو ممن أدرك أصحاب أبي العباس المرسى رضى الله عنه فقال فى النبذة بعد ذكره قول أبي العباس المرسى رضى الله عنه فى هذه الطريقة إنها متصلة بأخذ واحد عن واحد إلى الحسن بن على عليهما السلام ما نصه فلما اطلمت على هذا الكلام امعنت الفحص عن معرفة بقية هذا الطريق فلم أجد سوى أن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدنى عن عارف وقته الشيخ تقي الدين الفقير الذى لقب نفسه بتقى الفقير بالتصغير فيهما وذلك من أرض العراق وهو عن القطب نخر الدين فذكر السند، ثم قال: واعلم أنى ظفرت بهذه السلسلة واتصالها بعد الفحص الكبير وجدتها منقولة عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الشيخ أبي العباس المرسى ومطابقة لقول المرسى أن طريق المدنى متصلة بالأقطاب فى هذا إشار بصفة هذا الطريق واتصال سلسلتها وإن كنت لم أجزم فيها إلا بالشيخ الشاذلى وبشيخه ابن مشيش وشيخه المدنى ثم بالحسن بن على بن أبي طالب فجموعها على قسمين، منها ما هو قطعى ومنها ما هو ظنى، وأما قولهم فلان الدين ولم تذكر له شهرة فحيث وجدت ذلك هنا فاعلم أنى نقلته كذلك فحكيته على ما وجدته اه .

وقال القادوى فى (المقصد الأحم) ذكر هذا السند الإمام تقي الدين أبو عبد الله محمد الاسكندرى سبط أبي الحسن الشاذلى فى كتابه (شفاء الغليل ودواء الغليل) مسلسلا بصحب واقتدى ونقله عنه الشيخ إبراهيم المواهبى وكذلك الشيخ سليمان ابن محيى الدين الذاكر المدنى فى تأليف له فى الأسانيد رأيته بخطه ورايته (فى النبذة

المفيدة) لسبط الشاذلى أيضاً مسلسلاً بالصحبة والافتداء وذكره كذلك الشيخ أبو عبد الله محمد زين العابدين سبط المرصفي في كتابه (داعى الفلاح إلى سبيل النجاح) وذكره الشيخ أبو عبد الله الفروصنى في كتابه (الأسلوب الغريب في التمتع بالحبيب) والفقير أبو عبد الله بن عسكر في (دوحة الناشر) وغيرهم ، وقال الشيخ سيدى إبراهيم المواهى إنه طريقة مشهورة وقال في النبذة أنه وجد منقولاً عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضى الله عنه ، وقال الشيخ أبو العباس الفاسى ذكر غير واحد أنه وجد بخط ابن عطاء الله هـ .

وقال : أبو عيسى الفاسى في (تحفة أهل الصديقية) بعد نقله قول أبى العباس المرسى : والله الذى لا إله إلا هو ما من ولى كان ، أو هو كائن ، إلا وقد اطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حفظه من الله تعالى ، ما نصه : فالرجال المنقولون عن ابن عطاء الله ، لا يبعد أن يكونوا من كشفه ويكون ورث هذا الحال من شيخه من الإطلاع على الأولياء الماضيين ونسبهم العنوى ، أو يكون ذلك من كشف شيخه أو شيخ شيخه ، إلا أن الأقرب الأول ، إذ لو كان عنده عن شيخه أو شيخ شيخه لنسبه إليه إلا أن يكون نسبه إليه وأسقطه الناقل عنه وقول الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه طريقته متصلة بالأقطاب معنونة برجل عن رجل إلى الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يؤذن بمعرفة لرجالها إن لم يكن من جهة النقل فمن جهة الكشف ، والأقرب في معرفة اتصال القطبانية الكشف ، وإذا كان كذلك فلا يذكر لسكل واحد إلا الذى ولده في سماء الروحانية ومن هو منبع مدده وأصل حقيقته الذى بها فيه ، ولقنه إياها ، غيباً عن مخالطة أو دونها ، لا الذى رباه بعد ذلك أو أفاده أمراً والله اعلم هـ .

(الخامس) ذكر بعضهم أن تقى الدين الفقير أخذ أيضاً عن العارف الشهير سيدى أحمد الرفاعى الواسطى وله في الطريق سندان أحدهما عن أبى الفضل على

القارى الواسطى عن أبى الفضل بن كافح عن غلام تركان عن أبى على الروذبارى
عن على العجمى عن أبى بكر الشبلى عن أبى القاسم الجنيد بسنده الآتى .
وثانيهما عن خاله الشيخ منصور البطايحى المعروف باباز الأشهب عن خاله
أبى منصور الطيب عن عمه أبى سعد يحيى البخارى الواسطى الأنصارى عن أبى
القرندى أو القرمزى عن أبى القاسم السمدوسى الكبير عن رويم البغدادى عن
الجنيد بسنده الآتى .

وذكر بعضهم أن سيدى عبدالرحمن المدنى العطار أخذ أيضاً عن الرفاعى بدون
واسطة الفقير ، وعن العارف أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن سيدبونة الخزاعى
الأندلسى ، عن القطب الغوث أبى مدين شعيب بن الحسن القطنيانى الأندلسى ،
بسنديه الاثنين .

وفى مشيخة الشهاب أحمد بن العجمى أن المدنى أخذ عن الشاشى عن أبى سعيد
المغربى عن أبى يعقوب النهرجورى عن الجنيد أسند ذلك ابن العجمى من طريق
بنى وفا فقال أخذت طريق السادات الوفاية الشاذلية عن أستاذ الأستاذين جمال
الإسلام والمسلمين أبى الأسعاد يوسف بن الاستاذ أبى العطا عبد الرزاق بن وفا
وعن أخيه الاستاذ الكبير أبى المسكارم عبد الفتاح ، ولبست منهما الخرفة الشاذلية
وصحبتهم مدة مديدة ، وتلقنت منهما وهما تلقنا من عمهما الاستاذ أبى الفضل محمد عن
والده الاستاذ أبى المسكارم إبراهيم عن والده الاستاذ محمد أبى الفضل الجذوب
عن والده الاستاذ أبى المراحم محمد عن والده الاستاذ أبى الفضل عبد الرحمن
الشهيد عن والده الشهاب أحمد أخى سيدى على عن والدهما الاستاذ الكبير أبى
الفضل وأبى التذانى محمد وفا عن سيدى داود بن باخلا مؤلف (عيون الحقائق)
وشارح حزب البحر ، عن الأستاذ الكبير سيدى تاج الدين ابن عطاء الله
السكندرى عن الأستاذ الكبير أبى العباس المرسى عن القطب الربانى الأستاذ
الشريف أبى الحسن الشاذلى عن الشريف عبد السلام بن مشيش عن الشريف

أبى محمد عبد الرحمن العطار الحسنى الإدريسي عن الشاشى فذكره ، وهو منقطع من المدنى فما فوق لبعد ما بين الرجال المذكورين فيه فى الولادة والوفاة ، ثم الصواب فى أبى سعيد المغربى : أنه ابن الأعرابى فيما يظهر لأنه الذى يمكن أخذه عن أبى يعقوب النهرجورى ولكن بينه وبين الشاشى مدة وكذا بين الشاشى والمدنى .

وقد ذكر هذا السند أيضاً أبو الصلاح على بن محسن الصعيدى فى « تعطير الأنفاس بمناقب أبى العباس » فزاد فيه أبا مدين التلمسانى بين المدنى والشاشى أسنده أيضاً من جهة بنى وفا . فقال : لبست الخرقه الوفايئة الشاذلية من سيدنا ومولانا أبى الإرشاد يوسف بن وفا ، وهو لبسها من عمه سيمدى أبى المسكارم عبد الفتاح بسنده السابق عند ابن العجمى ، ومع ذلك فلا يصح أيضاً لأن أبا مدين ولد بعد وفاة الشاشى بنحو العامين ثم بين ولادة الشاشى ووفاته أبى سعيد نحو سبع وسبعين سنة ثم بعد هذا وجدته فى (إتهاج القلوب) نقلا عن الملا إبراهيم السكورانى على الصواب وهو أن أبا مدين أخذ عن أبى بكر الطرطوشى عن الشاشى عن أبى غالب سالم المغربى عن أبى عمرو الزجاجى وأبى يعقوب النهرجورى فصح الاتصال وارتفع الانقطاع ثم وجدته عند السكورانى فى (إنباه الأنباه بتحقيق إعراب كلمة لا إله إلا الله) .

وذكر جماعة : أن عبد الرحمن المدنى أخذ أيضاً عن أبى زيد عبد الرحمن الثنائى وضبطه الشبراوى فى (تنوير الصدر) بكسر التاء وأغرب أحمد بن العربى ابن الحاج فقال (فى فهرسته) عبد الرحمن التازى نسبه إلى المدينة المعروفة بالمغرب وهو عن ابن بكر الشبلى ، عن الجنيد ونظمه الأمير على طريق التوسل فقال أثناء القصيدة :

بجنيدهم شبليهم يا ربنا خلص عبيدك من قيود عقاله
(٣ — البرهان الجلى)

بتفاريهم المعظم — مدره مولاي عبد الله قطب رجاله

وبعبد الرحمن هو المدنى من قطع المفاوز فاحتضى بوصاله

إلى آخر القصيدة ، وهو واضح البطلان فإن الشبلى مات سنة أربع وثلاثين
وثلاثمائة فكيف يدركه شيخ المدنى الذى كان فى القرن السادس ، ثم هو مجهول
لا تعرف له ترجمة مع الاختلاف فى اسمه فبعضهم يقول عبد الرحمن وبعضهم يقول
عبد الله ، ومع هذا فقد ذكره جماعة من المتأخرين لا سيما الذين يسندون الطريقة
الجزولية كالشريف العالمى فى (الأنيس المطرب) والطاهرى فى (تحفة الإخوان) بناف
شرفاء وزان) ومحمد بن حمزة المكناسى فى (الكوكب الأسعد) وأحمد بن العربى بن
الحاج فى (براهمه) وعمر الشبراوى فى (تنوير الصدر بشرح حزب البحر) والأمير
الكبير فى نظمه كما سبق ونقله عنه بعض تلامذته فى (الحديقة الندية فى مبنى الطريقة
الحمدية) والعدوى فى (النفحات الشاذلية) والبديرى فى (الجواهر الغوالى) وزاد فى
الطنبور نعمة ، فقال : عن المدنى عن أبى بكر الشبلى بدون واسطة الثنائى مع أن
بطلان هذا يدركه بالبداهة ذوو النباهة فضلا عن أهل العلم لا سيما وبعضهم يعبر
بصحب واقتدى فى الجميع وهو تهوور قبيح .

وذكر بعضهم أن القطب ابن مشيش أخذ عن أبى العباس السبى عن أبى
محمد صالح عن أبى مدين بأسانيده .

وقيل : إنه أخذ عن أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد بن سيدبونه عن
أبى مدين .

وقيل : أخذ عن أبى مدين بدون واسطة والتاريخ يقبل جميع هذا إن ثبت فى
طريق النقل .

وذكر الوترى فى (روضة الناظرين) أنه أخذ أيضاً عن شمس الدين برى العراقى
عن الشيخ على بن نعم البغدادى عن أبى العباس أحمد الرفاعى بأسناده السابقين

والغالب على الظن عدم صحة هذا لأمر : منها أن القطب ابن مشيش لم يترجم له أحد بل ولا عرف إلا من جهة تلميذه أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه وأصحابه وهم لم يذكروا هذا ولا عرجوا عليه ، ومنها أن ابن مشيش فيما يظهر من حاله لم يرحل إلى خارج المغرب ولا إلى الحجاز لأداه فريضة الحج فضلا عن العراق حتى يأخذ عن شمس الدين برى العراق ولو رحل لذكره العراقيون واشتهر كما ذكروا غيره من الغرباء ولذكره تلميذه أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه فيما ذكر من بعض أحواله والله اعلم .

ومن هذا القبيل ما يذكرونه من أخذ سيدى أحمد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقي عن القطب ابن مشيش والثانى باطل جزما لأن الدسوقي ولد بعد وفاة ابن مشيش رضى الله عنه والبدوى خرج به أهله من فاس صغيرا ، وابن مشيش فى جبل العلم بعيدا عن فاس غير مشهور ولا متداول الذكر بين الناس فالله تعالى اعلم .

فصل

وأما طريق الخرقة لأبى الحسن الشاذلي رضى الله عنه فعن أبى عبد الله محمد بن على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزم الأموى العثمانى دفين أحواز فاس المعروف عند العامة بسيدى حرازم السخونات عن أبى محمد صالح بن نيمصار بن غقيان الدكالى نزىل مدينة أسفى ودفينها عن أبى مدين شعيب بن الحسن القطيبتانى الأندلسى دفين العباد قرب تلمسان وقيل عن أبى محمد عبد الرزاق الجزولى دفين الإسكندرية عن أبى مدين عن أبى يعزى تلتور بن موسى بن عبد الله الهزميرى وقيل فى اسم والده غير ما ذكر عن أبى شعيب أبوب بن سعيد الصنهاجى الزمورى المعروف بالسارية عن أبى ينور عبد الله بن وكريس الدكالى المشترئى عن أبى محمد عبد الجليل بن وايمحدا بواو مفتوحة وألف وياء ساكنة وجيم ودال مفتوحين وقيل ويجلان الدكالى نزىل أغمات عن أبى الفضل عبد الله بن الحسين

ابن بشرى الجوهري عن والده عن أبي الحسين أحمد بن محمد القورى رفيق الجنيد عن السرى السقطى عن معروف السكرخى عن داود الطائى عن حبيب العجمى عن الحسن البصرى عن على عليه السلام عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . وأخذ معروف السكرخى أيضاً عن على بن موسى الرضى عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه على عليهم السلام عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . وقد وقع اختلاف فى مواضع من هذا السند .

(الأول) فى أخذ أبي محمد صالح هل عن أبي مدين مباشرة أو عن تلميذه أبي محمد عبد الرزاق الجزولى فبعضهم يقول عنه عن أبي مدين وبعضهم يقول عنه عن عبد الرزاق الجزولى عن أبي مدين، وقيل: إنه أخذ أولاً عن الشيخ عبد الرزاق ثم اجتمع ثانياً بشيخه أبي مدين فيكون كلا القولين صحيحاً ويكون أخذه عن عبد الرزاق من قبيل الزيد فى متصل الأسانيد .

قال أبو العباس الفاسى فى (المنح الصافية) بعد إيراد هذا السند من رواية أبي محمد صالح عن أبي مدين هكذا جعل الفروصى أبا محمد صالح تلميذاً لأبي مدين ونحوه عن الشيخ أبي العباس الخطيب المعروف بابن قنفذ فقال فى كتابه (أنس الفقير وعز الحقيير) عندما ترجم له: ومن أصحاب الشيخ أبي مدين رضى الله عنه الشيخ الشهير أبو محمد صالح بن نيسارن وشيخه عبد الرزاق الجزولى وعبد الرزاق هذا رفيع القدر وقبره قرب الإسكندرية يتبرك به وهو من كبار تلامذة الشيخ أبي مدين ولازمه مدة طويلة ثم قال بعد هذا بأوران: وشيخه أبو محمد عبد الرزاق الجزولى من كبار تلامذة الشيخ أبي مدين وقبره قرب الإسكندرية ثم قال وذكره أيضاً يعنى التادلى حين ذكر عبد الرزاق الجزولى فقال: وهو شيخ العبد الصالح أبي محمد صالح . وهو حى الآن قال ابن قنفذ وأخبرنى غير واحد أن الشيخ أبا محمد صالح لقي الشيخ أبا مدين رضى الله عنهما وأخذ عنه وهذا والله أعلم صحيح لأنه كان معاصراً له ثم استدلى على ذلك

بما حاصله : أن أبا العباس أحمد الغبريني صاحب (عنوان الدراية) ذكر أنه أخذ التصوف عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي عن أبي محمد صالح عن أبي مدين وإنه أيضاً وقف على مجموع بخط أبي محمد صالح وتاريخه سنة أربع وثمانين وخمسمائة والشيخ أبو مدين وقنئذ ببلاد إفريقية وبعده استقر ببجاية هـ ولما ترجم التادلي للشيخ عبد الرزاق هذا قال ما نصه : ومنهم أبو محمد عبد الرزاق الجزولي تلميذ أبي مدين استقر أخيراً بالإسكندرية وبها مات وكان من كبار المشايخ انتهى محل الحاجة ، قال أبو العباس الفاسي : وما ذكره ابن قنفذ عنه في ترجمة الشيخ عبد الرزاق لم أجده فيه في عدة نسخ ولعله وقع في نسخته وإنما وجدت فيه أنه حدث عن الشيخ عبد الرزاق بواسطة أبي محمد صالح مرتين ، قال في إحداها : سمعت عبد النور يقول سمعت الشيخ أبا محمد صالح يقول غير مرة : اغتم شيخنا أبو محمد عبد الرزاق من أمر كان بينه وبين زوجته فذكر حكاية طويلة هـ .

قلت : وكان النسخ التي وقعت بيد أبي العباس الفاسي كان بها نقص أو كان بصره يذبو عن رؤية الترجمة بها وإلا فالموضع الذي حدث فيه التادلي عن الشيخ عبد الرزاق بواسطة أبي محمد صالح هو في ترجمة الشيخ عبد الرزاق ، بل لم يذكر في ترجمته إلا تلك الحكايتين بعد قوله : ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الرزاق الجزولي تلميذ أبي مدين استقر أخيراً بالإسكندرية وبها مات وكان من كبار المشايخ ثم ذكر الحكايتين .

وقد نقل كلام ابن قنفذ هذا بتمامه صاحب (المعزى في مناقب أبي يعزى) وفيه أن الشيخ الاسكندري نقل عن تاج الدين أبي العباس أحمد بن الميلي الاسكندري صاحب الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله أنه سئل عن الجمع بين الاختلافات هنا فقال : سبب الشيخ أبو محمد صالح الشيخ عبد الرزاق في حياة الشيخ أبي مدين فرأى الشيخ عبد الرزاق من طريق الكشف أنه من أصحاب شيخه أبي مدين فتوجه

إليه وصحبه واقتدى به إلى حين وفاته ، قالت : لما أتى الشيخ أبو محمد صالح مجلس الشيخ عبد الرزاق فسأله واختبره وجده في حالة أقوى منه فقال له : يا بني إنك صاحب همة عالية ، ولا يليق بتربيتك إلا شيخنا أبو مدين فتوجه إليه ونحن شركاء في الخير فانتفع بصحبتهم معاً وكان يقول لكل واحد منهما شيخي هـ .

الثاني : في زيادة أبي ينور عبد الله بن وكريس بين أبي شعيب وعبد الجليل ابن ويجلان فقد بحث في ذلك أبو حامد الفاسي فقال في (مرآة المحاسن) : قال أبو يعقوب النادلي في كتاب (التشوف) : أبو محمد عبد الجليل بن ويجلان دكالي الأصل ونزل أغات وبها مات شهيداً سنة إحدى وأربعين وخمسمائة كبير الشأن من أهل العلم والعمل رحل إلى المشرق فلقى به شيخاً من الصوفية فأخذ عنه هذا الشأن شيخاً عن شيخ بالسند المتصل إلى أبي ذر الغفاري صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هـ . وهذا السند المشار إليه غير السند المذكور هنا والله اعلم قال : والزمان والمكان صالحان لأخذ الشيخ أبي شعيب عن الشيخ أبي محمد عبد الجليل دون واسطة لكني لم أجده إلا بواسطة الشيخ أبي ينور ولم أدر سبب ذلك ؟ ولا شك أن الشيخ أبا ينور من أشياخه ، ففي (التشوف) أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي من مشترابه من أشياخ أبي شعيب أيوب السارية كبير الشأن من أهل الزهد والورع ، وفيه : أبو علي منصور بن إبراهيم المسطاسي كبير الشأن من أهل العلم والعمل مات بآزمور سنة أربعين وخمسمائة ، وهو من أشياخ أبي شعيب أيوب السارية هـ .

وهذا كما رأيت قرين الشيخ أبي محمد عبد الجليل وقد ذكروا كما في (التشوف) أن الشيخ أبا شعيب هو الذي صلى على حجة الإسلام الغزالي بطوس وقد توفي حجة الإسلام سنة خمس وخمسمائة وكان أوصى ألا يصلى عليه حتى يأتي رجل يصلى عليه والحكاية معروفة فقد كان أبو شعيب في ذلك التاريخ من أهل

الخصوصية التامة والتمكن من الوصول في الزمان القريب إلى المكان البعيد .
وذلك قبل وفاة الشيخ أبي محمد عبد الجليل بنحو ست وثلاثين سنة مع المشاركة
في الوطن أو قربه ، وفي (النشوف) : أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي من بلاد
آزموور ومن أشياخ أبي يعزى وكان في أول أمره معلماً للقرآن بقرية اشكاوون من
بلاد دكالة ومات بأزموور يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني سنة إحدى وستين
وخمسة هـ

ولما نقل بعض هذا أبو عيسى الفاسي في تحفة أهل الصديقية قال : فلا يبعد
على هذا أن يكون الشيخ أبو شعيب لقي أبا محمد عبد الجليل إلا أنه كان يأخذ
عن تلميذه مع وجوده وكان سبب ذلك أنه ما فتح له إلا على يديه ولا كشف له
أولاً إلا عن خصوصيته وهو أعنى أباينموور مع ذلك مطلق من تقاف الإرادة مأذون
بقبول الخلق وتربيتهم مع وجود شيخه أو لم يكن اتخذه شيخاً تحكيم وإرادة بل
شيخ تعليم فقط ثم كل وأذن بقبول الخلق وتعليمهم وتربيتهم ومن رزق من باب
فليأزمه بل من أخذ من قلبه فلا فكأك له من يد من أخذه منه وليس لأهل
الطريق معول على علو السند ولا لهم إليه نظر ولا لهم فيه اختيار بل من أخذه
ملكه فلا ينبغي به بدبلاً والمطلوب فيها سلب الإرادة فلا فرق فيه بين علو أو نزول
ثم لو رام أن يترك صحبته إلى صحبة غيره لعلو أو غيره لكان فيه سوء أدب ثم
لا يفاج مع الأول ولا مع الثاني ولو كان هذا الثاني شيخ الأول إلا إن كان
عن إذنه وقضية أبي الحسن السريفي مع سيدي علي بن عثمان لما تركه وذهب إلى
شيخه الغزواني معلومة ، وما وقع له في ذلك من الخسارة والسلب والعياذ بالله من
سوء الأدب المفضى إلى العطب ، وقد ذكر حكايته صاحب (الدوحة) ونقلتها في
(ممتع الأسماع) .

وقد يختار بعضهم في السند النزول ويؤثره على العلو، لكثرة عدد الشيوخ

ويقول على قدر ما تسكثر الشيوخ في السند تقوى أنواره وتترادف على مسنده وتتظاهر عليه وللناس في ذلك أحوال ومقاصد وهذا الفرق بين أسانيد الطريق وأسانيد الحديث الأولى : نتيجتها اقتباس الأنوار والثانية المقصود منها ما تضمنته من الأخبار وهذه يلزمها البحث لا محالة فيطلب فيها الملو فيقدر ما يعلو السند يكون البحث فيه أسهل والتصحيح له امكن .

ثم وجدت عند الشيخ السنوسى رحمه الله ، قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه : ألبسنى الخرقة الشريفة أيضاً شيخى وقدوتى أبو يعزى ، قال : البسنى شيخى وقدوتى أبو شعيب أبواب السارية ولقب سارية لطول قيامه ، قال : البسنى عبد الجليل وبجدا قال : البسنى أبو الفضل الجوهري ، قال : البسنى والدى أبو عبد الله الحسين ابن بشرى ، قال : البسنى أبو الحسن أحمد بن محمد النورى المعروف بابن البغوى قال : البسنى السرى بن مغلس السقطى رضى الله عنه ، ثم ذكر باقى السند فلم يذكر واسطة بين الشيخ أبى شعيب والشيخ أبى محمد عبد الجليل ه .

وما أجاب به أولاً عن أخذ الشيخ أبى شعيب أبواب السارية عن أبى ينور مع إدراكه شيخه أبا محمد عبد الجليل هو جواب حسن يؤيده الواقع والمشاهدة فى كثير من المشايخ من آخرهم العارف الشهير أبو العباس سيدى أحمد بن عجيبة فإنه أخذ عن العارف الكبير سيدى محمد البوزيدى ولأزمه وسلك الطريق على يديه مع وجود شيخه مولاي العربى الدرقاوى رضى الله عنهم ، ولما فتح له على يديه إذن له فى التربية والتسليك فأخذ عنه هو وجماعة مع وجود شيخه البوزيدى وشيخ شيخه مولاي العربى بل كان جل أصحاب الشيخ مولاي العربى رضى الله عنه الواصلين المربين من هذا النبيل فكان كثير منهم يشد الرحلة إليه لزيارته مع الوفود من تلامذتهم بل وتلامذة تلامذهم أيضاً كالشيخ سيدى أحمد بن عجيبة أيضاً فإنه كان له تلامذة وأتباع ومات فى حياة شيخه البوزيدى الذى مات أيضاً فى حياة شيخه مولاي العربى رضى الله عنهم فابن عجيبة توفى سنة أربع وعشرين

ومائتين وألف وتوفي شيخه البوزيدى بعده بخمس سنين سنة تسع وعشرين
وتوفي شيخه مولاي العربى بعده بعشر سنين سنة تسع وثلاثين .

وحكاية أبى الحسن السرى التى أشار إليها هي : انه كان أخذ عن العارف
أبى الحسن على بن عثمان الشاوى وأقام فى خدمته مدة طويلة إلى أن اشتهر حاله
وانتشر صيته وكثر أتباعه فانتقل إلى موضع يقال له أبوبين فعمرت سوقه وشاع فى
المغرب خبره وظهرت على يديه كرامات لا تحصى فرأى أنه أبلغ من شيخه وأنف
من الانتساب إليه وذهب إلى مراکش مع تلامذته الأخذ عن شيخ شيخه سيدى
أبى محمد الغزوانى فلقبه وانتسب إليه وترك الانتساب إلى شيخه أبى الحسن الشاوى
ولما رجع إلى بلده أقام شيخه مدة ينتظر زيارته له فلم يأتها فقال لأصحابه أعزموا على
السفر إلى الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش ويكون مرورنا على صاحبنا
أبى الحسن على فلما مروا عليه نزل الشيخ بالمسجد وبعث إليه فلم يأتها وبعث إليه
بالطعام فقال الشيخ لأصحابه قوموا بنا ولا تأكلوا شيئاً من هذا الطعام فمحن إنما
جئنا لأخذ الأمانة التى كانت لنا هنا وقد حملناها فانصرفوا ثم رأى السرى فيما
يرى النائم كأن قرأ خرج من صدره وصعد إلى السماء فكان ذلك سلب الحكمة
عنه فما اجتمع إليه بعد ذلك اثنان وبقى على ذلك إلى أن مات ولما بلغ ذلك إلى
الشيخ أبى محمد الغزوانى قال ذلك جزاء من يكفر بإحسان شيخه .

الثالث : فى أخذ الحسين بن بشرى الجوهري والد أبى الفضل عن أبى
الحسين النورى فأكثرهم يورده كذلك وهو الذى ذكره أبو مدين رضى الله
عنه نفسه فيما نقله عنه السنوسى كما سبق مع أن التاريخ يأبى ذلك كما نبه عليه
أبو عيسى فى (التحفة) فقال عقب نقله كلام أبى مدين السابق فى لباس الخرقه مانصه :
وما ذكره من أن الشيخ أبا عبد الله الحسين بن بشرى الجوهري أخذ عن النورى
بلا واسطة كذلك هو أيضا عند الشيخ الحافظ أبى العباس أحمد بن أبى المحاسن

الغاسى وعند أخيه أبى عبد الله العربى فى (المرآة) أنه أخذ عنه بواسطة الشيخ أبى بكر الدينورى ونحط الحافظ الذهبى فى تاريخه : انه أبو الفضل عبد الله بن الحسين بن بشرى بن سعيد الجوهري فكتب الحسين بالياء وضم الحاء وبشرى بالياء بعد الراء وقال مات فى العشر الأوسط من شوال سنة ثمانين وأربعمائة وقبره عند قبر والده أبى عبد الله يزار هو ووالده وولده أبو البركات . وكان أبو الفضل من كبار مشايخ المصريين وبيته بيت العلم والعدالة والنبل وذريته ذرية مباركة وكان يعظ الناس بمصر بجامع عمرو بن العاص ثم ذكر من سمع منه ومن روى عنه وعلى ما ذكر فى وفاة أبى الفضل الجوهري لا يصح أن تكون الواسطة بينه وبين أبى الحسن النورى رجلا واحداً فقط لبعد ما بين وفاتهما بما يقرب من مائتى سنة بالتثنية

وأما أبو بكر الدينور فإن كان المراد به أباً بكر بن جابر بن عبد الله الدينورى الحافظ فقد توفى سنة ثمان وستين وأربعمائة وكان ممن اقى فى رحلته فى طلب الحديث . أباً سعيد أحمد بن محمد المالينى وأبو الفضل الجوهري قد سمع الكثير من حديث أبى سعيد المالينى فغاية الدينورى ان يكون من شيوخ أبى الفضل لا من شيوخ والده والله اعلم اهـ .

قلت : ليس المراد بأبى بكر الدينورى من ذكر بل المراد به أبو بكر محمد بن على ابن الحسن بن على الدينورى ذكره ابن السمعانى فى الأنساب وقال يعرف ببرهان . كان أحد الصالحين صاحب كرامات ظاهرة قدم بغداد سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وحدث بها عن أبى شعيب الحرانى وعبد الله بن محمد بن بيان وإبراهيم بن زهير الحلوانى وأبى مسلم الكشى وآخرين . ذكره صالح بن أحمد الحافظ فى طبقة الهمذانيين : برهان الدينورى ذا كرتة وكان شيخاً فاضلاً ثقة ورعاً ، ولم يقضى لى السماع منه وكان يشبه أهل العلم بالله صدوقاً رحماً الله وإياه اهـ . وهى ترجمة

مأخوذة من تاريخ الخطيب باختصار وقد أسند الخطيب من طريقه حديث أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة على رجل يقول لا إله إلا الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر». وأسند عنه أنه قال: إني لأطعم لقيمات فى طعام عند محب لهذه الطائفة فأرى على قلبى سوادها لما لا أتعرف امره وادخل على السلامة وانى سمعت اللؤلؤى يقول: يحكى أن بشرا دعاه رجل إلى طعام فدخل فرأى حاله مستوبة فقال لصاحبه من أين مالك؟ قال: أشهد الله من حل ما ظلمت ولا غصبت ولا أريت، قال: فقيم تتجر؟ قال: فى الطعام، فخرج عنه وقال: هذا مال جمع من دم المسلمين، ولم يذكر الخطيب تاريخ وفاته، إلا أنه روى عنه بواسطة قتال: حدثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه وعلى بن أحمد بن عمر المقرئ، والخطيب من أقران الجوهرى، وهات قبله بأربع سنين كما أن الدينورى حدث عن جماعة من أقران أبى الحسن النورى كأبى جعفر محمد بن عثمان بن أبى شيبة الذى مات بعد النورى بثلاث سنين فلم يبق ريب فى أنه المذكور فى السند والله أعلم.

فصل

وأخذ أبو مدين أيضاً عن أبى الحسن على بن حرزم عن أبى بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بأبى العربى المعافى عن أبى حامد محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد الغزالى عن أمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى عن أبى طالب محمد بن على بن عطيه المسمى ثم البصرى عن أبى القاسم .

هكذا ذكره جماعة يطول عددهم ومنهم من عبر بصحب فى الجميع كأبى عبد الله الساحلى فى (بغية السالك) ونظمه شرف الدين البوصيرى فى قصيدة طويلة ذكرها صاحب كتاب (المنهج الواضح فى مناقب أبى محمد صالح) جاء فيها :
فمنهم أبو حسن سليل لحرزم أتى فى العلا والفضل فاتمة الحزب

ومنهم أبو بكر العربي قد سما بمارسما فيه على العجم والعرب
ومنهم أمام العصر في العلم والتقى أبو حامد حسبي أمام به حسبي
ومنهم أمام الملة المتقى أبي الـ معالى أمام الحل والحرم الرحب
أبو طالب صبيح قد اسفر وجهه سفير قلوب العاشقين إلى الحب
أبو القاسم الخبر الجنيد الذى له فعال على عد الحصى كثرة تربى
إلى آخر السند وهو منقطع بين أمام الحرمين وأبى طالب المسكى ، وبين
أبى طالب والجنيد

قال أبو العباس القاسى فى (المنح الصافية) بعد إirاده : وفى القلب منه شىء لأن
أمام الحرمين توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة والشيخ أبو طالب توفى فى
جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلاثمائة كما قاله الشيخ أبو القاسم الأزهرى
والشيخ أحمد بن محمد العتيق وتوفى الشيخ أبو القاسم الجنيد سنة سبع وتسعين
ومائتين فبين أمام الحرمين والشيخ أبى طالب قريب من تسعين سنة وبين أبى
طالب والجنيد قريب من مائة سنة على إنى تصفحت القوت من أوله إلى آخره فما
رأيت ذكر أنه لقيه كما قال فى غيره كأبى الحسن بن سالم صرح بلقياه غير مرة
وقال فى غيره كأبى سعيد بن الأعرابى : شيخنا ، وأبو بكر بن الجلاء لقيه وصرح
بأنه شيخه كذلك بل إن تأملت كلامه فى القوت وسجدته ما يذكر كلام الجنيد
إلا كما يذكر غيره من الشيوخ وإنما ينوه بأبى محمد سهل وتلميذه أبى الحسن بن
سالم ويفرع على كلامهما فهو فى طريقة البصريين أدخل بكثير من طريقة البغداديين
على إنى رأيت كل من تنتهى سلسلته إلى أبى مدين يعتمد هذا السند اهـ .

قلت: تبع فى تاريخ وفاة الجنيد أبى القاسم القشيرى فإنه ذكر ذلك فى الرسالة
والصحيح أنه مات سنة ثمان وتسعين والسند منقطع جزما فإن أمام الحرمين ولد بعد
وفاة أبى طالب بثلاث وثلاثين سنة وذلك فى ثامن عشر الحرم سنة أربع عشرة
وأربعمائة وأبو طالب المسكى توفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة والصواب فى هذا

الإسناد كما ذكره بعضهم عن أمام الحرمين عن والده أبي محمد الجويني عن أبي طالب المسكي عن أبي عثمان المغربي عن أبي عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي عن الجنيد وبعضهم يقول عن أبي طالب المسكي عن أبي بكر الشبلي عن الجنيد وهذا أيضاً في القلب منه شيء فإن أبا طالب تأخر بعد وفاة الشبلي بأثنتين وخمسين سنة إلا أن يكون عمر طويلاً أو أخذ عنه في سن الشباب كالعشرين ونحوهما والله أعلم .

وذكر السنوسي فيما نقله عنه أبو عيسى الناسي في (التحفة) أن لإمام الحرمين طريقاً آخر في الخرقه وهو عن الأستاذ أبي القاسم التشيرى عن الأستاذ أبي على الدقاق عن أبي القاسم النصراباذي عن الشبلي عن الجنيد رضى الله عنه .

فصل

وأخذ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه عن جماعة آخرين أخذ خرقه وتبرك أيضاً .

منهم الشيخ أبو سعيد خليفة بن أحمد الباجي التميمي دفن خارج تونس وصاحب الكرامات الكثيرة المشهورة فإن الشاذلي رضى الله عنه أخذ عنه ولازمه وانتفع به كثيراً كما أخبر بذلك عن نفسه وهو أخذ عن أبي مدين . وقيل : عن أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدي عن أبي مدين . وذكر صاحب (المنح البادية) أن الشاذلي أخذ أيضاً عن أبي محمد المهدي هذا وذلك من جهة التاريخ ممكن فإن كلا منهما كان بتونس وتاريخ وفاتهما متقارب فالشيخ أبو سعيد الباجي مات سنة ثمان وعشرين وسمائة والشيخ أبو محمد المهدي مات سنة إحدى وعشرين .

ومنهم الشيخ الأكبر محمد بن على بن العربي الحاتمي وهو أخذ عن جماعة كثيرة وقد ذكر سنده بلبس الخرقه في جزء أفرده لذلك سماه (نسب الخرق) ذكر

فيه انه لبسها من يد جمال الدين يونس بن يحيى بن أبي الحسين العباسى القصار بمكة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة وهو لبسها من يد شيخ الوقت عبد القادر أبي صالح بن أبي عبد الله الحلي وهو لبسها من يد أبي سعيد المبارك بن على الخزومى وهو لبسها من يد أبي الحسن على بن محمد بن يوسف القرشى الهكارى ولبسها الهكارى من يد أبى الفرج الطرسوسى وهو من يد أبى الفضل عبد الواحد بن عبد الميز التميمى وهو من يد أبى بكر محمد بن خلف بن جحدر الشبلى والشبلى صحب أبا القاسم الجنيد بن محمد وتأدب به ولبس منه والجنيد صحب خاله السرى السقطى وأخذ عنه وتأدب به وسرى صحب معروف بن فيروز الكرخى وأخذ عنه وتأدب به ومعروف صحب على بن موسى وتأدب به وعلى بن موسى صحب أباه موسى وتأدب به وموسى صحب أباه جعفر بن محمد وتأدب به وجعفر صحب أباه محمد بن على وتأدب به ومحمد صحب أباه على بن الحسين وتأدب به وعلى صحب أباه الحسين بن على وتأدب به وأخذ عنه والحسين صحب جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحب أباه على بن أبى طالب وعلى بن أبى طالب صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأدب به وأخذ عنه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عن جبريل عليه السلام وجبريل عليه السلام أخذ عن الله تعالى .

قلت للشيخ يونس: ما أخذ عنه قال سألت أو سئل الشيخ عبد القادر ما أخذ عنه فقال أخذ عنه العلم والأدب .

وذكر الشيخ محى الدين بن العرى رضى الله عنه : أنه لبسها أيضا من يد أبى عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمى الفاسى ومن يد تقي الدين عبد الرحمن بن على بن ميمون التوزرى المصرى سنة ست وثمانين وخمسمائة وكلاهما لبس من يد أبى الفتح محمد بن أحمد بن محمود الحمودى وهو لبس من يد أبى الحسن على بن محمد البصرى ولبس البصرى من يد أبى الفتح بن شيخ

الشيوخ ولبس أبو الفتح من يد أبي إسحاق ابن شهر يار المرشد ولبس المرشد من يد حسن أو حسين الاكار ولبس الاكار من يد أبي عبد الله بن خفيف وابن خفيف صاحب جعفر الحذاء وصاحب الحذاء شيخه أبا عمرو الاصطخرى وصاحب أبو عمر وشيخه أبا تراب النخشي وصاحب أبو تراب شيخه شقيقا البلخي وصاحب شقيق إبراهيم بن ادهم وصاحب إبراهيم موسى بن زيد الراعى وصاحب الراعى أويسا القرني وصاحب أويس عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب ، وصاحب عمر وعلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأخذنا عنه وتأدبا به اهـ .

قال وابستها أيضا من يد أبي الحسن على بن عبد الله بن جامع ولبسها ابن جامع من يد الخضر وصاحبه وتأدب به واخذ عنه .

قال : وكذلك صحبت أنا الخضر عليه السلام وتأدبت به وأخذت عنه اتسليم لمقالات الشيوخ نصا من فيه إلى في وغير ذلك من العلوم اهـ وقد أورد الصفي القشاشي في (السمط المجيد) سنده الثاني من طريق أويس ، ثم قال : لم يصرح الشيخ قدس سره من ابن خفيف إلى منتهى السند باللبس وإنما ذكر الصحبة بناء على عدم ثبوت الاتصال عنه كما دل عليه كلامه في (الفتوحات المكية) في الباب الخامس والعشرين فإنه بعد ما حكى ما جرى له مع سيدنا الخضر عليه السلام قال ما نصه : واجتمع معه رجل من شيوخننا وهو على بن عبد الله بن جامع من أصحاب على المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان وكان يسكن بالمغلي خارج الموصل في بستان له وكان الخضر عليه السلام قد ألبسه الخرقة محذور قضيب ألبان وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه وبصورة الحال التي جرت له معه في ألباسه إياها وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أبي التوزري وهو لبسها من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو محمد بن حوية وكان جده قد لبسها من يد الخضر عليه السلام وفي ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها

الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فإن الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ولهذا لا يجد لباسها متصلاً برسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، ولكن يوجد صحبة وأدب وهو المعبر عنه بلباس التقوى فحرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمر ما و أرادوا أن يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ فإذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حالة ذلك الحال ونزعه وافرغ على الرجل الذي يريد تكملة حاله ويضمه فيسرى فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك الأمر فهذا هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن الخققين من شيوخنا اه . فصرح بأنه لم يتحقق عنده لباسها متصلاً برسول الله صلى الله عليه واله وسلم وإنما اقتدى في ذلك بسيدنا الخضر عليه السلام وكذلك كلامه في رسالة الخرقة يدل على أنه إنما اقتدى في ذلك بالمشايخ حيث قال بعد تمهيد: فظهر الجمع بين اللبستين من زمان الشبلى وابن خفيف إلى هلم حراً فجرينا على مذهبهم في ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ حجة سادات بعد أن صحبناهم وتاديننا بأدابهم ليصح اللباس ظاهر أو باطنا اه . وأجيب: أن هذا أمر متعلق بالرواية لا يكشف الحقائق بخلاف أهلها^(١) معتبر وقد اثبت جماعة ممن جمع بين الفقه والحديث والتصوف ومن المقرر في الأصول أن المثبت مقدم على النافي وقد قال الشيخ محي الدين قدس سره في (الباب التاسع والستين من الفتوحات المسكية) ما نصه : ولا يعتبر عندنا ما يخالفنا فيه علماء الرسوم إلا في نقل الأحكام المشروعة فإن فيها يتساوى الجميع ويعتبر فيها المخالف بالقدم في الطريق الموصل أو في الفهم باللسان العربي وأما في غير هذا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس وهذا سار في كل صنف من العلماء بعلم خاص اه بلفظه قدس سره وفيه الكفاية والحمد لله رب العالمين ولكن ينبغي أن يقيد بما ذكره في كتابه (عقلة المستوفز) حيث قال ما نصه: ثم نقول إنا ما اوردنا شيئاً مما ذكرناه أو نذكره

(١) أى أهل الرواية .

من جزئيات العالم إلا واستنادنا فيه إلى خبر نبوى يصحبه الكشف : ولو كان ذلك الخبر مما تكلم في طريقه ، فنحن لا نعتمد فيه إلا على ما يخبر به رجال الغيب رضى الله عنهم اهـ (فالخاصل) أن كل حديث تكلم في طريقه أئمة الجرح والتعديل فإن حكمهم معتبر إلا ما صححه الكشف ، فإن الحكم للكشف ، وإن ضعفه أئمة النقل ، ورب حديث يورده في الفتوحات يقول فيه : ما معناه : صحيح كشافا ، غير ثابت نقلا ، كقوله في الباب الثانى والثلاثماية ما نصه : ولقد ورد في حديث نبوى صحيح عند أهل الكشف ، ولم تثبت طريقه عند أهل النقل ، لضعف الراوى ، ولقد صدق فيه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا تزييد فى حديثكم وتمريج فى قلوبكم لرأيتم ما أرى ، ولسمعتم ما أسمع » ^(١) اهـ وسيأتى النقل عنه فى شرح (الرسالة اليوسفية) إنه قال : وقال فى الخبر الصحيح نقلا وكشافا إلخ فاتفقا على التصحيح ، ومن هنا قالوا فى أصول الحديث : إذا وجدت حديثا بإسناد ضعيف فلك أن تقول هذا ضعيف ، وتعنى بذلك الإسناد ، وليس لك أن تعنى بذلك ضعفه مطلقا ، بناء على ضعف ذلك الطريق ، إذ لعل له إسنادا آخر صحيحا يثبت بمثله الحديث اهـ .

قلت : يريد القشاشى أن يجعل لبس الخرقه المعروفة فى عصره مرويا كذلك إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس الأمر كما يريد ، بل من له أدنى معرفة بالسنة ومخالفة الآثار يعرف أن الحق ما قاله الشيخ الأكبر رضى الله عنه . وأن السند من ابن خفيف وتلك الطبقة فما فوق إنما هو مجرد الأخذ والصحبة والافتداء ، وحصول النفع من الأعلى للأدنى ولو بمجرد الرؤية والمجالسة ، وذلك

(١) سبب وروده أنهم سألوا لم لا يرون ولا يسمعون عذاب القبر ؟ والتعريج الاختلاط .

هو المقصود بالخرقة في عرف كثير من الصوفية . فهم يطلقون لفظ الخرقة والإلباس ويريدون المعنى الذى ذكرناه والله اعلم ، وسيأتى نص السهروردى وغيره بمثل هذا أيضاً .

فصل

ومنهم ^(١) أبو الفتح الواسطى صاحب الشيخ سيدى أحمد الرفاعى ، فإنه لقيه بالعراق وبإشارته أخذ عن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش كما هو مذكور فى ترجمته ، وسيأتى سند الرفاعى .

(ومنهم) فيما ذكره العارف الشمرانى ومن تبعه . كصاحب (المنح البادية) وغيره : نجم الدين الأصفهاني وهو وهم قبيح ، لأن النجم الأصفهاني متأخر عن الشاذلى ، ومنشأ الغلط فى هذا أن الصلاح الصفدى قال : فى ترجمة أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه من (نكت الهميان) : ورأيت شيخنا عماد الدين يعنى ابن كثير الحافظ ، قد فتر عنه فى الآخر ، وبقي واقعاً فى هذه العبارات ، حائراً فى الرجل لأنه كان قد تصوف على طريقته ، وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني نزيل الحرم ، ونجم الدين صحب الشيخ أبا العباس المرسى ، صاحب الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، فكان من وقف على هذا ، ظن أن الضمير فى قوله : وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني عائداً على الشاذلى ، وهو عائد على ابن كثير ، وإلا فالشيخ نجم الدين الأصفهاني من تلامذة أبى العباس المرسى ، فكيف يكون شيخاً الشاذلى .

فصل

وقد طعن فى الخرقة وسندها جماعة ، وهم قسان : قسم اعتقدوا صحتها ، ورووها تبركاً بها ، وتكلموا فى سندها من جهة الانقطاع ، وعدم الاتصال ، لظنهم

(١) أى من شيوخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه .

عدم سماع الحسن من على تقليداً لمن قال ذلك من الأقدمين ، وقسم طعنوا في أصلها واعتقدوا بطلانها ، لا لعدم سماع الحسن من على فقط ، بل لكونها مروية من طريق على عليه السلام ، وهم ينفون عنه وعن آل بيته الكرام كل فضيلة ، لاسيما إذا توهّموا منها ثبوت مزية لعلى عليه السلام على غيره من الصحابة ، وهم النواصب أعداء آل البيت كابن تيمية وابن خلدون ، فقد قال الأول في منهاج سنته . ردّاً لقول ابن المطهر الحلي : وأما علم الطريقة فإنه منسوب ، فإن الصوفية كلهم يسندون الخرقه إليه ما نصه : والجواب أن يقال : أولاً أما أهل المعرفة وحقائق الإيمان المشهورون في الأمة بلسان الصدق ، فكلهم متفقون على تقديم أبي بكر ، وأنه أعظم الأمة في الحقائق الإيمانية والأحوال العرفانية ، وأين من يقدمونه في الحقائق العرفانية التي هي أفضل الأمور عندهم ، إلى من ينسب إليه لباس الخرقه ؟ وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان ؟ ويقال ثانياً : الخرق متعددة ، أشهرها خرقتان خرقه إلى عمر وخرقة إلى على ، فخرقة عمر لها إسنادان : إسناد إلى أويس القرني ، وإسناد إلى أبي مسلم الخولاني ، وأما الخرقه المنسوبة إلى على فإسنادها إلى الحسن البصري والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخي ، فإن الجنيد صاحب السري ، والسري صاحب معروف الكرخي بلا ريب ، وأما الإسناد من جهة معروف . فنقطع ، فتارة يقولون أن معلوماً صاحب على بن موسى الرضي ، وهذا باطل قطعاً . لم يذكره المصنفون لأخبار معروف بالإسناد الثابت المتصل كأبي نعيم وأبي الفرج بن الجوزي في كتابه الذي صنّفه ، في فضائل معروف ، ومعلوم كان منقطعاً في الكرخ ، وعلى بن موسى كان المأمون قد جعله ولياً للعهد بعده ، وجعل شعاره لباس الخضره ، ثم رجع عن ذلك ، وأعاد شعار السواد ، ومعلوم لم يكن ممن يجتمع بعلى بن موسى ، ولا نقل عنه ثقة أنه اجتمع به ، أو أخذ عنه شيئاً ، بل

ولا يعرف أنه رآه ، ولا كان معروف بوابه ولا أسلم على يديه ، وهذا كله كذب .
وأما الإسناد الآخر فيقولون أن معروفاً صاحب داود الطائى ، وهذا أيضاً باطل .
لا أصل له ، وليس فى أخباره المعروفة ما يذكر فيه أنه أخذ عن داود الطائى
شيئاً ، وإنما نقل عنه الأخذ عن بكر بن خنيس العابد السكونى ، وفى إسناد الخرقة
أيضاً أن داود الطائى صاحب حبيب العجى ، وهذا أيضاً لم يعرف له حقيقة ، وفيها
أن حبيب العجى صاحب الحسن البصرى ، وهذا صحيح ، وفيها أن الحسن صاحب عليا
وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة ، فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلى ، وإنما
أخذ عن أصحاب على ، أخذ عن الأحنف بن قيس ، وقيس بن عباد وغيرهما ، عن
على ، وهكذا رواه أهل الصحيح ، والحسن البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة
عمر ، وقتل عثمان وهو بالمدينة ، وكانت أمه أمة لأم سلمة . فلما قتل عثمان حمل إلى
البصرة ، وكان على بالسكوفة ، والحسن فى زمنه صبى من الصبيان لا يعرف ولا
له ذكر اهـ .

وقال : ابن خلدون فى مقدمة تاريخه : ثم أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة
المتكلمين فى الكشف وفيما وراء الحس ، توغلوا فى ذلك فذهب الكثير منهم إلى
الحلول والوحدة ، وملاؤا الصحف منه مثل الهروى فى كتاب (المقامات) له ،
وغیره ، وتبعه ابن العربى وابن سبعين وتلميذها ابن العفيف وابن الفارض ،
والنجم الإسرائيلى فى قصائدهم ، وكان سلفهم مخالطين للأسماعيلية المتأخرين من
الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول والهيبة الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشرب كل
من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم ، وظهر فى
كلام المتصوفة القول بالقطب ، ومعناه رأس العارفين ، يزعمون أنه لا يمكن أن
يساويه أحد فى مقامه فى المعرفة ، حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه الآخر من أهل
العرفان ، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا فى كتاب (الإشارات) فى فصول
التصوف منها ، فقال : جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد ، أو يطلع

عليه إلا الواحد بعد الواحد ، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ، ولا دليل شرعى ، وإنما هو من أنواع الخطابة ، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ، ودانوا به ، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب ، كما قاله الشيعة فى النقباء ، حتى أنهم لما أسندوا خرقة القمصوف ليجعلوها أصلا لطريقتهم وتخليهم ، رفعوه إلى على رضى الله عنه ، وهو من هذا المعنى أيضاً ، وإلا فعلى رضى الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخليفة ولا طريقة فى لباس ولا حال ، بل كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم فى الدين بشيء يؤثر عنه فى الخصوص ، بل كان الصحابة كلهم أسوة فى الدين والزهد والمجاهدة ، يشهد لذلك كلام هؤلاء المتصوفة فى أمر القاطمى وما شحنوا كتبهم فى ذلك مما ليس لسلف المتصوفة كلام فيه بنفى أو إثبات ، وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ، ومذاهبهم فى كتبهم اهـ فالحامل لهذين المنافقين بشهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، عليهما بالنفاق على إنكار هذه المزية لعل عليه السلام فى اختصاصه بعلوم الحقائق وكونه أمام الصوفية ، ومرجع أهل الطرائق ، هو بغضهما لجناحه العلى ، فانهما لم يتركا ناحية من نواحي فضائله ولا مزية من مزاياه التى خصه الله بها إلا وأنكرها وطعننا فى أساسيتها وشككا فى ثبوتها بالدعوى الباطلة ، والافتراءات الزائفة ، بل بلغت العداوة من ابن تيمية^(١) إلى درجة المكابرة وإنكار المحسوس ،

(١) نص على هذا وغيره فى كتابه منهاج السنة . (وله رسالة أخرى مخطوطة) ، زعم فيها أن الأحاديث الواردة فى فضل على عليه السلام لا تثبت له مزية على مطلق المؤمنين فضلا عن الصحابة ، وبين ذلك فقال : فى قوله عليه الصلاة والسلام لعل عليه السلام « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » خرج الشيخان - : لافضيلة فيه لعل ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثله فى الأنصار ، حيث ثبت فى الحديث :

« أنا من الأنصار والأنصار مني » ، وقال في حديث الصحيحين « من كنت مولاه فعلى مولاه » ليس فيه فضيلة لعلى ، لأن هذا ثابت لسلك المؤمنين بنص القرآن ، قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، وفي غزوة خيبر . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » ثم دعا عليا عليه السلام ، فقيل أنه يشتكى عينيه من رمد أصابه ، فأتى به ففعل في عينيه ، وسلمه الراية . قال ابن تيمية : ليس فيه فضيلة لعلى ، لأن الله وصف المؤمنين بذلك أيضاً ، في قوله تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقال : (والذين آمنوا أشد حبا لله) ، وفي الحديث الصحيح في علامات المؤمن : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها » إلى غير ذلك مما يطول ذكره في تلك الرسالة الخاطئة وغيرها . ولا يخفى ما تنطوى عليه التأويلات الباطلة المذكورة ، في تحمل بارد ، وانحراف متعمد عن الجادة . . فابن تيمية نفسه يعلم أن حديث « أنت منى بمنزلة هرون من موسى » يقتضى أن عليا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بمنزلة هرون من موسى في الأخوة ، والخلافة عنه ، قال تعالى : (وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى ، واصلىح ، ولا تتبع سبيل المفسدين) ، وفي الأخلاق ، والعلوم ، وفى كل ما اشترك فيه موسى وهرون فى خصال إلا النبوة ، ولهذا استثنائها بقوله : « إلا أنه لا نبي بعدى » والاستثناء معيار العموم ، كما تقرر فى علم الأصول ، ومن هنا كان على أعلم الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، كما كان هرون اعلم بنى اسرائيل بعد موسى عنهما السلام ، وأين من هذا قوله عليه الصلاة والسلام « أنا من الأنصار والأنصار منى » ؟ إذ الحكم هنا متعلق بالأنصار ، وهو لفظ عام ، والعام لا إشعار له باخص معين ، فلا يستطيع أنصارى أن يجزم بأن هذا الحديث يخصه ، ولكن يرجو أن يكون من مشحولاته . وكذلك حديث : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، يفيد أن ولاية على مرتبة على ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترتب الجزاء على الشرط . وحيث كانت ولايته صلى الله عليه وسلم واجبة على كل مؤمن ومؤمنة ، فولاية على كذلك . وإلى هذا أشار عمر رضى الله عنه ، حيث قال لعلى عليه السلام - بعد سماعه الحديث . هنيئاً لك أبا الحسن أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة . أما ولاية المؤمنين

فصرح بكل جرأة ووقاحة ، ولو ثم ونذالة ، ونفاق وجهالة ، إنه لم يصح في فضل على عليه السلام حديث أصلا ، وأن ما ورد منها في الصحيحين لا يثبت له فضلا ولا مزية على غيره ، مع أن إمامه وإمام أهل السنة والحديث أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : لم يرد من الأحاديث بالأسانيد الصحاح في فضل أحد من الصحابة مثل ما ورد في على ، وهكذا قال غيره من الحفاظ ، بل أضاف ابن تيمية إلى ذلك من قبيح القول في على وآل بيته الأطهار ، وما دل على أنه رأس المنافقين في عصره ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المخرج في صحيح مسلم مخاطبا لعلى عليه السلام (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) كما ألزم ابن تيمية بذلك أهل عصره ، وحكموا بنفاقه ، فيما حكاه الحافظ في ترجمته في (الدرر الكامنة) وكيف لا يلزم بالنفاق مع نطقه بقبحة الله بما لا ينطق به مؤمن في حق فاطمة سيدة نساء العالمين صلى الله عليها وسلم ، وحق زوجها أخى رسول الله صلى الله

بعضهم لبعض فهي ولاية عامة ، منوطة بوصف الإيمان ، لا تخص شخصا بعينه ، ومن ثم كان حب على إيمانا ، وبغضه نفاقا ، لأنه خص بوجوب ولايته على كل مؤمن ومؤمنة ، أما حديث غزوة خيبر ، فهو أظهر في الدلالة على فضل على ، ومزيد خصوصيته ، ولهذا استشرف كبار الصحابة في هذه الغزوة - حين سمعوا الحديث - إلى أن يكون كل منهم ذلك الرجل الذي شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، حتى قال عمر رضى الله عنه : ما تطاوت الامارة إلا في هذا اليوم . أترى عمر وكبار الصحابة كانوا لا يحبون الله ورسوله ؟ أم كانوا يحبهون أن الله ورسوله يحبهم المؤمنين ؟ لا هذا ، ولا ذاك ، ولكن سر المسألة شهادة الرسول لشخص بخصوصه ، فشهادة النبي صلى الله عليه وسلم التي سجلها في خير ، على ملائمة من الصحابة ، وصحت المناوئين لعلى - فيما بعد - بوصمة النفاق ، لأنهم نأوا أو شخصا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . وابن تيمية يعلم هذا ، أو هو لا يحمله لكنه لشدة انحرافه ، يتعاضى عنه ، أو يتعاماه : فيلتجئ إلى تلك التأويلات التي تزرى بمقامه ، وتوحي إلى اتهامه .

عليه وسلم وسيد المؤمنين فقد قال في السيدة فاطمة البتول : أن فيها شبهاً من المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله : (فإن أعطوا منها رضوا وأن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) قال لعنة الله عليه : فكذلك فعلت هي إذ لم يعطها أبو بكر رضي الله عنه من ميراث والدها صلى الله عليه وسلم . أما على عليه السلام ، فقال فيه أنه أسلم صبياً وإسلام الصبي غير مقبول على قول ، فراراً من إثبات أسبقيته للإسلام ، وججوداً لهذه المزية وأنه خالف كتاب الله تعالى في سبع عشرة مسألة ، وأنه كان مخذولاً حينما توجه ، وأنه يحب الرياسة ويقاتل من أجلها ، لا من أجل الدين وأن كونه رابع الخلفاء الراشدين غير متفق عليه بين أهل السنة ، بل منهم من كان يربع بمعاوية وهم بنو أمية بالأندلس ، فسماهم أهل السنة ، وكذب عليهم ، عليه لعائن الله . فإن هذا لم يحصل من أهل الأندلس أصلاً ، وإنما حكى هذا عن ابن عبد ربّه صاحب العقد الفريد في قصة تزلف فيها لبني أمية فذكر معاوية رابع الخلفاء ، فاتفق أهل الأندلس على ذمه وتقييده فيما فعل ، فأبى هذا الكذاب ونسب ذلك لأهل السنة ، من أهل الأندلس كلهم ، وزعم قبحه الله أن علياً عليه السلام مات ولم ينس بنت أبي جهل التي منعه النبي صلى الله عليه وسلم الزواج بها ، بل فاه في حقه عليه السلام بما هو أعظم من هذا فخحكى عن بعض^(١) أخوانه المنافقين أن علياً عليه السلام حفيت أظافره من التسلق على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، في أمثال هذا من المثالب التي لا يجوز أن يتهم بها مطلق المؤمنين فضلاً عن سادات الصحابة رضي الله عنهم فضلاً عن أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقميح الله ابن تيمية وأخزاه وجزاه بما يستحق ،

(١) هو أبو بكر ابن داود صاحب السنن ، فقد حكى عنه هذا القول الحبيث في ترجمته وإن كان هو قد تبرأ منه . وقال لا أجعل في حل من نسبته إلى وترديد ابن تيمية لهذه الحكاية الباطلة يدل على أنه يبطن بغض على عليه السلام ، وإلما استجاز ذكرها في هذا الموضع مهما كانت البواعث .

وقد فعل والحمد لله ، إذ جعله إمام كل ضال مضل بعده ، وجعل كتيبه هادية إلى الضلال ، فما أقبل عليها أحد واعتنى بشأنها إلا وصار إمام ضلالة في عصره ، ويكفي أن أخرج الله تعالى من صلب أفكاره الخبيثة قرن الشيطان وأتباعه كلاب النار ، وشر من تحت أديم السماء الذين ملأوا الكون ظلمة وسودوا وجهه بالجرائم والعظائم في كل مكان ، والكل في صحيفة ابن تيمية إمام الضالين ، وشيخ الجرمين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) وقال صلى الله عليه وسلم : (من دعا إلى ضلالة كان عليه إثم من تبعه إلى يوم القيامة) .

فصل

ومثله في الخبث والنفاق ابن خلدون وإن لم يكن عنده من الجرأة ما يساعده على نفث ما في صدره ، والتصریح بكل ما يحمله بين طيات جنبه ، بل غالب صنيعة الدس والتلويح وربما صرح بالتخطئة من جهة السياسة ، واستدرك بالتصويب من جهة الدين وجل قصده التصریح بنسبة الخطأ إلى على وآل بيته الكرام ، واستدراك التصويب إنما هو تغطية لنفاقه ، ثم هو مع ذلك لا يجد سبيلا إلى نفي فضيلة عن على وآل بيته الأطهار ، أو الصاق عيب وخطأ بهم الا بادر إلى ذلك ، كما صنع هنا وكما صنع في أحاديث المهدي المنتظر فرارا من إثبات كون المجدد الذي يحى الله به الدين آخر الزمان من آل على عليه السلام ، وعلل ذلك بأن آل البيت لم تبق لهم عصبية ، والملك لا يقوم إلا بالعصبية^(١) ، وما غرضه إلا احتقار أهل البيت ، كما كان يخالف جمهور النسابين والمؤرخين في نفي النسب عن

(١) والتبس عليه أن الإمام المهدي لا يكون ملصكا فيحتاج إلى عصبية . ولما كانه خليفة يجمع أهل الحل والعقد على بيعته ، إذ يرويه جامعا للشروط المطلوبة في خليفة المسلمين (اقرأ إبراز الوهم المبكّنون من كلام ابن خلدون . للأمام المؤلف) .

العبيدين الرافضة ويثبت هو نسبهم ليتوصل بذلك إلى شين آل البيت ، ولذلك كان الحافظ الزاهد الورع نور الدين أبو الحسن الهيثمي أحد شيوخ الحافظ يصرح ببعثه كما حكاه عنه الحافظ السخاوى فى (الإعلان بالتوبيخ) . وقال الحافظ فى (رفع الإصر عن قضاة مصر) كان ابن خلدون يجزم بصحة نسب بنى عبيد الله الذين كانوا خلفاء مصر وشهروا بالفاطميين إلى على رضى الله عنه ، ويخالف غيره فى ذلك ، وبدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن فى نسبهم ويقول : إنما كتبوا ذلك المحض مراعاة للخليفة العباسى ، وكان صاحبنا المقرئ يفرط فى تعظيمه من أجل ذلك ، لأنه ينتمى إلى الفاطميين ، فاحبه لكونه أثبت نسبهم وغفل عن مراد ابن خلدون فإنه كان لانحرافه عن آل على ، يثبت نسب الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة ، وادعى الاهمية كالحاكم ، وبعضهم فى غاية التعصب لمذهب الرفض ، حتى قتل فى زمانهم جماعة من أهل السنة ، وكان يصرح بسب الصحابة فى جوامعهم ومجامعهم ، فإذا كانوا بهذه المثابة ، وصح أنهم من آل على حقيقة ، ألصق بال على العيب ، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم ، نسأل الله السلامة انتهى كلام الحافظ ، وهو قد صحبه وخبر أحواله وسمع منه بعض مصنفاته ، كالتاريخ وغيره ، واستجازه فأجاز له وذكره فى القسم الثانى من معجم شيوخه ، ومن هذا القليل ذبه عن خلفاء بنى العباس وتبرئته ساحتهم فى كل ما يشين العرض ، والدين وإنكار أمور اتفق أهل التاريخ على نسبتهم إلى فعلها إثباتا لفضلهم وعدالتهم ، ونسكايه لآل على ، إذ بالغ بنو العباس فى إذائهم وإهانتهم وقتلهم وطردهم وتشريدهم ، والمقصود إثبات عداوة ابن تيمية وابن خلدون لعلى عليه السلام وكونهما لم ينفيا ذلك عنه بعلم وتحقيق ، بل بحقد وعداوة وغط وعناد ، وتجاهل ومكابرة فهما :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل

فعلى عليه السلام بالمنزلة التى أكرمه الله بها ، والمسكانة التى وضعها الله له فى قلوب المؤمنين ، رغما عن عداوة العداة المجرمين والحسدة المنافقين .

فصل

واعلم أن حكاية ابن تيمية اتفان أهل المعرفة وحقائق الإيمان على تقديم أبى بكر رضى الله عنه ، على على فى الأحوال العرفانية مردودة من وجوه :

(الوجه الأول) أن أهل المعرفة وحقائق الإيمان هم الصوفية رضى الله عنهم باتفاق المسلمين وابن تيمية ليس منهم حتى يعرف اتفاقهم بل هو من أعدائهم أهل الشقاق اللسانية والترهات الكلامية والتمويهات الظلمانية ، فأنى له معرفة اتفاق العارفين أهل الحقائق الإيمانية والأحوال العرفانية ؛ بل نسبة ذلك إليهم مجرد كذب عليهم ، وتهجم فى نسبة ما لم يصدر منهم إليهم ، فأنهم متفقون على خلاف ما نسب إليهم ومصرحون بأن عليا عليه السلام هو أمامهم ومرجعهم ، كما قال العارف الأكبر مجدد الطريق فى الألف الثانى مولانا العربى الدرقاوى رضى الله عنه فى رسائله ونصه: مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه هو أمام الصوفية رضى الله عنه وعنهم وهو أكبرهم وهو قطبهم ، وقد نص على هذا من لا يحصى من أئمة الصوفية المتقدمين والمتأخرين ، وقال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه : صاحبنا فى هذا الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ذلك امرؤ أعطى علما لدنيا رواه أبو عبد الرحمن السلمى ، ورواه أبو نصر السراج الطوسى فى كتاب (اللمع) فقال : سمعت أحمد بن على الوجيهى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : رضوان الله على أمير المؤمنين على ، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معانى كثيرة ، ذلك امرؤ أعطى العلم الدنى ، والعلم الدنى هو العلم الذى خص به الخضر عليه السلام قال

الله تعالى : (وعلمناه من لدنا علماً)^(١) قال : ولأمر المؤمنين على رضى الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمعاني جلية ، وأشارات لطيفة وألفاظ مفردة ، وعبرة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم وغير ذلك ، وخصال شريفة تتعلق وتخلق بها أهل الحقائق من الصوفية ، وإن ذكرنا ذلك كله طال به الكتاب ، ولكن نذكر من ذلك طرفاً نكتفى به عن التطويل فذكر عنه أشياء ، منها : وقام رجل إلى على رضى الله عنه فسأله عن الإيمان فقال : الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ، ثم وصف الصبر على عشر مقامات ، وكذلك اليقين والعدل ، والجهاد ، فوصف كل واحد منها على عشر مقامات ، فإن صح ذلك عنه ، فهو أول من تسكلم فى الأحوال والمقامات ، وقال على رضى الله عنه فى حديث كميل بن زياد : « ها إن ها هنا علماً لو وجدت له حيلة » . وأشار إلى قلبه ، فكان تخصيصه من بين الصحابة ، بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة ، من أتم المعانى وأعلا الأحوال . قال الله تعالى : (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس) ، وقال تعالى : (هذا بيان للناس) ، ولا يبلغ العبد كمال الشرف إلا بالبيان ، لأنه ليس كل من عقل يعلم ، ولا كل من علم يحسن أن يبين . فإذا أعطى العبد العقل والعلم والبيان ، فقد بلغ إلى الكمال . قال : والمشهور عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا إذا أشكل عليهم شيء من أمور الدين سألوا علماً رضى الله عنه ، فكان يبين لهم الذى يشكل عليهم ، وروى عن عمر رضى الله عنه ، أنه قال : لولا على

(١) هذه الآية من أدلة نبوة الخضر عليه السلام ، لأن التعليم فيها بوحى ، نظير قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) وقوله (وعلمك ما لم تكن تعلم) ولم يرد فى القرآن آية تفيد تعليم الله لشخص غير نبي ، فهو كما قال المحققون نبي خص بعلم حقائق الأمور ، واشتق الصوفية من اسمه مقام الحضرة للولى الذى يكون على قدمه ، ويعطى بعض علوه .

لهلك عمر ، ثم نقل السراج بعض أقواله ، ثم قال : ولعلنى رضى الله عنه أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال ، التى يتعلّق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية اه . وقال الشيخ الأكبر رضى الله عنه ، فى الباب السادس من « الفتوحات المكية » فى ذكر تجلّى الهباء : فلم يكن أقرب إليه قبولاً من ذلك الهباء إلا حقيقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المسماة بالعقل ، فكان مبتدأ العالم بأسره ، وأول ظهوره فى الوجود . فكان ظهوره من ذلك النور الإلهى ، ومن الهباء ، ومن الحقيقة الكلية ، وفى الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه ، وأقرب الناس إليه على بن أبى طالب إمام العالم بأسره وسر الأنبياء أجمعين اه .

وقال أيضاً فى خطبة الفتوحات : ولما شهدته صلى الله عليه وسلم فى ذلك العالم سيداً معصوم المقاصد ، محفوظ المشاهد ، منصوراً مؤيداً ، وجميع الرسل بين يديه مصطفىون ، وأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس ، عليه ملتفون ، وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون ، والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون ، والصدى عن يمينه الأنفس ، والنفوس عن يساره الأقدس ، والختم بين يديه قد جثا يخبره بحديث الأنثى ، وعلى عليه السلام يترجم عن الختم بلسانه وذو النورين مشتمل برءاء حياته ، مقبل على شأنه اه . فتخصيص على عليه السلام ، للترجمة عن الختم الذى هو عيسى عليه السلام ، دليل على أنه الخصوص من بين سائر الصحابة بعلوم المعرفة وحقائق الإيمان . وقال أيضاً فى الباب الثلاثين فى ذكر الأفراد ، قال الجنيد : لا يبلغ أحد درجة الحقيقة ، حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق ، وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم ، وهم أصحاب العلم الذى كان يقول فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، حين يضرب بيده على صدره ويتنهد : « إن ها هنا علوماً جمّة لو وجدت لها حملة ؟ » ، فإنه كان من الأفراد ، بل أوجد الأفراد ، باب مدينة العلم ودار الحكمة ، ولم يسمع هذا من

غيره في زمانه ، إلا أبو هريرة رضى الله عنه ، ذكر مثل هذا البخارى في صحيحه عنه : أنه قال حملت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعائين ، أما واحد فبثنته فيكم . وأما الآخر فلو بثنته قطع منى هذا البعلوم ، فأبو هريرة ذكر أنه حمله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان فيه ناقلا من غير ذوق ، واسكنه علم لكونه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم اه . أى بخلاف على عليه السلام ، فإنه كان حاملا له عن ذوق ، فلذلك كان إمام العارفين ومرجعهم دون غيره .

وقال القونوى « في شرح التعرف » ، أما على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فكان رأس العارفين ، وبجميع الأمة اتفاق على أنه كانت لعل رضى الله عنه أنفاس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله أقاويل لم يقلها قبله أحد ، ولا أتى بمثلها بعده أحد ، إلى أن قال يوماً وهو قائم على المنبر : سلونى عما دون العرش ، فإن فيما بين الجوانح علما جما . هذا لعاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ، هذا مازقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زقا زقا ، فوالذى نفسى بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلموا لو وضعت وسادة فأخبرت بما فيهما فتصدقانى على ذلك .

« نقله صاحب فصل الخطاب وشواهد النبوة »

وقال أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسى فى « المنح الصافية » ، قال الشيوخ رضى الله عنهم فى حق على عليه السلام : أنه أعطى العلم الدنى ، ولا تصح النسبة إلى الولاية التى هى منبع الولاية الحقيقية والمعارف الإلهية إلا من جهته وحقيقته ، فهو إمام الأولياء المحمدين كلهم ، وأصايمهم ومنشأ اتسابهم إلى الحضرة الحمديّة ، ومظهر نور الولاية الأحمديّة ، حين انشق قر النبوة والولاية المندرج أحدهما فى الآخر ، حيث غلب نور النبوة ، وختم ظهوره به صلى الله عليه وسلم ، الذى كان انشقاق القمر صورة لذلك الانشقاق ، وهو باطنه وسره الظاهر بسبب ظهوره ، فإن كل معنى لابد وأن تظهر له صورة محسوسة ، وهو أيضا يعنى على بن أبى طالب أرفع عارف فى الدنيا ، من حيث ما خصه به رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقوله : « أنا مدينة العلم وعلى ^(١) بابها » ، وهو علم الحقيقة ، فكان كرم الله وجهه ، بمنزلة الباب من المدينة ، لا يخرج من المدينة شيء حتى يمر بالباب ، فلهذا كان رضى الله عنه ، له العلم التام ، والكشف الحقيقى ، وكشف معضلات الكلام العظيم ، والكتاب القديم ، الذى هو من أخص معجزاته صلى الله عليه وسلم ، بأوضح بيان ، مع فضائل أخرى لا تحصى اهـ .

وقال : الألوسى فى التفسير عند قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ما نصه : والآية عند معظم المحدثين نزلت فى على كرم الله وجهه ، وكثير من الصوفية قدس الله أسرارهم يشير إلى القول بخلافته كرم الله وجهه ، بعد الرسول عليه الصلاة والسلام بلا فصل ، إلا أن تلك الخلافة عندهم هى الخلافة الباطنية التى هى خلافة الإرشاد والتربية والإمداد الروحانى ، لا الخلافة الصورية التى هى عبارة عن إقامة الحدود الظاهرة ، وتجهيز الجيوش ولذب عن بيضة الإسلام ومحاربة أعدائه بالسيف والسنان ، فإن تلك عندهم على الترتيب الذى وقع ، كما هو مذهب أهل السنة ، والفرق عندهم بين الخلافتين ، كالفرق بين القشر واللب ، فالخلافة الباطنة لب الخلافة الظاهرة ، وبها يذب عن حقيقة الإسلام ، وبالظاهرة يذب عن صورته (وهى مرتبة القطب ، فى كل عصر ، وقد تجتمع مع الخلافة الظاهرة كما اجتمعت فى على عليه السلام أيام إمارته ، وكما تجتمع فى المهدي أيام ظهوره ، وهى النبوة رضيعاً ثدى ، وإلى ذلك الإشارة بما يروونه عنه عليه الصلاة والسلام ، من قوله عليه الصلاة والسلام : « خلقت أنا وعلى من نور واحد » ، وكانت هذه الخلافة فيه كرم الله وجهه على الوجه الأتم ، ومن هنا كانت سلاسل

(١) اقرأ كتاب فتح الملك العلمى بصحة حديث باب مدينة العلم على للإمام الحافظ المرحوم مؤلف هذا الكتاب قدس الله سره ونور ضريحه .

أهل الله عز وجل منتهمية إليه ، إلا ما هو أعز من بيض الأنوق ، فإنه ينتهي إلى الصديق رضى الله عنه كسلسلة ساداتنا التي شبندي نفعنا الله تعالى بعلومهم وأسرارهم ، ومع هذا ترد عليه كرم الله وجهه أيضاً ، وبمقسيم الخلافة إلى هذين القسمين ، جمع بعض العارفين بين الأحاديث المشعرة أو المصراحة بخلافة الأئمة الثلاثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الترتيب المعلوم ، وبين الأحاديث المشعرة أو المصراحة ، بخلافة الإمام كرم الله وجهه بعده عليه الصلاة والسلام ، بلا فصل ، فحمل الأحاديث الواردة في خلافة الخلفاء الثلاثة على الخلافة الظاهرة ، والأحاديث الواردة في خلافة الإمام كرم الله تعالى وجهه على الخلافة الباطنة ، ولم يعطل شيئاً من الأخبار ، وقال بحقيقة الخلافة الأربعة رضى الله عنهم أجمعين اه .

قلت : والحديث المتقدم في كلامه أخرجه الخطيب من حديث موسى بن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده بلفظ « من طينة واحدة » ، وقال جدنا من قبل الأم العارف أبو العباس أحمد بن عجيبة في « إيقاظ الهمم بشرح الحكم » لما تكلم على مبادئ علم التصوف : وأما واضح هذا العلم فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله إياه بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشرعة ، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه ، وأخذ عنه الحسن البصري إلخ ، وسبقه إلى نحو هذا الحافظ السيوطي في كتابه « تأييد الحقيقة العلية » حاكياً له عن غيره ، أعنى كون على عليه السلام ، هو أول من تكلم في علم التصوف ، وكذا قال العارف الحراق في شرح الحكم : أول من تكلم في هذا العلم وأظهره سيدنا على رضى الله عنه ، ثم أخذ عنه أول الأقطاب سيدنا الحسن ولده اه .

قال : الإمام ابن الفارض في تأييده مشيراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

بعترته استغنت عن الرسل الورى وأصحابه والتابعين الأئمة

قال شارحها الفرغنى بعد كلام : وإنما قدم ذكر العترة على ذكر الصحابة لأن علوم الحقيقة والطريقة ، ما ظهرت أولاً ، إلا بوساطتهم ونسبة الولاية والخرقة لا تتصل إلا بهم رضوان الله عليهم أجمعين اه .

وقال : الشاه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى كتابه : « الدر الثمين فى مبشرات النبي الأمين » سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤالاً روحانياً ، عن سر تفضيل الشيخين على على رضى الله عنهم مع أنه أشرفهم نسباً ، وأفضاهم حكماً ، وأشجعهم جناناً ، والصوفية جميعاً ينتسبون إليه ، ففاض على قلبى منه صلى الله عليه وسلم وجهان ظاهر وباطن : فالوجه الظاهر إلى إقامة العدل فى الناس وتأليفهم وإرشادهم إلى ظاهر الشريعة ، وهما أى الشيخان بمنزلة الجوارح له فى ذلك . والوجه الباطن إلى مرتبة الفناء والبقاء وإرشاده إلى باطن الشريعة ، وعلى بمرتبة الجوانح له هنالك اه .

وقال المناوى فى « فيض القدير » فى الكلام على حديث : (خمس من أوتين لم يعذر على ترك عمل الآخرة : زوجة صالحة ، وبنون أبرار ، وحسن مخالطة الناس ، ومعيشة فى بلده ، وحب آل محمد صلى الله عليه وسلم) ما نصه : قال الحرالى : سلسلة أهل الطريق تنتهى من كل وجه من جهة المشايخ والمريدين إلى أهل البيت ، فجهات طرق المشايخ ترجع عامتها إلى تاج العارفين أبى القاسم الجنيد ، وبداية أبى القاسم أخذها من خاله السرى ، والسرى اتم بمعروف ، ومعروف مولى على بن موسى الرضا وهو عن آبائه رضى الله تعالى عنهم فرجع السكل إلى على (أولئك حزب الله) اه .

وقد حمل كثير من الأئمة والعارفين الأحاديث الواردة فى فضل على عليه السلام بما يشير أو يصرح بتقديمه على الشيخين رضى الله عنهما أو اختصاصه بالأمر دونهما كحديث المؤاخاة وحديث الموالات وأحاديث الوصية وأحاديث (ه — البرهان الجلى)

الأعلمية وحديث التبليغ وحديث السفينة^(١) ونحوها على هذا الأمر وهو اختصاص على عليه السلام بالحقائق العرفانية ، والخلافة الباطنية ، وكونه بابا موصلا للعارفين إلى الحضرة الأحمدية ، دون غيره من الصحابة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أشار بتلك الأحاديث إلى هذا المعنى الذي هو أجل وأعلى ، وأكمل وأفضل ، من غيره ، مع مشاركة على عليه السلام لهم في غيره ، ولما لم يفهم أهل الظاهر مراده صلى الله عليه وآله وسلم من تلك الأحاديث ظنوا أنها متعارضة ، فانقسموا لذلك قسمين

(١) حديث المؤاخاة - وإن كان ضعيف السند يصححه ويقويه حديث « أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . . وهو مخرج في الصحيحين وغيرها وحديث الموالاتة . أفرد الحافظ ابن عقدة بكتاب ضخم جمع فيه طرقه الكثيرة ، وسماه كتاب الموالاتة ، ومعظم أسانيده جيدة كما قال الحافظ ابن حجر ، وأن بعض نواصب العصر أضله الله على علم فادعى وضعه ، مع أنه في الصحيحين ، بل ذكره الحافظ السيوطي رضى الله عنه في المتواتر ، لكثرة طرقه التي زادت على عشرين وحديث الوصية أفرد الشوكاني برسالة مطبوعة بين فيها طرقه ، وشرح معناه ، وحديث العلمية صحيح ثابت ولقد بلغ في شهرته بين أهل الحديث أن الحافظ تقي الدين عليا بن عبد الكافي السبكي ، حين ولي خطابة الجامع الأموي بدمشق ، هنأه الحافظ الذهبي ببיתين من الشعر ، ورى فيهما هذا الحديث ، فقال :

ليهن المنبر الأموي لما علاه الحافظ الخبر التقى
قضاة العصر أخطبهم جميعا وأعلمهم واقضاهم على

وحديث التبليغ ، في صحيح البخاري في قصة نزول براءة في حجة الوداع ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر رضى الله عنه يقرأ على الناس سورة براءة وما فيها من العهود ، ثم بعث في إثره من رده ، وبعث بدله عليا عليه السلام ، فجزع أبو بكر ، وقال : هل حدث شيء يا رسول الله ؟ قال : « لا » ، ولكن لا يبلغ عنى إلا أنا أو رجل مني » وحديث السفينة ، صحيح بطرقه الكثيرة ، لكن لفظ روايته المشهورة « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك » وعلى رئيس أهل البيت عليهم السلام .

وافترقوا فرقتين ، فرقة تمسكت بأحاديث على عليه السلام إذ رأته مصرحة بخلافته ووصايته وأعلميته ووجوب موالاته ، ورأت أن الحق معها ففسقت مقابلتها وضلتها لخالفته ظاهر النصوص في نظرها وهم الشيعة ، وفرقة تمسكت بأحاديث الخلفاء الثلاثة إذ رأته مؤيدة بإشارات وقرائن ، ومطابقة لما جرى به القلم ، وبرز للعيان ففسقت مقابلتها وضلتها إذ رأته خارجة عن الحق ، ناكبة عن الطريق ، وهم الجمهور ثم سلك كل فريق في الأحاديث المخالفة لرأيه مسلك الإعراض بالظن والتضعيف ، والرد والتزييف ، مع غلو وإفراط ، وتجاوز للحد وإسراف لعجزهم عن الجمع بين الدليلين ، والتوفيق بين الطرفين ، والحق خلاف المسلكين ، وبعيد عن الفريقين ، ولو فهموا من تلك النصوص ما فهمه الصوفية رضى الله عنهم ، لرأوها متفقة غير مختلفة ، إذ ما كان من عند الله لا يختلف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

وقال الإمام الحافظ الصوفي أبو عبد الله محمد بن قاسم الترمكاني (في القول المستحسن) بعد إيراد طرق حديث (من كنت مولاه فعلى مولاه) وتبيين معنى الولاية والرد على الرافضة في حملهم الولاية في الحديث على الولاية الظاهرة بما فيه طول مانصه : ولما امتنع حمل الولاية في الحديث على الولاية الظاهرة تعين حملها على الولاية الباطنة ، إذ لا ثالث البعثة ، وهو المعنى بما رواه أحمد في مسنده والنسائي في خصائص على والطحاوي في مشكل الآثار وابن عساكر في الموافقات والأربعين الطوال بسند صحيح عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي (لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفة) زاد النسائي (وأنت ولي كل مؤمن بعدى) فهذه الولاية الباطنة ولاية نعمة العلم والحكمة وهي مرتبة الختمية الخاصة كما يكون في مرتبة القطبية الغوثية والفردية والتدنية والبدلية وغيرها وقد قال على رضى الله عنه في وصيته لـ كميل : الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاه ، وهيج راع إلى قوله : ها ها ، إن ها هنا - وأشار إلى صدره - علما لو أصبت له حملة إلى قوله اللهم

بلى لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور ، وإما مستور مغمور لكيلا
لا تبطل حجج الله وبياناته أولئك الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدرا بهم
يدفع الله عن حججه حتى يؤديها إلى نظرائهم ، فيزرعوها في قلوب أشباههم ،
هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، تلك أبدان أرواحها معلقة بالحل الأعلى ، أولئك
خلفاء الله في بلاده ، والدعاة إلى دينه إلح فقيه رد على من ينكر من أهل السنة
والشيعة حمل خبر المولى على ولاية العلم ، دون خلافة الحكم ، ويؤيد ذلك حديث
(اللهم ارحم خلقاً) ثلاث مرات ، قيل يارسول الله : ومن خلفاؤك ؟ قال (الذين
يأتون من بعدى يروون أحاديثي ويعلمونها للناس)^(١) ، رواه الطبراني والخطيب
في شرف أصحاب الحديث من حديث علي عليه السلام قال : ويدل على إمامته
لفقراء الظاهر أمراء الباطن ، حديث ياعلى أن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة
أحب إلى الله تعالى منها هي زينة الأبرار عند الله الزهد في الدنيا لجعلك لاترأ من
الدنيا شيئاً ولا ترأ منك الدنيا شيئاً ووصب لك رحب المساكين لجعلك ترضى
بهم اتباعاً ويرضون بك إماماً) رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من
حديث عمار بن ياسر ، وعزاه الحب الطبري لأبي الخير الحاكى ، وصاحب الاكتفاء
لعبد الله بن سبع الأندلسي في الشفا ، وذكره الحافظ السيوطي في جمع الجوامع ،
وسكت عليه مع التزامه ألا يذكر فيه حديثاً موضوعاً .

وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن وهب بن منبه ، قال : أوحى الله إلى
عيسى إني وصيت لك حب المساكين ورحمتهم ، تحبهم ويحبونك ، وبرضون بك
إماماً وقائداً ، وترضى بهم صحابة وقبلاً ، فهذا في خاتم الولاية العامة عيسى عليه

(١) منه أخذ أهل الحديث ، لقب « أمير المؤمنين في الحديث » وهو أعلى رتبة
في الحفظ عندهم ، ناله أفراد قلائد ، منهم : شعبة ، محمد بن اسحاق ، مالك ، البخاري ،
وآخرهم ابن حجر العسقلاني . تليها - في النزول رتبة الحافظ ، ثم المفيد ، ثم المحدث
ثم المستد . أما (الحجة فمن مراتب التوثيق ، وليس عندهم رتبة الحاكم) .

السلام شاهد عدل لذلك وختم الولاية الخاصة على عليه السلام وإلى هذا ونحوه الإشارة في تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بإياه بأبي تراب ، قال العارف بالله المعروف بالباقي بالله ، شيخ السادة النقشبندية في كتابه (المثنوى) ما معناه : أن التراب إشارة إلى وجود أهل التوحيد والفناء ، فيكون حاصل معنى أبي تراب : أنه رضى الله عنه هو الأصل المقتدى به في هذا المعنى والمرجع لطائفة الفقهاء أرباب الفناء الكامل ، فلا جرم كانت سلاسل مشايخ الطريق تنتهى إليه اه . وقد تبعه على هذا الفاضل الصالح الجليل عبد الحق الدهلوى في شرح (سفر السعادة) وسبقهما إلى نحوه من الإشارة الصوفية العلامة عصام الدين إبراهيم بن عرب شاه الإسفرايينى فى شرح شمائل النبي صلى الله عليه وسلم للترمذى ، وقد أشعر بهذا الأمر علامة النقشبندية المولى عبد الرحمن الجامى فى (ديوانه) وفى (شواهد النبوة) ، ونقل مثل ذلك عن شرح التعرف ، ونقل المناوى عن الحرانى أن سلسلة أهل الطريق تنتهى من كل وجه إلى أهل البيت ، والكل يرجع إلى على عليه السلام ، وإلى ذلك الإشارة بحديث (ألا أن أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) وفى لفظ (غرق) رواه أحمد وابن جرير والحاكم من حديث أبى ذر والبزار من حديث ابن عباس ، وابن الزبير ، والدولابى (فى الكنى) من حديث أبى الطفيل ، ولابن أبى شعبة ، بسند صحيح عن على رضى الله عنه (إنما مثلنا فى هذه الأمة كسفينة نوح وكباب حطة فى بنى إسرائيل) وحديث « سألت الله أن يجعلها أذنك يا على) لما نزل قول الله تعالى (وتعيها أذن واعية) فقال على : ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فنسيته ، وحديث (يا على إن الله أمرنى أن أذنك وأعلمك لتعى ، أنزلت هذه الآية (وتعيها أذن واعية) فأنت أذن واعية لعلمى » رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والواحدى وابن النجار عن بريدة ومن الأدلة الأجلة لذلك حديث (إن تؤمروا أبابكر تجدوه أميناً زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف فى الله لومة

لأنهم ، وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم) وفي لفظ حذيفة (يقيمكم على صراط مستقيم) فهذا الحديث الصحيح ، كالنص الصريح في تقديم عليّ على الشيخين رضي الله عنهم ، في هداية الخليفة للطريقة الحقّة ومعرفة الحقيقة المعبر عنها بالصراط المستقيم ، وما وصفا به هو كما ترى في ضمنها ولا يخفى أنه إنما اهتدى بعليّ ، على نحو الخصوصية العرفاء الصوفية ، وأما سلاسل النقاء فكلهم مشترك فيها مع كونه أقمهم وأقضاهم كما ورد مرفوعا وموقوفا . وفي الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم في قصة خيبر (فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) هذا في الظاهر فما ظنك بالباطن الباهر ، وللبغوي في معجمه عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لكل نبي وصى ووارث وأن عليّا وصى ووارثي .

وقال ابن أبي شيبة في كتاب الأوائل من (المصنف) : حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال : قيل لقثم كيف ورث على النبي صلى الله عليه وسلم دونكم ؟ قال : أنه والله كان أولنا به لحوقا وأشدنا به لزوقا ، وفي حديث اللواخاة عن زيد بن أبي أوفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعليّ (أنت أخي ووارثي) ، قال : وما أرت منك يا رسول الله ؟ قال : (ما ورث الأنبياء من قبلي كتاب ربهم وسنة نبيهم ، رواه ابن عساكر في الأربعين الطوال ، وعزى لأحمد في المناقب ، وفي حديث معاذ : قال علي يا رسول الله : ما أرت منك قال : (ما يرث النبيون بعضهم من بعض كتاب الله وسنة نبيه) رواه الملا في سيرته ، ولا وجه للتخصيص إلا بأن يراد القسط الأوفى من فهم لطائفتهم ومعارفهما وحقائقهم ودقائقهم .

وقال الشاه الدهلوي في التفهيمات : وعلى رضي الله عنه ورث من النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة كاملة ، ثم ذهب إلى القرب المملوكوتي ، ثم نزل في شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم للشرع واستوطنها ، ولذا سمي نفسه بالوصي ، وهذه

هى الوصاية ، وقال : لابد لكل نبي من الوصى ، وكذا الوصاية عندنا حكمة ، ثم تحمل شرع النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلومه ، وتكفل لأئمة بالدعاء ، ومنصبه أن يكون خازن علم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحامل وحيه اه .

قلت : وأثر قثم الذى عزاه لابن أبى شيبه أخرجه ابن عساكر بسند صحيح ، وزاد : فلما بلغ هذا الخبر إسماعيل القاضى إمام المالكية فى عصره ، قال : إنما يرث الوارث بالنسب والولاء ، ولا خلاف أن العم مقدم على ابن العم ، فصح أن عليا ورث العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دونهم .

قلت : وهذا معلوم بالضرورة لأهل العلم بالحديث والسير ، فإن عليا عليه السلام لم يرث من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من متاع الدنيا ، وذلك كان معلوما بالضرورة أيضا لأهل ذلك العصر : أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث ، فأبو إسحاق لم يسأل عن وراثته المال ، وإنما سأل عن وراثته العلم ، لما رأى عليا مختصا به دونهم ، كما كان ذلك مشهورا بين الصحابة والتابعين .

قال سعيد بن المسيب كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن ، وكان يقول لولا علىّ لهلك عمر ، رواه ابن أبى خيثمة ، وكذلك كان رضى الله عنه يقول عند مسألة على لا أبقانى الله بعدك يا أبا الحسن .

قال ابن الأثير فى (أسد الغابة) بعد إيراده أنارا فى علم على عليه السلام : ولو ذكرنا ما سأله الصحابة مثل عمر وغيره رضى الله عنهم لأطلنا اه . بل نص المناوى فى الشرح الكبير : على أن عمر رضى الله عنه لم يول عليا عليه السلام شيئا من البعوث أيام خلافته احتياجا إلى علمه ، وتوقفا عليه فى حل المشكلات وفك المعضلات ، وقد ورد عنه من طرق متعددة ، فى الصحيح وغيره أنه كان يقول : علىّ أقضانا ، قال بعض العارفين : وإنما يكون أقضى من كان أعلم .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن القرآن أنزل على سبعة أحرف

ما منها حرف إلا لاله ظهر وبطن وإن عليا بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن ، رواه أبو نعيم في الحلية .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما كننا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى عليّ سبعين عهدا لم يعهدا إلى غيره رواه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في الحلية . وقال أيضا : والله لقد أعطى علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم . وأيم الله لقد شاركتكم في العشر العاشر رواه ابن عبد البر وروى طاووس عنه أيضا ؟ قال : كان علي والله قد ملئ علما وحلما .

وقال عمرو بن العاص : قلت لعبد الله بن عبيد الله بن أبي ربيعة : يا عم لم كان صفو^(١) الناس إلى عليّ ؟ قال : يا ابن أخي أن عليا كان له ماشئت من ضرر قاطع في العلم ، وكان له البسطة في العشرة والقدم في الإسلام ، والصهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقہ في السنة ، والنجدة في الحرب ، والجود في الماعون ، ذكره ابن عبد البر .

وروى الحاكم في المستدرک عن الأسود بن يزيد النخعي ، قال : لما بويع علي بن أبي طالب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خزيمة^(٢) بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر :

إذا نحن بايعنا عليا فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس أنه أطب قرش بالكتاب والسنن
وهكذا شهدت له عائشة رضى الله عنها بأنه كان أعلم الناس بالسنن ، فروى ابن أبي خيثمة عن جابر قال : قالت عائشة من أفتاكم بصوم عاشوراء ؟ قالوا : عليّ ، قالت نعم أما أنه أعلم الناس بالسنة . وكانت كثيرا ما ترجع إليه في المسائل .

(١) ميلهم واستماعهم .

(٢) صحابي جليل جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين .

وذكر ابن عبد البر أن معاوية لما بلغه قتل علي رضي الله عنه ، قال : ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب :

وروى أبو نعيم عن هبيرة بن يريم : أن الحسن بن علي عليهما السلام قام وخطب الناس ، وقال في أبيه : لقد فارقكم رجل بالأوس لم يسبقه الأولون ، ولم يدركه الآخرون بعلم .

وقال سعيد بن المسيب : ما كان أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علي بن أبي طالب . رواه الدولابي (في السكني والاسماء) .

وروى ابن أبي خيثمة عنه أيضا أنه قال : ما كان أحد من الناس يقول : سلوني غير علي بن أبي طالب ، وقال عبد الملك بن أبي سليمان قلت لعطاء كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أعلم من علي بن أبي طالب ؟ قال : لا والله ما أعلمه ، وقال الحسن البصري وقد سئل عن علي عليه السلام : كان علي والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالثؤومة عن أمر الله . ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائم ، ففاز منه برياض موقنة ، ونصوص الصحابة والتابعين بهذا لا تكاد تنحصر ، بل أعلمية على عليه السلام معلومة بالتواتر المفيد للعلم الضروري اليقيني ، لكل من خالط كتب السنة والسير والتاريخ ، وعصمه الله من بدعة النصب والانحراف عن علي وآله السكرام ، وكذلك نصوص الصوفية رضي الله عنهم ، على تقديم علي رضي الله عنه على غيره في الحقائق الإيمانية ، والأحوال العرفانية ، بل هو اتفاق منهم كما سبق ، لا كما يفتره ابن تيمية ، ويشهد لهذا أخبار النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى بأن عليا عليه السلام أعلم أصحابه . فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة أنه قال لفاطمة صلى الله عليها وسلم ، (أما ترضين إنى زوجتك أقدم أمتى سلما وأكثرتهم علما وأعظمهم حملا) وفي

رواية زوجتك (أعلم المؤمنين وأقدمهم سلماً وأفضلهم حلماً) رواه أحمد في مسنده من حديث معقل بن يسار بسند صحيح ، ورواه الطبراني من وجه آخر بسند صحيح أيضاً ، من مرسل أبي إسحاق وابن عساكر موصولاً من رواية أبي إسحاق عن أنس وابن عساكر أيضاً من حديث عائشة عن فاطمة عليها السلام ومن حديث أسماء بنت عميس ، ورواه الخطيب (في المتفق والمفترق) وابن عساكر من حديث بريدة ، وورد أيضاً من حديث ابن عباس وأبي هريرة وعلى بن أبي طالب بسند صحيحه ابن جرير .

وقال ابن مسعود كُتبت عند النبي صلى الله عليه وسلم فسئلت عن علي فقال : (قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً) رواه أبو نعيم في الحلية .

وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث سلمان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعلم أمتي من بعدى علي بن أبي طالب) . وورد نحوه من حديث معاذ بن جبل وعمر وابن عباس ، وفي معناه الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أقضى أمتي علي بن أبي طالب) ، رواه الطبراني في الصغير من حديث جابر بن عبد الله ، ورواه البغوي في شرح السنة من حديث أنس بن مالك ، وعبد الرزاق في (المصنف) من مرسل قتادة قال الخافظ في الفتح ، ورويناه موصولاً في فوائد أبي بكر محمد بن العباس بن نجيم من حديث أبي سعيد الخدري ، ورواه أبو يعلى مطولاً من حديث عبد الله ابن عمر بن الخطاب . وكذلك هو عند الترمذي والطحاوي في (مشكل الآثار) من حديث أنس .

قال : السجزي في (فوائد الفؤاد) ذكر سلطان المشايخ محمد نظام الدين مهابة عمر رضي الله عنه ، وقوله : لولا علي لهلك عمر في قصتين وقعتا له ، فقال : ومع تلك الدرجة العظيمة كان بالنسبة إلى علي كرم الله وجهه كما ترى . وقد قال

صلى الله عليه وسلم للصحابة (أقضاكم على) وإنما يكون اقضى من كن أعلم اه .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة : أنه قال (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتني من بابي) وهو حديث صحيح ، رواه ابن جرير في تهذيب الآثار والحاكم في المستدرک . وقال صحيح الإسناد ، والطبرانی في الكبير وأبو محمد السمرقندي في (بحر الأسانيد في صحاح المسانيد) وخيثمة بن سليمان في (الفضائل) والخطيب (في التاريخ) من طرق متعددة من حديث ابن عباس ، وصححه إمام أهل الجرح والتعديل يحيى بن معين ، وغيره من الحفاظ ورواه الترمذی في سننه ، وابن جرير في (تهذيب الآثار) وأبو الحسن علي بن عمر الحرابي في أماليه والخطيب في (تلخيص المنشأه) وابن النجار (في التاريخ) من طرق عن علي عليه السلام ، ولفظ الترمذی وابن جرير (أنا دار الحكمة وعلى بابها) وقال ابن جرير هذا خبر عندنا صحيح سنده ورواه الحاكم في المستدرک ، والخطيب في التاريخ ، وابن عدى في السكامل ، من حديث جابر بن عبد الله ، وقال الحاكم : إسناده صحيح ، وهو أعظم دليل ، وأوضح برهان على تخصيص علي عليه السلام بعلوم الحقائق والعرفان ، وأنه لا يصل واصل إليها إلا من بابي ، وإلا كان مدلول الحديث غير مطابق للواقع ، إذا حمل على مطلق العلم ، لأن علياً عليه السلام لم ينفرد به وحده ، حتى يكون هو بابي ، بل شاركه جماعة من الصحابة في رواية العلم علم الظاهر ، ونقله عن النبي صلى الله عليه وسلم فهم في ذلك كلهم أبواب للوصول إليه ، والنبي صلى الله عليه وسلم خص علياً وحده بكونه الباب الموصل إلى مدينة السلم ، فكان صريحاً في تخصيصه ، رضي الله عنه بعلم الباطن ، الذي هو نتيجة العمل بالعلم الظاهر ، وهو العلم الحقيقي المقصود بالذات ، ولذا عبر عنه في الرواية الأخرى بالحكمة ، ولما لم يفهم الناس هذا المعنى من الحديث ، وحملوه على مطلق العلم وجدوه معارضا للواقع مخالفًا للمشاهد فاجأوا إلى رده والظعن

فى أسانيدہ وتجريح رواۃ بما لا يقبلہ عقل ، ولا يوافقہ نقل ، مخالفين بذلك كل ما أصولہ من أصول وقعدوہ من قواعد . وقد ابطالنا شبهہم فى ذلك بما لا مزيد عليہ فى کتابنا (فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم على) وهو مطبوع فارجع إليه ؛ فإنه يفيدك العلم القطعى بصحة هذا الحديث ؛ وبالطريق التى سلكها الصوفية رضى الله عنهم فى فهم هذه الأحاديث ينحل كل أشكال فى الباب كما سبق والله أعلم .

فصل

الوجه الثانى : أنه إذا قصد بأهل الحقائق الإيمانية ، علماء الظاهر فى كفاية الاتفاق عنهم كذب أيضاً ، فإن كثيراً منهم ، مع تفضيلهم الشيخين رضى الله عنہما مصرحون بأعلمية على عليه السلام ، من عصر الصحابة والتابعين ، إلى عصر ابن تيمية وابن خلدون ، وابن تيمية أعرف الناس بذلك ، ولكنه يفتى الكذب ويتجاهل لنصرة رأيه ، وغط حق المولى على عليه السلام ، بل كل من يصرح بأعلمية أبى بكر على على رضى الله عنہما ، فإنما يباهت ، وينكر ما يكاد يعلمه من نفسه بالضرورة ، بل هو معلوم له بالضرورة جزمًا ، وإنما يحمله على هذا البهت ، ظنه أن الأعلمية تنافى الأفضلية المقررة عند الأشاعرة والماتريدية ، والمفضلون لعلى على الشيخين رضى الله عنہم ، متفقون أيضاً على أعلمية على عليه السلام ، كما سيأتى ، فلو قال قائل : إن الاتفاق حاصل على نقيض ما قال ابن تيمية ، لكان هو المصيب الموافق للواقع ، ويكفى أن المثل إنما يضرب بعلم على لا بعلم أبى بكر وعمر رضى الله عنہم أجمعين .

قال الإمام الحافظ موفق الدين بن قدامة فى كتاب « إثبات صفات الملوك » .
واعلم رحمك الله أنه ليس من شرط صحة التواتر الذى يحصل به اليقين ، أن يوجد التواتر فى جزء واحد ، بل متى نقلت أخبار كثيرة فى معنى واحد ، من طرق يصدق بعضها بعضًا ، ولم يأت ما يكذبها ، أو يقدر فيها ، حتى استقر ذلك فى

القلوب ، واستيقنته ، فقد حصل التواتر ، وثبت القطع واليقين ، فإذا نتيقن جود حاتم ، وإن كان لم يرد به خبر واحد مرضى الإسناد ، لوجود ما ذكرنا وكذلك عدل عمر ، وشجاعة على وعلمه عليه السلام ، اهـ .

فصل

فهذا أحد أئمة مذهبه الحنبلي يضرب المثل للتواتر المعنوي بتواتر علم على ، لا بتواتر علم أبي بكر رضى الله عنهما ، وذلك مما يكذب ابن تيمية فى حكايته الاتفاق عن أهل الحقائق الإيمانية .

الوجه الثالث : إنه إذا كان عمدته فى حكاية الاتفاق هو ما يذهبون إليه من تفضيل الشيخين على على رضى الله عنهم ، فهو أيضاً باطل لعدم اتفاقهم على ذلك ، بل هم مختلفون فى التفضيل بين على والشيخين ، وبين على وعثمان ، رضى عنهم ، وإنما الاتفاق واقع على أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، على هذا الترتيب ، وهذا لا يلزم منه الأفضلية . حتى يقع الاتفاق عليها ، بل قد بلى الخلافة المفضول ، مع وجود الفاضل ، إذ لم يرد نص من الشارع باشتراط الأفضلية للخلافة ، حتى يكون السابق لها هو الأفضل . بل الأسبقية وقعت على وفق ما جرى به القلم فى علم الله تعالى ، أن يكون هو السابق لها بحسب تقدمه فى الزمان ، كما يقوله الشيخ الأكبر رضى الله عنه أو بحسب ما كان أصلح لها فى عصره ، كما يقوله بعض كبار الأئمة من الصوفية الحديثين ، لا من كان أفضل وأعلم كما يظنه من لا تحقيق معه ممن راجت عليه دسائس الدسائسين وقد ذهب إلى تفضيل على عليه السلام على سائر الصحابة جماعة من الصحابة والتابعين والسلف الصالح ، وذهب آخرون إلى الوقف وعدم التفضيل والخوض فيه ، لعدم ثبوت الدليل على ذلك ، وذهب آخرون إلى القول بالتفضيل على حسب ترتيب الخلافة ، ثم اختلفوا ، فذهب جماعة إلى أنه فى الظاهر دون الباطن

وأن الأمر قد يكون في الواقع ونفس الأمر خلاف الظاهر ، وذهب الحقوقيون من الأشاعرة إلى أن التفضيل ظني ، وأن الأمر قد يكون على خلاف المظنون ، ومن ذهب منهم إلى أن التفضيل قطعي لم يستند على ما يشبه الدليل ، فضلاً عما يفيد القطع ، غاية ما في الباب أدلة تشير إلى خلافة أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم وتقديمه في بعض المواقف ، احتراماً لمنصبه الجليل ، ومراعاة لفضله وأياديه البيضاء في الإسلام ، وإكرامه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بماله به المنة على رقة كل مؤمن محب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لا يفيد القطع بأفضليته من كل الوجوه ، ولا على تقدمه على غيره من سائر النواحي ، وأما قول عبد الله بن عمر : كنا نخير بين الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا نفاضل بينهم ، فتروك الظاهر بإجماع أهل السنة على تفضيل على بعد عثمان ، بل قد رده كثير من السلف وأئمة السنة على ابن عمر رضى الله عنهما ، حتى قال بعض الحفاظ إن ابن عمر كان صغير السن ، لم يعرف كيف يطلق امرأته ، فكيف يعرف الأفضل من الصحابة ، ورد ابن معين أيضاً بكلام غليظ فيما حكاه ابن عبد البر ولم يصرح بهذا الكلام الغليظ ، فقال : من قال بحديث ابن عمر : كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم نسكت . يعنى فلا نفاضل ، فهذا الذى أنكره ابن معين وتكلم فيه بكلام غليظ ، لأن النائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر ، أف عالياً أفضل الناس بعد عثمان رضى الله عنه ، وهذا مما لم يختلف فيه ، وإنما اختلفوا في تفضيل على وعثمان ، واختلف السلف أيضاً في تفضيل على على أبي بكر ، وفي إجماع الجميع الذى وصفنا دليل على أن حديث ابن عمر وهم وغلط وأنه لا يصح معناه ، وإن كان سنده صحيحاً ، ويلزم من قال به أن يقول

بحديث جابر وأبي سعيد كنا نبيع أمهات الأولاد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم لا يقولون بذلك ، فقد ناقضوا اهـ .

قلت : وقد ورد عن ابن عمر ما يبين مراده من قوله السابق بما يوافق ما ذهب إليه أهل التحقيق ، من أن ذلك فيما يتعلق بالخلافة ، لا بالأفضلية ، فروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن يسار عن سالم عن ابن عمر ، قال : إنكم لتعلمون أنا كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان . نغني في الخلافة ، وروى أيضاً من طريق عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : كنا نقول في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكون أولى الناس بهذا الأمر ، فنقول : أبو بكر ، ثم عمر ، وأسانيد هذا الخبر صحيحة ، وهو رافع لكل إشكال ، دافع لكل إبهام ، واللفظ الأول المختصر المبهم هو أصرح نص تمسك به الفضلون ، للخلفاء الثلاثة على رضى الله عنهم ، وهذه الرواية الصحيحة المفسرة يسقط تمسكهم به ، وينهار ما بنوه عليه ، وقد ذهب بعض الأئمة إلى تأويل آخر لهذا الخبر ، ومسلكت ثان في حل هذا الإشكال ، فحكى الإمام أبو سليمان الخطابي في شرح السنن عن بعض شيوخه أنه كان يقول : أبو بكر خير ، وعلى أفضل ، قال : وباب الخيرية غير باب الفضيلة ، قال : وهذا كما تقول أن الحر الهاشمي أفضل من العبد الرومي والحبشي ، وقد يكون العبد الحبشي خيراً من الهاشمي في معنى الطاعة لله والمنفعة للناس ، فباب الخيرية متعدد وباب الفضيلة لازم . اهـ . وهو حل لفظي راجع إلى معنى الخلاف ، والحق ما صرح به الرواية الأخيرة ، عن ابن عمر من انحصار تقديم الخلفاء الثلاثة في الخلافة ، لا في العلم والفضل ، والخلافة الباطنة ، فإن هذا هو الذى يقتضيه الدليل ، ويؤيده الكشف الصريح .

قال : الشيخ الأكبر في الفتوحات المسكية في الباب الثانى والخمسين والخمسمائة

ما نصه : والذي أظلمنى الله تعالى عليه من طريق كشفنا أن تقديم شخص بالإمامة على آخر ، إنما هو تقدم بالزمان ، ولا يلزم منه تقدم بالفضل ، فإن الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة أبينا إبراهيم ، وليس ذلك لسكونه أحق بها من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما هي لتقدمه بالزمان ، فإن للزمان حكمًا في التقدم ، من حيث هو زمان ، لا من حيث المرتبة ، وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الأجل والأعمار التي قدرها الله عز وجل ، أيام ولاية كل واحد على التعيين ، مع أن كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر ، وقد سبق في علم الله أنه لا بد من ولاية كل واحد من الخلفاء الأربعة على الترتيب الذي وقع ، حتى لو قدر أن المتأخر تقدم فلا بد من خلعه حتى يلى أحدهم من لا بد له من الولاية بعده عند الله تعالى ، فكان في ترتيب ولايتهم بحكم أعمارهم عدم وقوع خلع أحدهم مع الاستحقاق ، إذ الصحابة كلهم عدول ، اه .

وقال في الباب المذكور بعد إعادة معنى هذا الكلام ما نصه : وبالجملة فلا ينبغي الخوض في مثل ذلك إلا مع وجود نص صريح ، مع أننا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الأربعة كما عليه الجمهور ، وإنما خالفناهم في علة التقديم ، فهم يقولون : هي الفضل ، ونحن نقول : هي تقدم الزمان ، ولو كان كل من تأخر كان منفضولا ، لكان من تقدم النبي صلى الله عليه وسلم أفضل منه ، ولا قائل بذلك من المحققين ، اه .

قلت : وقد ادعى كثير منهم وجود النص القاطع على أفضلية أبي بكر^(١) رضى الله عنه ، ثم عمر : ثم عثمان ، وذلك إما عن تقليد وهو الأكثر ، أو عن

(١) ادعى ابن حزم القطع بأفضلية أبي بكر ثم عمر رضى الله تعالى عنهما . وتوقف في التفضيل بين علي وعثمان رضى الله عنهما .

غاط في فهم ما ليس بدليل دليلا ، كآثر ابن عمر السابق ، وإلا فالواقع عدم وجود دليل ظني ، فضلا عن دليل قاطع ، كما هو المشاهد لمن خبر كتب السنة والكلام ، وقد صرح بذلك جمع من المحققين من الأئمة والحفاظ .

قال ابن عبد البر : فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه بفضائل خص كل واحد منهم بفضيلة وسمة منها ، وذكره فيها ولم يأت عنه عليه الصلاة والسلام أنه فضل منهم أحدا على صاحبه بعينه على وجه يصح ، ولكن ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم ، وكان صلى الله عليه وسلم أحلم وأكرم معاشرة وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلا منهم بأن غيره أفضل منه ، فيجد من ذلك في نفسه ، بل فضل السابقين منهم ، وأهل الاختصاص به ، على من لم ينل منازلهم ، فقال : (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) وهذا من معنى قول الله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقائل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ومحال أن يستوى من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من قاتل عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لبعض من لم يشهد بدرا وقد رآه يمشى بين يدي أبي بكر (تمشى بين يدي من هو خير منك) وهذا لأنه قد كان أعلمنا ذلك في الجملة لمن شهد بدرا والحديبية ولكل طبقة منهم منزلة معروفة وحال موصوفة اه فصرح ابن عبد البر الذي تجرد عن العصبية والهوى والتقليد المذموم ، بأنه لا يوجد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند صحيح يفضل فيه أحدا بعينه على أحد بعينه^(١) من أفاضل

(١) وحديث الترمذی « أبو بكر وعمر سیدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما عد النبيين والمرسلين » لم يصح ، ولعله قصد به معارضة حديث « الحسن والحسين سیدا شباب أهل الجنة » .

الصحابة وأكابرهم ، فكيف يدعى أهل الهوى ومقلداتهم وجود الدليل القاطع على ذلك ، ولو وجد لما خالفه أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة وأكابر الأئمة ، وهم أولى الناس بالطاعة ، وأشد الناس تمسكا بالدليل ، فقد حكى ابن عبد البر عن سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وخباب بن الأثرث وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم رضى الله عنهم أنهم كانوا يفضلون عليا على سائر الصحابة .

وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا أحمد بن منصور ثنا سيار ثنا عبد الرزاق ، قال : قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد ، فقلت : ما شأنك؟ فقال : عجبت من أهل الكوفة ، كأن الكوفة إنما بنيت على حب علي ، ما كملت أحدا منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذى يفضل عليا على أبي بكر وعمر ، منهم سفيان الثوري قال : فقلت لمعمر ورآنى كأنى أعظمت ذلك ، فقال معمر : وما ذاك؟ لو أن رجلا قال على أفضل عندى منهما ما عنفته ، إذا ذكر فضلهمما عندى ، ولو أن رجلا قال : عمر أفضل عندى من علي وأبي بكر ما عنفته ، قال عبد الرزاق : فذكرت ذلك لوكيع ونحن خاليان ، فاستهى لها وضحك ، وقال : لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد ، ولكنه أفضى إلى معمر ما لم يفض إلينا .

وقال : أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فى (مبهج المقاصد بشرح المراسد) لعم أبيه أبى حامد العربى ابن أبى الحاسن الفاسى ، قال القلشائى : اختلف العلماء فى التفضيل بين الصحابة فمنهم من وقف . قال مالك . أدركت جماعة من اهل بلدنا لا يفضلون بين الصحابة ، الكل فضلاء ، والأكثر على التفضيل ، وعليه فأفضل الصحابة اهل الحديبية لآية : (لقد رضى الله عن المؤمنين) ، قيل : نزلت فى اهل الحديبية ، وقيل : افضلهم اهل بدر ، وافضل اهل بدر العشرة ، وافضل العشرة الخلفاء الأربعة ، وهم فى الفضل على ترتيبهم فى الخلافة ، وقيل بالوقف فيما بين عثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين ، ومن

العلماء من ذهب إلى أن من مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم شهيداً أو غير شهيد أفضل ممن بقي بعده ، قال بعض الشيوخ : واعلم أن التفضيل إما باعتبار الباطن وكثرة الثواب ، ورفع الدرجات ، ولا يتوصل إلى ذلك إلا بالخبر . وإما باعتبار الظاهر ، ولا يحصل ذلك إلا بالتفاوت في خصال الفضائل ، فمن كثرت فيه فهو أفضل ، وما منهم واحد رضى الله عنهم إلا وله فضائل ، ومناقب لا تحصى ، اه وقال رأس العارفين : اختلف في هذا الترتيب هل هو قطعى أو ظنى ، وقال الأشعرى هو على ترتيب خلافتهم ، وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : أفضلهم على ، وقال الشريف زكريا : الكلام في التفضيل فيه ضرب من الاجتهاد ، فمن أداه اجتهاده إلى أن أبا بكر أفضل ، أو علياً أفضل ، وأعتقد ذلك من غير طعن على أحدهما ، ولا تنقيص ، فلا عتب عليه ، لأن الخطأ في مثل ذلك الاجتهاد ليس مما يوجب التبرى والتكفير والتأثير ، إذا اعتقد الإنسان موالاته الإثنين ، والفضل فيهما ، وأقصى ما فيه أن يكون مقصراً في أمر لم يلزم العلم به ، لأن هذا ليس من فرائض الدين اه . وفي تفسير ابن عرفة لقوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) أن المسائل العلمية على قسمين : ما يرجع لأحكام العقائد ، كرؤيته تعالى وتقدسه ، فلا يثبت إلا بما يفيد القطع اتفاقاً ، وما ليس من العقائد ككون الأرض سبعاً ، وكأفضلية بعض الصحابة على بعض ، ونحو ذلك فهذا يعصح إثباته بالدلائل الظنية ، إذ لا يلزم من تحصيله بها إخلال بواجب اه كلام الفاسي

وقال أبو بكر بن شهاب (في الترياق النافع على جمع الجوامع) ووقف بعضهم عن القول بالتفضيل ، وقال : لا لكل فضل ، ولا ندرى من فضله الله على غيره ؟ وليس هذا أمراً يؤخذ فيه بالقياس والرأى فوجب الإمساك عن الخوض فيه ، قال بعض الأكابر : وما بهذا القول من بأس لأن تفويض ما لا يعلم حقيقته إلا الله إلى علمه تعالى غير مستفكر اه . على أن مسألة التفضيل ليست مما يجب اعتقاده ، ولا نحن مكلفون به ، وقد نبه شراح المتن على سهو المصنف في جعل هذه المسألة

في هذا الكتاب فيما يجب اعتقاده ، إذ ليست مما يضل فيها المخالف ، قال العلماء : ولا يشكل هذا التفضيل بالنزوية الشريفة ، لأنه لا من حيث البضعية المكرومة ، أما باعتبارها فلا يفضل أحد على ذريته صلى الله عليه وسلم كائناً من كان ^(١) اتفاقاً .

وقال أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات : واختلفوا في التفضيل ، فقال قائل : أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، وقال قائل أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان . وقال قائل : نقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم نسكت بعد ذلك وقال قائلون : أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ، ثم بعده أبو بكر ، وأجمع من أثبت فضل أبي بكر وعمر أن أبا بكر أفضل من عمر ، وأجمع من أثبت فضل عمر وعثمان ، أن عمر أفضل من عثمان . وقال قائلون : لا ندري أبو بكر أفضل ؟ أم علي ؟ فإن كان أبو بكر أفضل ، فيجوز أن يكون عمر أفضل من علي ، ويجوز أن يكون علي أفضل من عمر ، وإن كان علي أفضل من عمر ، فهو أفضل من عثمان ، لأن عمر أفضل من عثمان ، وإن كان عمر أفضل من علي ، فيجوز أن يكون علي أفضل من عثمان ، ويجوز أن يكون عثمان أفضل من علي ، وهذا قول الجبائي اهـ .

وقال إمام الحرمين في (الإرشاد) فإن قيل : هل تفضلون بعض الصحابة على بعض ؟ أم تضربون عن التفضيل ؟ قلنا الغرض من ذلك ينبنى على إمامة المفضل والذي صار عليه معظم أهل السنة أنه يتعين للإمامة أفضل أهل العصر ، إلا أن يكون في نصبه هرج و هيجان فتن ، فيجوز نصب المفضل إذ ذاك . إذا كان

(١) ولهذا قال الإمام مالك . لما سئل عن سيدتنا فاطمة عليها الصلاة والسلام : لا أفضل على بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً .

مستحقاً للإمامة ، وهذه المسألة لا أراها قطعية ، ولا معتصم لمن يمنع إمامة المفضول إلا أخبار آحاد في غير الإمامة التي تكلم فيها كقوله صلى الله عليه وسلم (يؤمكم أقرأكم) ولا يفرض هذا وأمثاله إلى القطع ، كيف ولو قدم المفضول في إمامة الصلاة لصحت الإمامة ، وإن ترك الأولى ، فهذا قولنا في إمامة المفضول . ثم لم يبق عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض ، إذ العقد لا يشهد على ذلك ، والأخبار الواردة في فضائلهم متعارضة ، ولا يمكن تلقي التفضيل من منع إمامة المفضول ، ولكن الغالب على الظن أن أبا بكر أفضل الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده عمر ، وتعارض الظنون في عثمان وعلي ، وقد روى عن علي أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ثم الله أعلم بخيرهم بعدها فهذا قولنا أبديناه مجانباً للتقليد ، جارياً على الحق الواضح . ا هـ .

وقال ابن حزم في الملل والنحل : اختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، فذهب بعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة أن أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب . وقد روينا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة رضى الله عنهم ، وعن جماعة من التابعين والفقهاء ، وذهبت الخوارج كلها وبعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة إلا أن أفضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ، وروينا عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب ، وبهذا قال أبو عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد ، وعيسى بن حاصر ، قال عيسى : وبعد جعفر حمزة رضى الله عنه ، وروينا عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، والزيير بن العوام ، وروينا عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاثة رجال لا يعد احد عليهم بفضل سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وعباد بن بشر ، وروينا عن أم المؤمنين رضى

الله عنها : انها تذكرت الفضل ، ومن هو خير ؟ فقالت : ومن هو خير من ابى سلمة ؟ اول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروينا عن مسروق ان الأجدع وتميم بن حذلم وإبراهيم النخعي وغيرهم : إن افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود ، قال تميم وهو من كبار التابعين : رأيت ابا بكر وعمر ، فما رايت مثل عبد الله بن مسعود . وروينا عن بعض من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب . وأنه افضل من أبى بكر رضى الله عنهما . وبلغنى عن محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى : انه كان يذهب إلى هذا القول . وقال داود بن على الفقيه رضى الله عنه : افضل الناس بعد الأنبياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة الأولون من المهاجرين . ثم الأولون من الأنصار . ثم بعدهم منهم ولا تقطع على إنسان منهم بعينه انه أفضل من آخر من طبقته . ولقد رأينا من متقدمى اهل العلم من يذهب إلى هذا القول . وقال لى يوسف بن عبد الله بن عبد البر التمرى غير ما مره : ان هذا هو قوله ومعتقده . ثم صرح ابن حزم بأن مذهبه الذى يقول به هو ان افضل الأمة ابو بكر . ثم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم . وخالف ذلك فى (المحلى) فذهب إلى أن افضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ازواجهم ، وانهم افضل هذه الأمة بعد نبيها . فقال : مسألة والناس فى الجنة على قدر فضلكم عند الله تعالى فأفضل الناس اعلامهم فى الجنة درجة وهم الأنبياء . ثم ازواجهم . ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميعهم فى الجنة ولا منزلة اعلى من درجة الأنبياء عليهم السلام . فمن كان معهم فى درجاتهم فهو افضل ممن دونهم . وليس^(١) ذلك إلا لنسائهم فقط . ١٠ هـ .

(١) وقد أخطأ ابن حزم وغالط (رغم ما عرف عنه من إمامة واجتهاد وعلم غزير) فى دليل اخترعه بتفضيل ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على سيدة نساء

وقال في موضع آخر من الحلى : وأفضل الإنس والجن الرسل ثم الأنبياء على جميعهم من الله تعالى ثم منا أفضل الصلاة والسلام ثم اصحاب رسول الله صلى الله

الجنة فاطمة وعلى سائر الصحابة . حتى أن عائشة أفضل من أبيها ، يقول الفضل إنما هو برفعة المنزلة في الجنة ، ولا منزلة اعلى من منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعلوم أن أزواجه يسكنن معه (فانظر رعاك الله وأعانك إلى تلك المغالطة الخزية المكشوفة) فهل منزلة سيدنا ومولانا الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الجنة تضيق عن أن تسع بناته وأحبابه . وقد قال تعالى في مطلق المؤمنين به (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) الآية وقال سبحانه (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين) الآية « اللهم ألحقنا بهم بفضلك ورحمتك يا ربنا يا واسع المغفرة آمين » فهل يلحق الله ذرية المؤمنين بابائهم تكريما ولا يلحق ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم به . خصوصا وقد صح عنه إنه قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة . . وما السيادة إلا برفع المنزلة .

وأیضا فإن منزلة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أفضل من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالاجماع . ومنازلهم عليهم السلام دون منزلته صلى الله عليه وآله وسلم . فيلزم من سوق دليل ابن حزم أن يكن أفضل من أنبياء الله ورسله عليهم السلام وكذلك زعم بعض الاشعرية النواصب أن عائشة أفضل من فاطمة مع ما ورد في النص الصريح الصحيح بغير ذلك كما سبق .

وقد جاء في كتاب « سراج المريدين » أعجب وأغرب في تفسير قوله تعالى « خافضة رافعة » معناها خافضة لفاطمة رافعة لعائشة فتأمل حفظك الله ذلك التأويل الباطل باجماع المسلمين إذ لا ميسيس للآية الكريمة بذكر فاطمة وعائشة رضى الله عنهما : ولكن هكذا ابن العربي المعافى وصفاقة وجهه ونصبه وقلة حياته وفرط بغضه لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمله على ارتكاب هذه المخازى نعوذ بالله من الخذلان « ومن سابر كتبه شهد عليه بالنفاق » .

عليه وسلم اه . فأطلق ولم يحزم بتفضيل أحد معين ^(١) ، كما هو مذهب إمامه داود بن علي الظاهري واختاره كثير من الأئمة المحققين ، وما ذلك إلا لعدم وجود الدليل القاطع على التعمين ، ولذلك اختلف القائلون بالتعين في دليله ، هل هو قطعي أو ظني ؟ وهل هو في الظاهر والباطن أو في الظاهر فقط ؟ كما سبق .

وقال الأبى بعد حكاية الخلاف : واختلف القائلون بالتفضيل فقليل هو قطعي ، وإليه مال الأشعري ، وإليه يشير قول مالك رحمه الله في المدونة ، في تفضيل أبي بكر : أو في ذلك شك ؟ وقال القاضي هو ظني ، لأن المسألة اجتهادية لو ترك أحد النظر فيها لم يأثم ، وليست من مسائل الأصول التي ألحق فيها في جهة ، ويقطع بخطأ مخالفه ، وهذه لا يقطع فيها بخطأ ؛ وكذلك اختلف : هل التفضيل في الظاهر والباطن ؟ أو في الظاهر خاصة ؟ وللقاضي نص على كل من القولين . واحتج له . وتعويله على أنه في الظاهر فقط . قال : لانه قد يكون في الباطن على خلاف ما عندنا اه .

فصل

ونصوص العلماء والأئمة في هذا كثيرة لمن تتبعها ، فأين الجبهة المجترئون على الكذب بحكاية الإجماع والاتفاق على تفضيل الشيخين على علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وأما الخلاف في التفضيل بين علي وعثمان فهو أكثر وأقوى ، وإنما لم نعرض لذكره لأن الغرض لم يدع إليه ، وإنما دعى إلى تكذيب ابن تيمية في دعواه الاتفاق على تقديم أبي بكر رضي الله عنه على علي عليه السلام في المعرفة وحقائق الإيمان ، ليبني على ذلك عدم صحة انتساب الصوفية إلى علي عليه السلام .

(١) لكنه في رسالة (المفاضلة بين الصحابة) جزم بما نقلناه عنه اه .

فصل

الوجه الرابع أنه على فرض صحة الاتفاق على أفضلية أبي بكر رضى الله عنه
فذلك لا يلزم منه عدم اكلمية على عليه السلام في الأحوال العرفانية ، والعلوم
الظاهرة والباطنة ، وغيرها من المزايا الخلقية والخلقية ، فإن علياً عليه السلام خصه
الله تعالى بأمر لم تكن في أبي بكر رضى الله عنه ، كما أن أبا بكر رضى الله عنه
أكرمته الله تعالى بما لا يتفق مثله لعل عليه السلام ، كالسعى في إشاعة الإسلام ،
وقت غربته ، ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم في وحدته ، وكونه جاد في تحقيق
ذلك بماله ونفسه ، ومواقفه العظيمة يوم انتقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي
أيام الردة مع الحلم والزهد والورع والخشية ، وغير ذلك من الفضائل مما هو معلوم
من سيرته وأخباره رضى الله عنه ، إلا أنه لم يكن في الشجاعة والفصاحة وبسط
اليدين في العلم الظاهر والباطن وحل المشكلات وفك المعضلات وتفسير القرآن
العظيم والنضال من علومه والاطلاع على أسرار واستخراج درره واستنباط
الفوائد منه ، واستحضار الجواب عن الأسئلة في كل الفنون ، مع السرعة والإصابة
والإخبار عن الأحداث الماضية والآتية إلى قيام الساعة ، والتكلم في الحقائق
العرفانية في أشباه هذا وأمثاله كعلي عليه السلام ، بل هي أمور انفرد بها على من
بين سائر الصحابة ، وأن شاركه بعضهم كذيفة وابن مسعود وابن عباس في بعضها
إلا أنهم لم يبلغوا في ذلك البعض بمفرده عشر مبلغ علي عليه السلام ، بل الخبر
عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يصرح بأن كل ما عنده من علم التفسير ومعتقداته
مأخوذ من علي عليه السلام ، وأنه كقطرة من بحر علمه ، فضلاً عن غيره من
العلوم والمعارف ، وهذا أمر معلوم بالضرورة ، ومدرك بالمشاهدة ، ومؤيد بخبر
من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم ، وخبر أصحابه الكرام ، كما سبق .
وذلك لم يوجد مثله ولا عشره في أبي بكر رضى الله عنه ، وكذلك المثل يضرب

بعلم علىّ وشجاعته ، لا يعلم أبى بكر وشجاعته ، مع اعتراف الأكثر بتقديم فضيلته ، فلو كان اعتقاد الأعلمية في نظرهم يناقض الأفضلية لما ذهبوا إلى أفضلية أبى بكر مع اعتقادهم أعلمية علىّ .

قال الشاه الدهلوى وهو من هو في التعصب لمعتقد الأشاعرة المتأخرين . حتى ألف كتابه (قرة العينين في تفضيل الشيخين) يعنى علىّ علىّ رضى الله عنهم ، كاد أن يبلغ فيه مبلغ ابن تيمية في سلب كل فضيلة ومزية عن علىّ عليه السلام ، بل أسرف وأفرط وتجاوز الحد في مسائل منه حتى سئل عنها شيخ الجماعة بمصر البرهان إبراهيم السقا ، فأجاب عنها بجزء شدد فيه النكير على الدهلوى المذكور ، حتى كاد يخرج من أهل السنة ، ويلحقه بأهل البدعة ، وما أجدره بذلك ، فإنه نفى فيه الخلافة عن علىّ عليه السلام ، وألف في الرد عليه في ذلك أيضاً العلامة عبد الحليم السكنوى ، والد العلامة الشهير عبد الحى السكنوى ، وكذلك بعض أئمة الحديث من أهل الهند أيضاً ، ألف في الرد عليه مجلداً حافلاً ، ومع هذا كله فلم يسمعه إلا الاعتراف بالحقيقة . فقال كما نقله عنه أبو بكر بن شهاب في (الترياق النافع) ما نصه : ولا نعى بالأفضلية الأفضلية من جميع الوجوه ، حتى تعم السيف والشجاعة والعلم وأمثالها من التي كانت في علىّ مثلاً ، بل هي بمعنى عظم النفع في الإسلام ، فأمر أمة النبي صلى الله عليه وسلم ووزيره أبو بكر وعمر ، باعتبار المهمة البالغة في إشاعة الحق بعده أفضل ، دون اعتبار النسب والعلم والشجاعة وغيرها مما كانت في علىّ رضى الله عنه أكثر ، وأوفر ، بإقرارهما وبهذا يحصل التوفيق بين الروايات المختلفة والأدلة المتباينة اهـ .

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

وقال الإمام العلامة الحافظ الصوفى أبو عبد الله محمد بن قاسم التركمانى في :

(القول المستحسن) لا يلزم من أكمالية سيدنا على رضى الله عنه فى أمر خاص ،
أفضليته فى كل أمر ، بل محققو الأمة كلهم متفقو الحكمه على تقديم سيدنا أبى
بكر رضى الله عنه فى أمور كالسعى فى إشاعة الإسلام حين كان غريباً ، والنصرة
له صلى الله عليه وسلم فى وحدته على الكفرة مع كثرتهم وغلبتهم ، وبذل نفسه
فى ذلك وماله ، ولم يتفق هذا على كرم الله وجهه لصغر سنه ، وإن سبق فى نحو
ذلك فى كبره ، كفتح خيبر وغيره ، ولا شك فى أفضليته من جهة كونه قدوة
أهل بيت النبوة ومن حرمت عليهم الصدقة ، وبأن أبابكر كان أهلاً للخلافة ،
وأى أهل كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، وهذا هو الحكم العدل والقول
الفصل ، والمخلص فى مبحث التفضيل إنما يكون باعتبار تعدد الجهات والحيثيات
بالتفضيل ، ولا شك أن أحداً ليس أفضل من الآخر بكل وجه ، وأما نقل ابن تيمية
اتفاق أهل المعرفة على تقديم أبى بكر على على رضى الله عنهما فى الطريق وعلم
الحقيقة ، فلا أصل له أصلاً ، فهذا سيف السنة وناصر الملة الإمام القاضى أبو بكر
محمد بن الطيب الباقلانى ، نقل الاختلاف بين علماء الأسلاف والأخلاف فى ذلك ،
وتبعه عامة من تأخر عنه ، وفيهم الحفاظ الأئمة ، والفقهاء الأجلة ، كالإمام النووى
مجدد المائة السادسة فى قول طائفة ، فإنه مع تلك الصلابة فى السنة . نقل فى شرح
صحيح مسلم اختلاف العلماء فى التفضيل هل هو قطعى أم لا ؟ وهل هو فى الظاهر
فقط أم فى الظاهر والباطن جميعاً ؟ وعزا ذلك إلى ابن الباقلانى ، وقال الملامه
السنوسى فى شرح الكبرى ، وفى شرح المنظومة الجزائرية له أيضاً مانعه : وكذا
اختلاف هل التفضيل فى الظاهر والباطن ، أو فى الظاهر خاصة ، والقاضى أى ابن
الباقلانى نصر كلا من القولين ، واحتج له ، وتعويله على أنه فى الظاهر فقط ، لأنه
قد يكون فى الباطن على خلاف ما عندنا اه . ومن ثم لما سأل الحجاج سعيد بن
جبير أعلم الناس بالتفسير بعد ابن عباس وأعظم فقهاء الكوفة عن الخلفاء الراشدين

فأجابه قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال أرضاهم خالقي ؟ قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم ، رواه أبو نعيم ، ثم المزى فى (التهذيب) عن الحسن قاله سعيد بن جبير فى المجلس الذى استشهد فيه . فإن روى عنه خلافة فهو مرجوع عنه ، وفيه اندفاع دعوى الإجماع من الصحابة والتابعين على تفضيل الشيخين رضى الله عنهما ، وفيه تقرير من غير نكير لمذهب التوقف ، وقول القاضى قد يكون فى الباطن على خلاف ما عندنا ، هو مقطوع به هنا عند الأئمة الصوفية ، منهم الإمام الهمام علم الأعلام كميل بن زياد النخعى أخص أصحاب سيدنا على رضى الله عنه ، وهو أيضاً مذهب جماعة من كبار الصحابة رضى الله عنهم وهلم جرا إلى سيد الطائفة مجدد المائة الثالثة فى الصوفية العارفين الإمام أبى القاسم الجنيد رضى الله عنهم فإنه قال : صاحبنا فى هذا الأمر بعد نبينا صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ذلك امرؤ أعطى علما لدنيا ، وقال أيضاً رضى الله عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه لو تفرغ إلينا من الحروب لنقل إلينا عنه من هذا العلم ما لا تقوم له القلوب ؛ وأورده الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه .

وقال الإمام على بن عثمان الجلابى الغزنوى فى (كشف الحجب) قال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه : شيخنا فى الأصول والبلاء : على المرتضى يعنى أن إمامنا فى علم الطريقة ومعاملاتها هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه ؛ فإن أهل الطريقة يسمون علمها الأصول ومعاملاتها كلها بلاء . اهـ مترجما ، هذا مع موافقته للجمهور فى تقديم أبى بكر رضى الله عنه فى أمور ، قال بعض الأكابر وعلى مثل ما ذكر يحمل ما حكاه إمام الشافعية الحافظ أبو سليمان الخطابى بقوله : كان بعض مشايخنا يقول أبو بكر خير وعلى أفضل .

ولأبى نعيم فى الحلية عن أبى إسحاق ، قال : سمعت على بن أبى طالب وهو

على المنبر بالكوفة يقول خير الناس بعد رسول الله أبو بكر ، وبعد أبي بكر عمر ، وإن شئت أخبرتكم بالثالث ، قالوا : يا أبا إسحاق أخير أو أفضل ؟ قال : خير خير ... ، وفي الاستيعاب في ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ذكر عبد الرزاق عن معمر قال : لو أن رجلا قال عمر أفضل من أبي بكر ما عنفته ، وكذلك لو قال عليّ عندى أفضل من أبي بكر وعمر لم أعنفه . إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما ، وأثنى عليهما بما هما أهله ، فذكرت ذلك لوكيع ، فأعجبه واشتهاه ووكيع ومعمر كلاهما من أئمة السنة وجلة مجتهدى الأمة ، وكذلك روى ابن أبي خيثمة نحوه عن معمر والثوري وجل علماء الكوفة من أهل السنة . اه وقال بعض من ذكر فضائل الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم فى حق عليّ عليه السلام أنه أعلم الصحابة لقوة جنانه ، وذكرائه ، وشدة ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم ، واستنارته منه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى (وتعياها أذن واعية) اللهم اجعلها أذن عليّ ، قال عليّ فما نسيت بعد ذلك شيئاً ، ولهذا رجعت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . إليه فى كثير من الوقائع ، واستند العلماء فى كثير من العلوم إليه كالمتمكلمين فى علوم الأصول ، والمفسرين فى علم التفسير ، فإن رئيسهم ابن عباس رضى الله عنهما وهو تلميذه ، والمشايخ الصوفية رضى الله عنهم فى علم الأسرار وتصفية الباطن ، فإن المرجع فيه إلى العترة الطاهرة مما تلقته عنه عليه السلام بالرواية والورثة ، وعلم النحو إنما ظهر منه ، ولهذا قال : لو كسرت الوسادة ، ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، والله ما من آية نزلت فى بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار ، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وفى أى شيء نزلت اه .

فصل

فهؤلاء الفضلاء لأبى بكر رضى الله عنه يصرحون مع ذلك بأعلمية — على عليه السلام لأن الأفضلية كما قلنا لا تستلزم الأعلمية . ومن أعظم الأدلة على ذلك : قصة الخضر مع موسى عليهما السلام فإن القرآن أثبت أعلمية الخضر بالحقائق على موسى مع أن موسى أفضل منه بلاخلاف بين أحد نعرفه ، ويكفى أن الخضر نبي وموسى عليه السلام رسول ، بل من أفضل الرسل ولا يوجد من يقول بأن هناك نبي أفضل من بعض أولى العزم من الرسل عليهم السلام .

فصل

(الوجه الخامس) إن الحقائق لا تثبت بالدعاوى المجردة ، وحكاية الاتفاقات الكاذبة ، وإلا لما قامت حجة ، ولا ثبتت حقيقة ، ولا كانت دعوى محق ، أولى من دعوى مبطل ، ولا دعوى أفضلية أبى بكر أولى من دعوى افضلية على ، فلو فرضنا صحة ما يفتريه ابن تيمية من الاتفاق على اعلمية أبى بكر رضى الله عنه لكان اتفاقا مردودا على من اتفقوا عليه لمخالفته للدليل ومعارضته للمحسوس المشاهد بالعيان .

أما الدليل فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل فى أبى بكر رضى الله عنه أنه (باب مدينة علمه) ولا أنه (أقضى أمته) ولا (أعلم أمته) ولا (إنه أكثرهم علما) ولا قال عند نزول قوله تعالى (وتعيها أذن واعية) سألت الله أن يجعلها أذنك يا أبا بكر فأنت إذن واعية لعلمى وفى أشباه هذا ونحوه مما تقدم معزو إلى مخرجه ، وإنما قال ذلك لعلى عليه السلام ، مع أنه صلى الله عليه وسلم ذكر لأبى بكر رضى الله عنه فضائل عظيمة ، وأخبر عنه بمزايا جسيمة ، لا يشاركه فيها أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، وكذلك الصحابة لم يكونوا يرجعون فى السؤال

عن النوازل ، وحل المشكلات إلى أبي بكر ، ولا كان عمر يعموذ بالله من معضلة ليس لها أبو بكر ، ولا شهد الصحابة لأبي بكر بأن عنده تسعة أعشار العلم ، وإن عنده علم الظاهر والباطن ، وأنه ورث العلم من النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) دونهم وأنه أعلم الناس بالسنة وإنما كانوا يرجعون إلى علي ويشهدون بكل ما ذكرنا له مع تعظيمهم لأبي بكر ، ومعرفة حقهم ، وتفضيلهم إياه ، وإنزاله المنزلة السامية ، والمكانة العالية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأديبهم معه غاية الأدب وإجلالهم إياه غاية الإجلال ، في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، وكذلك التابعون لم يقولوا : ما كان أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من أبي بكر ، ولو قالوا : ما كان أحد من الناس يقول : سلوني غير أبي بكر ، وإنما قالوا ذلك في علي ، وأخبروا به عنه ، وهم أيضا أعلم الناس بفضل أبي بكر وعلو مقامه ومنزلته من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، وأيضا لم يفتتن أحد بأبي بكر رضى الله عنه ، ولا ادعى فيه من رآه دعوى خارجة إلى حد الغلو والإفراط ، كما أدعاه بعض من رأى عاليا عليه السلام ، وما ذلك إلا لكونهم رأوا فيه من خوارق العادات ، وبواهر العقول ، وسمعوا من المعارف والأسرار ، مادعاهم إلى ذلك . كما هي عادة الناس في كل من رأوا منه أمرا خارقا للعادة ، وخارجا عن طوق أكثر البشر ، وتحقيق بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه . (أن فيك مثلا من عيسى) مما لم يقل مثله لأبي بكر رضى الله عنه :

وأما المشاهدة فإن آثار على عليه السلام في العلم ظاهرة للعيان ، وبطون الدفاتر عامرة بالنقل عنه في التفسير والحديث والفقه والقضاء والفرائض وأحكام البغاة والحكم والأمثال والأدب واللغة والخطب والحقايق العرفانية والتوحيد والتاريخ

(١) وحديث « ما صب الله في صدري شيئا : إلا صب مثله في صدر أبي بكر »

موضوع لا أصل له .

والأخبار بالمغيبات عن العرش فما دونه من السموات والأرضين والملائكة والجن والأمم الماضية وأخبار الفتن والملاحم الآتية وإشراط الساعة وأخبار القيامة والموقف والجنة والنار وغير ذلك مما لا يوجد عشر عشره بالإضافة عشر مرات عن أبي بكر رضى الله عنه ، بل وسائر الصحابة رضى الله عنهم معه ، وقد أفردت حكمه وخطبه وأشعاره بالمؤلفات ، وجمعت أقواله فى الأحكام والقضايا والفروع الفقهية والفرائض فى مجلدات ، وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وبحر علوم التفسير يخبران كل ما عنده من ذلك مأخوذ عن على ، وهؤلاء أهل بيته الأكرمين من زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضى رضوان الله عليهم أجمعين ، قد ملأوا الدنيا علوما ومعارف وإسرار حتى افقتن بهم من افقتن ، وكل ذلك مما ورثوه عن جدهم الإمام على عليه السلام ، بل الإمام جعفر الصادق وحده نقلت عنه مئات المجلدات ، وهذه أخبار الملاحم والفتن وإشراط الساعة قد جمعت فى مجلدات كلها من علوم على وآل بيته الكرام ، وقد ظهر مصداق جل ما فى تلك الأخبار ، ولا زالت حوادث الأيام تظهر صدق الباقي ، وكذلك أسرار الحروف والأسماء ، وعلوم الجداول والتصرف بها ، مما أفرد بالتأليف ، إنما نقلت عن على وآل بيته الكرام ، ولم ينقل فى شيء مما ذكر حرف واحد عن أبي بكر رضى الله عنه ، فضلا عما يملأ المجلدات ويفرد بالمؤلفات ، لا عنه ولا عن ذريته . نعم نقلت عنه كلمات فى المعرفة وحقائق الايمان ، هى دالة على علو كعبه ، ورسوخ قدمه ، فى المعرفة بالله تعالى على ما يليق بعظيم فضله ، وجليل منصبه ، ومكانته السامية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنها قطرة من بحار علوم على كرم الله وجهه والميashادة اكبر دليل ، واعظم برهان ، وقد كان على عليه السلام يصرح بذلك ، تحمداً بنعمة الله ، وتعريفاً للخلق بما عنده ، حتى يحصل الأقبال عليه ، والانتفاع به ، فكان يخبران عنده من علوم الحقائق والمعارف الإلهية ما لم يجد له حلة من أهل عصره ، مع انه عصر الصحابة والتابعين ،

وعصر السلف الصالح ، وخير القرون بعد قرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، على الإطلاق .

فقال كميل بن زياد : كنت مع أمير المؤمنين على في مسجد الكوفة ، وقد صلينا عشاء الآخرة : فأخذ بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبانة^(١) فلما أصرخنا تنفس الصعداء ، ثم قال : يا كميل بن زياد : القلوب أوعية نخيرها أوعاها ، احفظ عني ما أقول لك ، الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاته ، وهمج راع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الإنفاق ، والمال تنقصه النفقة ، يا كميل محبة العالم دين يدان به يكسبه العلم الطاعة لربه في حياته ، وجمل الأحداث بعد وفاته ، ومنفعة المال تزول بزواله ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم موقودة ، وأمانهم في القلوب موجودة ثم تنفس الصعداء . فقال : ها ها إن ها هنا علما جا ، وأشار بيده إلى صدره ، لو أصبت له حملة الخ الوصية العجيبة المشهورة ، رواها جمع من الحفاظ منهم الطبراني وأبو تميم في الحلية وأبو موسى المديني والمريفي في العلم وابن عساكر في التاريخ والمزي في التهذيب والذهبي في التذكرة ، إلا أنه لم يحل هذا الأثر أيضا من تنكيته الشامي . وطعنه الناصبي . في فضائل علي ومزاياه . فقال بعد إirاده من طريق إسماعيل بن موسى الفزاري ، عن عاصم بن حميد الخطاط ، أو رجل عنه . عن ثابت بن أبي صفية أبي حمزة الثمالي . عن عبد الرحمن بن جندب . عن كميل ما نصه : رواه ضرار بن سرد . عن عاصم بن حميد . ويروى من وجه آخر

(١) بتشديد الباء الصعراء . واصحح خرج إليها .

عن كميل وإسناده لين^(١) . مع أنه أثر صحيح ، له طرق متعددة عن كميل ، ولكن نفس الذهبي لا تسمح بالسكوت على فضيلة لعليّ عليه السلام ، والله در من قال : لو كان قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) نازلا في حق عليّ ، لقال الذهبي إنها أية ضعيفة وقد اعتنى الأئمة والحفاظ بهذا الأثر وشرحوا غريبه واستخرجوا فوائده ، ومن آخر من رأته أفرد بالتأليف في مجلدة لطيفة ، العلامة المحدث الشيخ محمد السفاريني الحنبلّي صاحب المنظومة المتداولة في عقيدة السلف وشرحها ، فهذا العلم الذي أشار عليّ عليه السلام : أنه في صدره ولم يجد له حجة ، هو علم المعرفة ، وحقائق الإيمان ، الذي ينفيه عنه ابن تيمية كذباً وبهتاناً . ويقول الصوفية العارفون رضى الله عنهم : أن إمامهم فيه عليّ بن أبي طالب ، لا أبو بكر رضى الله عنه ، على أن علياً عليه السلام أعلم بعلم الظاهر والباطن كما قرناه ، وقد قال أبو الطفيل ، وهو من صغار الصحابة رضى الله عنهم : شهدت عليّ بن أبي طالب يخطب وهو يقول : سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أخبرتكم به ، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار ، أم بسهل أم بجبل ، فقام ابن السكواء وأنا بينه وبين عليّ وهو خلفي ، فقال : رأيت البيت المعمور ، ما هو ؟ فقال : ذاك الضراح^(٢) فوق سبع سموات ، تحت العرش ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة ، رواه الأزرق في تاريخ مكة ، وله طرق متعددة ، وفيه إشارة إلى بعض علوم القرآن التي اخترع الكلام فيها بعض المتأخرين أهل القرن السادس والسابع فما بعدهما . فهو رضى الله عنه أول من فتح لهم الباب .

(١) الذين في عرف المحدثين ضئف خفيف ..

(٢) بضم الضاد المعجمة .

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن نصر بن عاصم ، قال : قال رجل : ليس على الجوس جزية . فأنكر ذلك المستورد بن عصمة ، فذهب إلى علي بن أبي طالب ، فذكر ذلك له . فقال : اجلسا والله ما على الأرض اليوم أحد أعلم مني ، إن الجوس كانوا أهل كتاب ، ثم ذكر الحديث بطوله .

ولنختم هذا الفصل بما أخرجه ابن دريد في كتاب (المجتني) فقال : حدثنا العكلى عن ابن عائشة عن حماد عن حميد عن أنس بن مالك ، قال : أقبل يهودى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى دخل المسجد فقال : أين وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار القوم إلى أبي بكر ، فوقف عليه فقال : أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصى نبي ، قال أبو بكر سل عما بدا لك ، قال اليهودى : أخبرني عما ليس لله ، وعما ليس عند الله ، وعما لا يعلمه الله ، فقال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة ييهودى ، وهم أبو بكر والمسلمون باليهودى ، فقال ابن عباس ما أنصفتكم الرجل ، فقال أبو بكر : أما سمعت ما يتكلم به ؟ فقال ابن عباس : إن كان عندكم جوابه ، وإلا فاذهبوا به إلى عليّ يحميه ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعليّ « اللهم اهد قلبه وثبت لسانه » فقام أبو بكر ، ومن حضر ، حتى أتوا علياً فاستأذنوا عليه ، فقال أبو بكر : يا أبا الحسن إن هذا اليهودى سألني مسائل الزنادقة ، فقال عليّ ماتقول يا يهودى ؟ فقال : أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصى نبي ، فقال له : قل ، فرد اليهودى المسائل ، فقال عليّ رضى الله عنه : أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم ، يا معشر اليهود : إن العزيز ابن الله ، والله لا يعلم أن له ولداً ، وأما قولك أخبرني عما ليس عند الله . فليس عنده ظلم العباد . وأما قولك أخبرني بما ليس لله فليس لله شريك ، فقال اليهودى : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقال أبو بكر والمسلمون لعليّ يا مفرج الكرب .

فصل

ومن هذه الوجوه يعلم أيضاً بطلان قول ابن خلدون : إن علياً عليه السلام لم يختص من بين الصحابة بتخليية ولا طريقة في لباس ولا حال ، وكذلك قوله عن الصحابة رضى الله عنهم لم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه بالخصوص فإنه كلام يدل على جهله التام بالسنة النبوية ، بل هو ضرب من الهذيان ، والكلام الفارغ ، الذى لا طائل تحته ، لأنه إن أراد عدم اختصاص أحد من الصحابة بشيء من الدين يعمل به في نفسه دون غيره ، فهذا باطل من جهة أن التصوف المنقول من طريق علي عليه السلام ، ليس هو أمراً خاصاً به ، ولا بمن أخذه عنه ، ونقل من طريقه ، حتى يرد بمثل هذا . لأن التصوف ليس شيئاً زائداً على العمل بالعلم على وجه الإخلاص ، مع الأخذ بالعزائم ، وترك الرخص ، وهذا أمر يشترك فيه المسلمون كافة ، فمن سلك منهم في العمل هذا المنهاج سعى صوفياً ، ومن لا فلا . فآين الاختصاص المصق بعلي والصوفية رضى الله عنهم ، والمنفى عنهم باشتراك سائر الصحابة وعدم اختصاص واحد منهم بشيء في الدين ، وإن أراد عدم اختصاص أحد من الصحابة بشيء يؤثر عنه ويروى من طريقه دون غيره كما هو ظاهر عبارته ، فهو أبطل وأبطل ، بل هو كلام يدل على جهل تام بالدين ، وعدم معرفة شيء من طرق روايته ، ووصوله إلى المسلمين . لأنه ليس أحد من الصحابة إلا وقد اختص بنقل ما لم ينقله غيره في الدين من أخبار التوحيد والإسلام والإيمان والإحسان وأحكام الحلال والحرام ، والزهد والرفائق وغير ذلك ، ولم يشترك الصحابة كاهم إلا في نقل ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، كأصول الإيمان والتوحيد وأركان الإسلام ، دون ما اشتملت عليه من الأحكام والفروع إذ لو اشتركوا في ذلك ولم يختص بعضهم بشيء دون بعض ، لكانت الأمة متفقة غير مفترقة فرقا ومذاهب في الأصول والفروع ، ولما اختلفت الصحابة ذلك

الاختلاف الشديد في الأحكام والفروع ، مع اشتراكهم في الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورؤيته ومجالسته ، ثم مع ثبوت هذا الاختصاص لكل فرد منهم نجد لآخرين منهم اختصاصا زائداً على هذا أيضاً من جهة التفاوت في الحفظ والفهم والمعرفة وفقاهة النفس والعناية بنوع خاص من الدين . كاختصاص بعضهم بعلم التفسير كعليّ وابن عباس وابن مسعود ، واختصاص بعضهم بالقراءات كأبيّ بن كعب وابن مسعود ، واختصاص بعضهم بالحديث كأبي هريرة وأنس وعائشة وأبي سعيد وجابر وابن عمر وابن عمرو ، واختصاص بعضهم بالفرائض كعليّ وزيد بن ثابت وابن مسعود ، واختصاص بعضهم بالفقه كعليّ وعمر وابن عمر وابن مسعود ، واختصاص بعضهم بأخبار النتن والملاحم وأشراف الساعة كعليّ وحذيفة بن اليمان ، وقد اختص الثاني بمعرفة المنافقين دون غيره من الصحابة ، واختصاص عليّ بنو حنيفة كعقبة أحكام قتال البغاة التي قال الإمام الشافعي وغيره من الأئمة ، ما استفدنا أحكام قتال البغاة إلا من محاربة عليّ لمعاوية والخوارج ، وكذلك علم الحقائق ومواجد القلوب المروية من طريقه بالتلقي والصحة والافتداء ، وقد قال أبو هريرة : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائنين ، أما أحدهما فبثنته وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعوم . رواه البخاري ، وقال ابن عباس : لو حدثتكم بكل ما أعلم لرجحتوني بالبر ، ثم ما ناظرتوني . وقال في قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) لو أخبرتكم بتفسيرها لكفرتم ، وقال : كننا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره . وقال عليّ عليه السلام في سلمان الفارسي رضي الله عنه : أوتي العلم الأول والآخر لا يدرك ما عنده . فكل هذا إشارة إلى علوم الحقائق التي اختص بها بعض الصحابة دون بعض ، وكانت اليد البسطى فيها لعليّ عليه السلام . بل جل من قل عنه شيء منها فهو من حزب عليّ عليه السلام : واختصاص بعض الصحابة بأنواع من العلم ، دون

بعض . أمر معلوم بالضرورة لمن عرف السنة ، وخالف علم الأخبار والآثار وسير الرجال .

قال الإمام العارف أبو نصر السراج الطوسي الزاهد شيخ الصوفية في عصره ، المتوفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة في كتاب (اللمع) ما نصه : باب ذكر جواز التخصيص في علوم الدين ، وتخصيص كل علم بأهله ، والرد على من أنكر علما برأيه ، ولم يدفع ذلك إلى أهله ، وإلى من يكون ذلك من شأنه ، ثم قال : أنكرت جماعة من العلماء أن يكون في علم الشريعة تخصيص ، ولا خلاف بين هذه الأمة أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالإبلاغ ما أنزل عليه فقال (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) فلو كان الذي علم مما لا يعلمون من العلوم التي أمره بالإبلاغ لأبلغ ، ولو جاز لأصحابه أن يسألوه عن ذلك العلم لسألوه ، ولا خلاف بين أهل العلم أن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مخصوصا بنوع من العلم ، كما كان حذيفة مخصوصا بعلم أسماء المنافقين ، كان قد أسره إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كان يسأله عمر رضى الله عنه . فيقول : هل أنا منهم ؟ وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري ، وقد ذكر هذا الباب بتمامه في آخر الكتاب ، والمراد من تكرار هذا أن العلم المبتوث بين أصحاب الحديث والفقهاء والصوفية هو علم الدين . ولكل صنف من أهل العلم في علمه دواوين ، ومصنفات ، وكتب وأقوال ، ولكل صنف منهم أئمة مشهورون ، قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ، لزيادة علمهم وفهمهم . ولا خلاف أن أصحاب الحديث إذا أشكل عليهم علم من علوم الحديث ، وعلل الأخبار ، ومعرفة الرجال ، لا يرجعون في ذلك إلى الفقهاء ، كما أن الفقهاء لو أشكل عليهم مسألة في الخلية والبرية والدور والوصايا لا يرجعون في ذلك

إلى أصحاب الحديث ، وكذلك من أشكل عليه علم من علوم هؤلاء الذين تكلموا في مواجيد القلوب ، ومواريث الأسرار ، ومعاملات القلوب ، ووصفوا الخواطر واستنبطوا في ذلك بإشارات لطيفة ، ومعان جلييلة ، فليس له أن يرجع في ذلك إلا إلى عالم ممن يكون هذا شأنه ، ويكون ممن قد مارس هذه الأحوال ، ونازلها واستبحث عن علومها ودقائقها ، فمن فعل غير ذلك فقد أخطأ وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقیعة في قوم لا يعرف حالهم ، ولم يعلم علمهم ، ولم يقف على مقاصدهم ومراتبهم ، فيهلك ويظن أنه من الناصحين اه .

والباب الذي أشار إليه هو قوله باب (تفسير العلوم وبيان ما يشكل على فهم العلماء من علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة) اعلم أن العلم أكثر من أن يحيط به فهم الفهماء ، أو يدركه عقول العقلاء ، وكذلك بقصة موسى والخضر عليهما السلام مع جلالة موسى عليه السلام وما خصه الله به من الكلام والنبوة والوحي والرسالة ، وقد ذكر الله تعالى في الحكم الناطق على لسان نبيه الصادق عجز موسى عليه السلام عن إدراك علم عبد من عباده ، إذ قال تعالى : (عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) حتى سأله فقال : (هل أتبعك على أن تعلمنني) الآية . مع تأييد موسى عليه السلام وشرفه وعصمته من الإنكار عليه على أن الخضر عليه السلام لم يلحق درجة موسى عليه السلام في النبوة والرسالة والتكليم أبداً .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » ، ولما المذتم بانسواء ، ولا تقاررتن على فرشكم ، وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى . والله لوددت أني كنت شجرة تعضد » . رواه إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورك عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفي هذا الخبر دليل على أن قوله : (يا أيها الرسول بلغ

ما أنزل إليك من ربك) ولم يقل : ما تعرفنا به إليك . وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم » ، لو كان من العلوم التي أمر فيها بالبلاغ لبلغهم ، ولو صح لهم أن يعلموه لعلمهم ، لأن الله تعالى خص النبي صلى الله عليه وسلم بعلم به ثلاث : علم بين للخاصة والعامة ، وهو علم الحدود والأمر والنهي ، وعلم خص به قوم من الصحابة دون غيرهم ، وهو العلم الذي كان يعلمه حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، حتى كان يسأله عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع جلالاته وفضله ، ويقول يا حذيفة هل أنا من المنافقين ؟ وكذلك روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحدا غيرى . قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أشكل عليهم شيء يلتجئون في ذلك إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وعلم خص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشاركه فيه أحد من أصحابه ، وهو العلم الذى قال : « لو تعلمون ما أعلم » فمن أجل ذلك قلنا لا ينبغي لأحد أن يظن أنه يحوى جميع العلوم حتى يخطئ برأيه كلام الخصوصيين ويكفرهم ويزندقهم وهو متعير من ممارسة أحوالهم ، ومنازلة حقائقهم وأعمالهم ، وعلوم الشريعة على أربعة أقسام : فالقسم الأول منها علم الرواية ، والآثار ، والأخبار ، وهو العلم الذى ينقله الثقات عن الثقات والقسم الثانى علم الدراية ، وهو علم الفقه والأحكام ، وهو العلم المتداول بين العلماء والفقهاء . والقسم الثالث علم القياس والنظر والاحتجاج على المخالفين ، وهو علم الجدل وإثبات الحججة على أهل البدع والضلالة نصرة للدين . والقسم الرابع هو أعلاها وأشرفها ، وهو علم الحقائق والمنازلات ، وعلم المعاملات والمجاهدات ، والإخلاص والطاعات ، والتوجه إلى الله عز وجل من جميع الجهات ، والانتفاع إليه في جميع الأوقات ، وصحة المقصود^(١) والإرادات ،

(١) جمع قصد ، وهو من المجموع القليلة الاستعمال ، تكيور جمع خير .

وتصفية السرائر من الآفات ، والاكتفاء بخالق السموات ، وإماتة النفوس بالخالفات ، والصدق في منازلة الأحوال والمقامات ، وحسن الآداب بين يدي الله في السر والعلانية في الخلوّات ، والاكتفاء بأخذ البلغة عند غلبة الفاقات ، والإعراض عن الدنيا وترك ما فيها طامباً للرفعة في الدرجات ، والوصول إلى الكرامات ، فمن غلط في علم الرواية غلطاً ، لم يسأل عن غلطه أحداً من أهل الدراية . ومن غلط في علم الدراية شيئاً لا يسأل عن غلطه أحداً من أهل الرواية ، ومن غلط في شيء من علم القياس والنظر ، فلا يسأل عن غلطه أحداً من أهل علم الدراية والرواية ، وكذلك من غلط في شيء من علم الحقائق والأحوال فلا يسأل عن غلطه إلا عالماً منهم ، كاملاً في معناه ، ويمكن أن توجد هذه العلوم كلها في أهل الحقائق ، ولا يمكن أن يوجد علم الحقائق في هؤلاء إلا ما شاء الله . لأن علم الحقائق ثمره العلوم كلها ، ونهاية جميع العلوم وغايتها ، إلى علم الحقائق ، فإذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له ، وهو علم القلوب ، وعلم المعارف ، وعلم الأسرار ، وعلم الباطن ، وعلم التصوف ، وعلم الأحوال ، وعلم المعاملات ، أي ذلك شئت معناه واحد . قال الله تعالى : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) ألا ترى أن هؤلاء لا ينكرون شيئاً من علومهم ، وهم ينكرون علوم هؤلاء ، إلا ما شاء الله ، وكل صنف من هؤلاء إذا تبجر في علمه فصار متقناً في فهمه ، فهو السيد لأصحابه ، لا بد لهم من الرجوع إليه فيما يشكل عليهم ، فإذا اجتمعت هذه الأقسام الأربعة في واحد ، فهو الإمام الكامل ، وهو القطب والحجة ، والداعي إلى المنهج والحجة ، كما روى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في كلام له : لكميل بن زياد : اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله ، بحجة ، لئلا تبطل آياته ، وتدحض حجته ، أولئك الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله تعالى قدرا اه .

وقال الحافظ محمد بن قاسم الترمذاني في (القول المستحسن) في الكلام على

حديث التلقين ما نصه : وقد نص القشاشي والكردى على أن السبب في عدم اشتهار التلقين عند أوائل أهل الحديث ، أن هذا أمر خاص بخواص من أهل سلوك طريق العزيمة . وليس كرواية الأحاديث ، ونقل الأحكام الشرعية العامة حتى يقع لها الشهرة . قالت : ومما يدل على أن الأسرار خاصة ببعض دون بعض ، حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً يوم الطائف فانتجاه ، فقال الناس : لقد طالت نجواه مع ابن عمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنا أنتجيتيه ولكن الله انتجاه » . رواه الترمذى ، وقال كما فى الرياض النضرة . حسن صحيح غريب ، وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم .

وروى الطبرانى من حديث ناجية بن جندب قال : لما كان يوم غزوة العائف ، قام النبى صلى الله عليه وسلم مع على مايا من النهار ، فقال أبو بكر يا رسول الله لقد طالت مناجاتك علياً منذ اليوم ، فقال له : « ما أنا أنتجيتيه ولكن الله انتجاه » . وقال الترمذى عقب حديث جابر يقول : إن الله أمرنى أن انتجى معه .

قال المظهر فى شرح المصابيح يعنى بلغته عن الله تعالى ما أمرنى أن أبلغه على سبيل النجوى ، فحينئذ انتجاه الله تعالى ، لا أنا انتجيتيه . وقال الطيبي ووافقه عبد الحق الدهلوى ، كان ذلك أسراراً إلهية وأموراً غيبية جعله من خزانها هـ . أما قول القارى فيه : أن الظاهر أن الأمر المتناجى به من الأسرار الدينية المتعلقة بالأخبار الدينية من أمر الغزو ونحوه ، إذ ثبت فى صحيح البخارى أنه سئل كرم الله وجهه هل عندكم شىء ليس فى القرآن ؟ فقال : والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما فى القرآن . إلا فهماً يعطى رجل فى كتاب الله ، وما فى هذه الصحيفة . قيل : وما فى الصحيفة قال : العقل ^(١) . وفكك الأسير

وَأَلَّا يَقْتُلَ مُسْلِمَ بَكَافِرٍ هـ . فَعُلُولُ بَأْنَ الظَّاهِرِ ، بَلِ الْحَقُّ الصَّرِيحُ كَمَا يَعْلَمُ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ عَنْ يَزِيدَ التَّمِيمِيِّ ، قَالَ عَلِيٌّ مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرُؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ غَيْرَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . وَفِي لَفْظٍ : وَاللَّهُ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يَقْرَأُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، الْحَدِيثُ ، وَمِنْ رِوَايَةِ ابْنِ مَنِيعٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي جَحْيفَةَ ، قُلْتُ لَعَلِي : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ عِنْدَكُمْ سُودَاءٌ فِي بَيْضَاءٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ مَا عَلِمْتُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ ، الْحَدِيثُ . فَهَذَا يَدُلُّ أَنَّ مَحَلَّ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ شَيْءٌ مَكْتُوبٌ يَقْرَأُ سِوَى مَا فِي الْقُرْآنِ كَمَا تَزْعُمُهُ الشَّيْعَةُ ، لَا بَمَا لَيْسَ بِمَكْتُوبٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْأَسْرَارِ الْبَاطِنَةِ ، وَالْعُلُومِ الدُّنْيِيَّةِ ، وَقَدْ صَرَحَ بِهَذَا الْقَارِئُ نَفْسَهُ . فَقَالَ فِي شَرْحِ الْبُرْدَةِ ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ خَيْرَ عِلْمِي رَبِّي أَمِلَةَ الْإِسْرَاءِ عُلُومًا شَتَّى ، فَعَلِمَ أَخَذَ عَلَى كِتْمَانِهِ ، وَعَلِمَ خَيْرَنِي فِيهِ ، وَعَلِمَ أَمْرَنِي أَنْ أَبْلُغَهُ ، قَالَ فَسَكَانٌ يَسِرُّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ مَا خَيْرَ فِيهِ . ذَكَرَهُ جَمْعٌ مِنَ الشَّرَاحِ وَلَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى أَصْلٍ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ ، مَا نَصَّهُ : وَلَا يَنَافِي مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فَذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ ، ثُمَّ قَالَ : لِأَنَّ هَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَبْلِيغِ النَّاسِ ، وَذَاكَ فِي غَيْرِهِ ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ هـ . مَعَ أَنْ قَوْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، يَتَضَمَّنُ جَمِيعَ عُلُومِ الْأَسْرَارِ ، وَفَهْمِ الْأَخْبَارِ ، لقوله تعالى : (وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) وقوله تعالى : (نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) .

قال ابن عباس : جميع العلوم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال .
وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال : من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين ، قال البيهقي : يعني أصول العلم .
وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عنه قال : أنزل في هذا القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شيء ، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن .

وروى سعيد بن منصور عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها في أربعة منها : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة في القرآن ، أى مع زيادات لا تنحصر .

وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند صحيح عن ابن مسعود قال : تمارينا في سورة من القرآن : فقلنا خمس وثلاثون آية ، ست وثلاثون آية ، فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدنا علياً يناجيه ، فقلنا له : إنا اختلفنا في القرآن ، فاحر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال على : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرأوا كما علمتم .

وقد مضى حديث أبي نعيم عن ابن مسعود : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وأن على بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن .

وقال الطبراني في الصغير : حدثنا محمد بن سهل بن الصباح الصفار الأصبهاني ، حدثنا أحمد بن الفرات الرازي ، حدثنا سهل بن عبدويه السندی الرازي ، ثنا عمرو بن أبي قيس عن مطرق بن طريف عن المنهال بن عمرو ، عن التميمي ، عن ابن عباس ، قال : كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى على رضي الله عنه سبعين عهداً لم يعهدا إلى غيره . قال الطبراني لم يروه عن مطرق إلا عمرو بن قيس ، ولا عن عمرو إلا سهل بن عبدويه ، تفرد به أحمد بن الفرات ، واسم التميمي إربده اه .

قلت وبالنظر في رجاله يعلم أنه حسن إن لم يكن صحيحاً .

وقد أخرجه أبو نعيم ، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أحمد بن محمد الجمال ، ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات به .

وقال ابن عقدة : حدثنا أبو عوانة موسى بن يوسف بن راشد ، حدثنا عبد السلام بن عاصم ، ثنا إسحاق بن إسماعيل بن لاهوية ثنا عمرو بن قيس ، عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال بن عمرو ، قال : أخبرني رجل من بني تميم عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أصحاب محمد أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحد غيره ، وعن ابن عقدة رواه الجعابي والمفيد والطوسي في مشيخته ، وما يشهد للعهد أخباره بما يقع له ولأهل بيته من الفتن والحن لا تغادر صغيرة منها ولا كبيرة ، وما رواه أحمد وابنه عبد الله وأبو يعلى كلهم قالوا : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن أم موسى ، عن أم سلمة قالت : والذي أحلف به إن كان على لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، غداة بعد غداة ، وهو يقول : جاء على مراراً ؟؟ ولفظ أبي يعلى : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم قبض في بيت عائشة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة بعد غداة يقول : (جاء على) مراراً ، قالت : وأظنه كان بعثه في حاجة ، قالت : فجاء بعد فظننا : أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت ففقدنا عند الباب ، فكنت من أديانهم من الباب ، فأكب عليه على فجعل يساره ويناجيه ، ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يومه ذلك ، زاد أحمد وابنه ، فكان أقرب الناس به عهداً .

وقال أبو يعلى : ثنا أبو خيثمة ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، فذكره ، وفيه ثلاث مرات فجاء قبل طلوع الشمس .

وأخرجه النسائي في خصائصه ، قال : أخبرني محمد بن قدامة ، ثنا جرير ، فذكره ، ومن جهة أحمد ، رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وكأنه لذلك دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم رافعاً يديه ، وكان بعث جيشاً فيهم على

« اللهم لا تمتني حتى تربني علياً » رواه أحمد والترمذى وحسنه من حديث أم عطية .

وقال عبد الحق الدهلوى : ليس كل العلوم والأسرار والمعارف مشتركة فيما بين الصحابة بأجمعهم ، ولا بد كان بعضهم مخصوصاً بما لم يكن عند غيره ، كحذيفة المشهور بصاحب السر إلا الأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي فإنه لم يكتفها عن واحد ، ولم يخص بها بعضاً دون بعض .

ففي صحيح مسلم عن حذيفة أنه قال : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وفي الصحيحين : أن أبا الدرداء ، قال لعلمة : أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ؟ وعند الترمذى ، وقال حسن صحيح : من قول أبي هريرة لخيشمة بن أبي سبرة أليس فيكم حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ اهـ .

قلت : وهذا السر الذى خص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة في معرفة المنافقين ، وتفصيل إخبار الفتن والملاحم الآتية إلى قيام الساعة ، لم يكن تعليمه إياها من طريق الظاهر ، والتحديث باللسان ، فإن حذيفة رضى الله عنه لم يكن يحتل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتاً طويلاً دون الصحابة ، لأن ما كان يعلمه حذيفة من ذلك يستدعى أخذه وقتاً طويلاً مع حفظ واسع ، أو كتابة كتاب ، ولم ينقل في خبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحتل به وحده ، ويعقد له مجالس خاصة به للتحدث والمذاكرة ، في هذا السر ، وإنما حصلت تلك الخصوصية من طريق السر الإلهى والمدد الباطنى الذى يفتح به مقل خزائن العلوم ، السكينة في سر العبد وتتفجر معه ينابيع المعارف من عيون قلبه ، فينظر بنور الله ، وينطق بأسرار توفيقه ، لأنه ممن أحبه الله ، فكان سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ومتى صار العبد يسمع بالله ويبصر به صار الغيب له شهادة ،

والمستقبل له حاضرًا . فينطق بالمغيبات ، ويخبر عنها خبر من عاينها ، لا فرق بين الماضي والمستقبل ، ولا بين القريب والبعيد ، وإذا ثبت هذا في حق حذيفة رضى الله عنه الذى خصه النبي صلى الله عليه وسلم بسر واحد فما بالك بعلىّ وارث علمه صلى الله عليه وآله وسلم ، ووصيه وخليفته الباطنى الذى أخبر عنه أنه : باب (مدينة علمه) وأنه أعلم أمته ، وبما سبق من الأحاديث والنصوص تعلم انطاس بصيرة ابن تيمية وابن خلدون . وعى قلبهما وبصرهما عن رؤية خصوصية هذا الإمام الجليل رضى الله عنه وعنّا به ونفعنا بعلومه وأسراره آمين .

فصل

وقول ابن تيمية : فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان ؟ هو مغالطة منه وتجاهل ، وتعام عن الحق وتغافل ، بل جعود وكتمان ، وقلب للحقائق والأعيان ، وبيان ذلك من وجوه :

(الوجه الأول) : أن المنقول عن علىّ عليه السلام هو لب الحقائق القلوبية وسر المعارف الإلهية التى هى نتيجة العمل بالشرعية الحمدية ، وهى القطبية العظمى ، والفردية الكبرى ، وما يندرج تحتها من مقامات المعرفة ، ومنازل الولاية ، فى القرب والوصول إلى الحضرة العلية ، والخرقة إنما هى اصطلاح وعلامة على الدخول فى الطريق ، وذلك عند بعض الصوفية . لا عند جميعهم ، فالشاذلية ليس لهم خرقة ، ولا هى عتبة للدخول فى طريقتهم ، كما عند غيرهم ، بل أكثرهم لا سيما شيوخ المغرب منهم . من لا يعرفها ، بل ولا يسمع بها ، لعدم ذكرها فى كتب تربيتهم وسلوكهم ، بل وكذلك التلقين والأوراد والأذكار . فإنه شئ أحدثه متأخروهم ، قال : ابن عطاء الله فى لطائف المنن : سمعت شيخنا أبا العباس يعنى المرسى رضى الله عنه يقول : طريقته هذه لا تنسب المشاركة ولا المفارقة ، بل واحد عن واحد إلى

الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وهو أول الأقطاب ، وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند إليهم طريق الأنساب ، من كانت طريقه بلبس الخرقة ، فإنها رواية ، والرواية تتعين بتعين سندها . وهذه هداية ، وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ ، وقد يجمع شمله برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون آخذاً عنه . وكفى بهذا منة . ولما تكلم القسطلاني في المواهب اللدنية على الخرقة . قال : وكثير من السادات يكتفي بمجرد الصحبة . كالأشاذلي وشيخنا أبي إسحاق المتبولي ، وقال الغارف الكبير أبو عبد الله محمد بن عراق في كتاب له في الخرقة ما نصه : والسادات الشاذلية لم يعتبروا في طريقهم لبس الخرقة وإنما المعول عليه عندهم الصحبة الصادقة مع الاقتداء ، وأما تلقين الذكر وإرخاء العذبة ، فلهما عندهم أصل صحيح ، وكذا عند أستاذي ابن ميمون ^(١) . ولما سأل الشيخ زروق شيخه أبا العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن خرقة ، قال له : نحن لا نعرف شيئاً من هذا ولكن طريق أُمّي وسلفها تنتهي إلى الشيخ أبي مدين المغربي كما تقدم نقله عن الشيخ زروق ، وقال إمام الطريقة القطب الأشهر أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في كتابه (المجموع في المعرفة ، على مراد الربوبية) في باب الأوراد منه ما نصه : وسأل رجل أستاذي فقال : يا سيدي وظف عليّ وظائف وأوراداً ففضب منه الأستاذ ، وقال : أرسول أنا ؛ فأوجب الواجبات ، الفرائض معلومة ، والمعاصي مشهورة ، فسكن للفرائض حافظاً ، والمعاصي رافضاً ، واحتفظ فلبك من إرادة الدنيا ، وحب النساء ، وحب الجاه ؛ وإيثار الشهوات ؛ وامتنع عن ذلك كله بما قسم الله لك ؛ إذا خرج لك مخرج

(١) هو الشيخ عليّ بن ميمون الغماري ، صاحب رسالة « غربة الإسلام بين صنفَي المتفهمة والمتفكرة في مصر والشام وما والاها من بلاد الاعجام » وهي مطبوعة بالمغرب وفيها تشديد هـ .

الرضى فكان شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابراً ؛ وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ؛ وأصل جامع لأنواع المسرات ؛ وحصون ذلك كله أربعة : صدق الورع ، وحسن النية ، وإخلاص العمل ، وصحبة العلم ، ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح ، أو شيخ ناصح اه فهذا قطب الطريقة ، وشيخ إمامها يصرح بأن الأصل في الطريق هو صحبة الشيخ الناصح المرشد إلى العمل بالشرعية على وجه الإخلاص وحسن النية ، وأنه ليس فيها أورد ولا وظائف فضلا عن لبس الخرقه .

وقال العلامة الأديب الصوفى أبو الربيع سليمان بن محمد الحوات فى (البدور الضاوية فى أخبار أهل الزاوية الدلائية) لما ترجم لأبى بكر الدلائى ما نصه : وطريقته رضى الله عنه إنما هى شاذلية ، ولا تلقين فى الطريقة الشاذلية كما قال القسطلانى وقال والدنا الإمام العلامة سيدى محمد بن عبد الله الحوات الحسنى العلى الموسوى فى كتابه (تحفة المعاصر فى بعض صالحى تلامذة أبى عبد الله ابن ناصر) ما نصه : وسألت شيخنا الإمام العلامة أبا عبد الله من أحمد المشناوى عن هذا التلقين والورد المعطى للفقراء على الكيفية المعروفة ، فأجابنى بأنه لم يكن فى الصدر الأول ، وإنما أحدثه الشيخ أحمد بن يوسف المليانى فقبل له فى ذلك ، فقال : رأيت أن أشغل من الفقراء فى بعض الأوقات بعض الجوارح ، أو ما هذا معناه ه ويحكى أن الشيخ أبا العباس أحمد بن عبد الله صاحب الحففة سأل الشيخ سيدى أحمد بن ناصر بقوله : ما هذا الذكر الذى تعطيه للناس وتضربهم بعضا واحدة أو ما هذا معناه فأجابه بأنه لينبه الناس إلى ذكر الله ه .

قلت : وفى المقصد الأحمد فى مناقب سيدى أحمد بن عبد الله المذكور لأبى محمد عبد السلام بن الطيب القادرى ما نصه : وليس من شأنه إعطاء الأورد ولا توظيف الوظائف بل إذا خالطه أحد تركه حتى يشرق بباطنه التوحيد ، وتترشح فيه الأنوار ، فيبتدى إذ ذك للاتباع والعمل ، وذكر الله عز وجل من غير كلفة ولا تعمل اه .

وقال القادري في الكتاب المذكور لما تكلم على الخرفة ما نصه : وقد تداول هذه الخرفة الأقدمون من الأكابر كلهم أو جاهلهم ، وليست عندهم للتبرك ، إذ لبسوا متشبهين ، وتعاطوها كثيرا فيما بينهم ، إلى أن ظهرت الشاذلية فانقطع ذلك ، فلا تجد في أسانيدهم شيئا منها ، وكذلك التلقين ؛ وصفته : أن يقول الشيخ للمريد وهو يسمع : لا إله إلا الله ، ثلاث مرات رافعا بها صوته مغمضا عينيه ثم يقولها المريد كذلك اه .

وقال الصومعي في (المعزى في أخبار الشيخ أبي يعزى) وقد قدمنا أن هذا شأن الفقراء والشيوخ بالبلاد الشرقية ، وأهل المغرب إنما غالب أمرهم الصعبة والافتداء اه .

قلت : وهو قد أدرك أصحاب الشيخ زروق رضى الله عنه . ولا يزال الأمر على ذلك بالمغرب إلى الآن لأن أكثر الطرق به شاذلية زروقية أو جزولية .

فصل

وكذلك نص النقشبندية في كتبهم على أن العمدة في طريقهم على الصعبة والافتداء ، لا على لبس الخرفة . قال الإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد السهرندي : وفي هذه الطريقة معنى النقشبندية الصوفية ، المشيخة والإرادة ، بتعليم الطريق وتعلمها لا بالقلسوة والشجرة نقله عنه الخافي في (البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية)

فصل

بل الأقدمون من الصوفية كلهم لا يعرفون الخرفة ، وإنما يعرفون الصعبة والافتداء ، ومن قرأ كتبهم وكتب تراجمهم (كالرعاية) للحارث الحاسبي ، (والقوت) لأبي طالب المكي ، (والتعرف) للكلاباذي ، و (اللمع) لأبي نصر السراج الطوسي ، (الرسالة) للقشيري ، (والحلية) لأبي نعيم ، و (سنن

الصوفية وطبقاتهم) لأبي عبد الرحمن السلمي ، ونحوها لا يجد فيها للخرفة ذكرا ، ولا لروايتها أثراً ، لأنها لم تكن مشهورة عندهم ، ولا متداولة فيما بينهم ، كاشتهارها وتداولها بين المتأخرين أهل القرن الخامس ، فمن بعدهم وأول ظهورها في القرن الرابع ، في زمن أصحاب الجنييد كالشبل المتوفى سنة أربع وثلثين وثلثمائة ، وابن خفيف المتوفى سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، كما سيأتى عن الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه ، ولذلك لم يروها الحفاظ المخرجون للسنن والآثار ، مع شدة اعتنائهم بالرواية وسعة حفظهم ، وكثرة بحثهم عن كل ما يتصل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً من سنن وأحكام وأخلاق وآداب ، بل لما اشتهرت بين المتأخرين من الصوفية أنكرها عليهم أهل الحديث ، لعدم ثبوتها مروية في كتب المتقدمين منهم ، وأول من علمته ذكرها واستدل لها الحفاظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى المتوفى سنة سبع أو ثمان وخمس مائة في كتابه (سنن الصوفية) المعروف بكتاب (الصفوة) فقال في كتاب اللباس منه : باب السنة في لبسهم الخرق من يد الشيخ ، ثم أخرج من طريق الحاكم ، ثم من حديث أم خالد بنت خالد قالت : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال (من ترون أكو هذه) فسكت القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أثبتوني بأمر خالد) فأتى بى فألبسنيها بيده ، وقال (أبلى وأخلق) يقولها مرتين ، وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر ، ويقول (يا أم خالد هذا سناء) والسناء بلغة الحبشة : الحسن اه فاستدل لها بهذا الحديث ، ولم يرو لبسها مسلسلاً من طريق الشيوخ ، لعدم اشتهار سندها . في عصره بسند الخرفة ، وإنما كان معروفاً بسند الصحبة والاقتراء ، نعم أفردتها بالتأليف الحفاظ أبو موسى المدينى المتوفى سنة إحدى وثمانين وخمسائة في جزء سماه (استدعاء اللباس عن كبار الناس) ولعله ذكر سندها المعروف فيه ، فإنما لم تقف عليه ، وقد أنكرها عصرية الحفاظ

أبو الفرج بن الجوزى فى (تلبىس إبليس) وقال : إن سندها كذب ومحال ، وما كان من عادة رسول الله صلى الله على وآله وسلم الإلباس ، ولا فعل هذا أحد من أصحابه وتابعيهم الخ ما قال ، وهو جهل منه بالأصول التى تشهد لإلباس الخرقه من السنة الصحيحة دون حديث أم خالد الذى ذكره الحافظ أبو الفضل ابن طاهر المقدسى . واعترض عليه ابن الجوزى فيه ، وإنما الغرض الاستشهاد من كلامه بأنها لم تكن معروفة بين المتقدمين ، لا من الصوفية ولا من الحديثين وقال الحافظ السخاوى : فى (المقاصد الحسنة) حديث لبس الخرقه الصوفية ، وكون الحسن البصرى ليسها من على ، قال ابن دحية وابن الصلاح : أنه باطل ، وكذا قال شيخنا يعنى الحافظ أنه ليس فى شيء من طرقها ما ثبت ، ولم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبى صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه ، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك وكل ما يروى فى ذلك صريحا فباطل اه المراد منه ، ونقل الحافظ السيوطى فى (زاد المسير عن الحافظ ابن الصلاح أنه قال : بعد ذكر سنده فى الخرقه وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقه ليس متصلا إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث فى الأسانيد ، فإن المراد ما يحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادات الصالحين ه . وهو عكس ما نقله عنه السخاوى من الحكم ببطالانها ، وكان ابن الصلاح يقصد فيما نقله عنه السخاوى ، وكذا عن الحافظ حديث الخرقه الباطل الموضوع الذى فيه إخراجها من الجنة من صندوق من النور ، كما هو مذكور فى الموضوعات ، وقال بعض من اختصر كتاب (بهجة الأسرار) فى مناقب مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ، ما نصه : أعلم أن لفظ الصحبة فى هذه الطائفة كان من وقت النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى وقت شيخ الطائفة وأمام الأمة أبى القاسم الجنيد البغدادى رضى الله عنه ، ثم منه إلى الآن يستعمل مكانه لفظ الخرقه ه .

وقال الشيخ الأكبر رضى الله عنه فى « الفتوحات المكية » فى الباب الخامس والعشرين ، بعد حكاية ما جرى له مع الخضر عليه السلام ، وكونه لبس منه الخرقة ، ما نصه : ومن ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها الناس ، لما رأيت الخضر قد اعتبرها ، وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن ، فإن الخرقة عندنا إنما هى عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ، ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن يوجد صحبة وأدب وهو المعبر عنه بلباس التقوى انتهى المراد منه . وقال فى رسالة « نسب الخرقة » بعد تهديد سيمائى ما نصه : ولما تقرر هذا فى نفوس أهل الله أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزینتين ، ليجمعوا بين الحسنين ، فيثابوا من الطرفين ، إلى أن قال : فظهر الجمع بين اللبستين من زمن الشبلى وابن خفيف ، إلى هلم جرا ، فجرينا على مذهبه فى ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ جملة سادات ، بعد أن صحبتناهم وتآدبنا بأدائهم ، ليصح اللباس ظاهراً وباطناً هـ فصرح بأن أول ظهور لبس الخرقة كان فى زمن الشبلى وابن خفيف ، وهو القرن الرابع وأنه قبل ذلك لم يكن إلا الصحبة والافتداء ، ولم يكن لباس الإبدان معروفاً بينهم ، وهو الحق الذى لا شك فيه ، وإن تعقبه عليه الصفى القشاشى وتبعه بعض المغرمين بلباس الخرقة ، من الهنود المتأخرين بما لا طائل تحته ، وقال السهروردى فى (عوارف المعارف) ولا خفاء أن لبس الخرقة على الهيئة التى يعتمدها الشيوخ فى هذا الزمان لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ ، وأصله من الحديث ماروفناه يعنى حديث أم خالد السابق انتهى المراد منه ، ولما ناله العلامة المقرئ صاحب (نفح الطيب) فى كتابه (زهر الحكامة فى أخبار العامة) قال ما نصه : وكان طائفة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدین اهـ . وقال الشيخ زروق فى (عدة المريد الصادق) .

فصل

فى ذكر ظهور المشايخ والمشيخة وما يتبع ذلك من طريق الاقتداء ونحوها

اعلم : أن الأوائل من القوم لم يكن لهم ترتيب فى المشيخة معروف ولا اصطلاح مألوف ، وإنما كانت المحبة واللقاء ، فكان الأدنى منهم إذا لقي الأعلى ، استفاد برؤيته أحوالاً لأن من تحقق بحالة لم يحل حاضروه منها ، والأحوال موروثه فلذلك قال ابن العريف كيف يفلح من لم يخالط مفلحاً وكان الصحابة رضى الله عنهم يفتفون برؤيته عليه الصلاة والسلام حتى قال أنس رضى الله عنه : ما نقصنا التراب عن أيدينا من دفنه صلى الله عليه وسلم حتى وجدنا النقص فى قلوبنا ، كانت الصحبة عندهم بتعلم الأدب ، وأخذ العلم ، بوجه يعرف أحدهم بالترام الوجه الذى يأخذ منه ، وبواليه موالاة من يرى فضله عليه ، ويشكر إحسانه إليه من غير زائد على ذلك ، وأصلهم فى ذلك قوله تعالى : (واتبع سبيل من أناب إلى) الآية ، فلما غلب الخبط على النفوس والتخليط على القلوب ، ظهر متأخرو الصوفية بالاصطلاح فى التربية ، وترتيب المشيخة على ما هو معلوم من شأنهم ، مستندين لما ذكرنا من قوله تعالى : (واتبع سبيل من أناب إلى) اه المراد منه . وهو غاية فى التحقيق ، فصرح بأن المشيخة على الهيئة المتعارفة اليوم ، لم تكن فى زمن الأقدمين من القوم ، فضلاً عن لباس الخرقه الحادث عند بعضهم فى القرن الرابع .

فصل

فبان من هذا بطلان قول ابن تيمية : فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان ؟ وأن المروى عن عليّ عليه السلام ليس هو الخرقة ولباس الأبدان ، بل المروى عنه هو المعرفة بالله تعالى ، وعلم الباطن الذي هو سر الاقتداء الذي هو نتيجة العمل على الإخلاص ، وأن لباس الخرقة أمر حادث ، وشيء اصطلاح عليه شيوخ الصوفية بعد وفاة عليّ عليه السلام بثلاثة قرون ، كما اصطلاح الفقهاء وأهل الأصول على قواعد وضوابط ، واستنبطوا من النصوص أحكاماً وفروعاً ، وتوسعوا في ذلك حتى ذكروا حكم المستحيل ، وما لا يتصور في العادة وجوده ، وذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقرون وأزمان ، ثم نسبوا جميع ما استنبطوه إلى الشريعة ، وصرحوا بأنه حكم الله تعالى ، وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم مع عدم ورود شيء منه ، لا في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل ولا عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وعنا بهم آمين .

ولما وردت أصول وثبتت أدلة ، فاستنبطوا منها تلك الفروع ، واستخرجوا منها تلك القواعد والأحكام ، وقاسوا عليها وعلى ما هو مقيس عليها أضعاف أضعافها ، فكان في استنباطهم الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، بقدر إحكام طرق الاستنباط ، وتحقيق العمل ، وتحرير المناط ، وعلى حسب العلم بالدليل ، والجهل به ، والقرب منه ، والبعد عنه ، بخلاف مسائل الصوفية رضي الله عنهم ، فإن غالبها مستخرج من نفس الكتاب والسنة ، لا من الأقيسة الفاسدة ، والشبه الباطلة ، والتقليد المحرم الممنوع ، فالخرقة وإن لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم بالصفة الخصوصية ، والهيئة المتعارفة بين الصوفية المتأخرين ، أو من اختارها منهم إلا أننا وجدنا لمن استحسناها منهم لمصلحة المريدين ، أصولاً هي أقرب من أصول الفقهاء ، في أكثر فروعهم ، وأدلة أقوى من أدلة الفقهاء

في جل أحكامهم ، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عمم جماعة من أصحابه بيده الكريمة ، منهم علي بن أبي طالب الذي تروى الخرقه من طريقه . وكذلك كسا أهل بيته الكرام ، وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » وهم الأقطاب الذين تروى من طريقهم المعارف الإلهية ، وتستقي من جبهتهم الحقائق العرفانية ، بل كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يولى والياً حتى يعممه .

قال الدولابي في (الكنى والأسماء) : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوهاب المعروف بصيدله ، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي ، حدثنا جميع بن ثوب ، حدثنا أبو سفينان الرعيني ، عن أبي أمانة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يولى والياً حتى يعممه ، ويرخى له من جانب الأيمن حذاء الأذن . ومن هذا الوجه رواه أيضاً الطبراني .

وأخرج أبو داود والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، قال : عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي .

ورواه البزار والدارقطني في (الإفراد) وأبو نعيم في (المعرفة) والبيهقي في (شعب الإيمان) من طريق عطاء الخراساني : أن رجلاً أتى ابن عمر ، فسأله عن إرخاء طرف العمامة ، فقال له عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وأمّر عليها عبد الرحمن بن عوف ، وعقد له لواءاً ، وعلى عبد الرحمن بن عوف عمامة من كرابيس^(١) مصبوعة بسواد ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخل عمامته ،

(١) قطن ، والحديث حسن ، وهو أصح حديث في تعيين قدر العذبة بأربع أصابع .

ثم عممه بيده وأفضل موضع أربع أصابع ، أو نحو ذلك ، فقال : « هكذا فأعتم فإنه أحسن وأجمل » .

ورواه ابن أبي شيبه وابن عساكر من حديث عائشة ، ولما ذكر الحافظ السيوطي في (زاد المسير) استدلال السهروردي للخرقة بحديث أم خالد ، قال : وقد استنبطت للخرقة أصلاً من السنة أوضح مما تقدم ، ثم ذكر حديث عبد الرحمن ابن عوف ، ثم قال : فالاستدلال بهذا للباس الخرقه أنسب ، والله أعلم ، اهـ .

قلت : بل الأنسب هو الاستدلال بتعميم النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وإلباس الكساء لآل بيته الأطهار ، لأن من جهة هم تروى الخرقه ، لا من جهة عبد الرحمن بن عوف .

قال الطبراني في الكبير : حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنا أبو عبيدة الحمصي ، عن عبد الله بن بشر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى خيبر فعممه بعمامة سوداء ، ثم أرسلها من ورائه ، أو قال : على كتفه الأيسر ، وتردد فيه . وربما جزم بالثاني .

ورواه أيضاً الضياء في (المختارة) على ما في (سبل الهدى والرشاد) للشامي ، وحسنه الحافظ السيوطي والسخاوي على ما نقله القاري في (المقالة العذبة) .

وقال الطيالسي في مسنده : حدثنا الأشعث بن سعيد ، حدثنا عبد الله بن بشر ، عن أبي راشد الجرائي ، عن علي ، قال : عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم^(١) بعمامة سدلها خلفي ، ثم قال : « إن الله عز وجل أمدني

(١) بضم الحاء وتشديد الميم ، موضع فيه أثبت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولاية علي عليه السلام ، بحضور الصحابة .

يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمة) وقال : (إن العامة حاجزة بين الكفر والإيمان) الحديث ورواه أيضاً ابن أبي شيبه في (المصنف) وأحمد بن منيع في (المسند) والبيهقي في (السنن) هكذا أيضاً ، وروى أبو نعيم في (المعرفة) من طريق إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن بشر عن عبد الرحمن بن عدي البهراني ، عن أخيه عبد الأعلى بن عدي : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا علي بن أبي طالب يوم غدير خم فعممه ، وأرخى عذبة العامة من خلفه ، ثم قال : « هكذا فاعتموا فإن العائم سيم الإسلام وهي حاجزة بين المسلمين والمشركون » وهو مرسل جيد . وله طرق أخرى ، منها : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كان له عمامة تسمى السحاب فوهبها علي . فربما طلع فيها ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم « آتاكم علي في السحاب » رواه ابن عدي ، وأبو الشيخ ، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسل ، وهو ضعيف جداً : كما يقول الحافظ العراقي في (المفني) ، وقد ألبس النبي صلى الله عليه وسلم جماعة آخرين أعرضنا عن ذكر أحاديثهم اختصاراً ، وأما حديث الكساء فسيأتي ، ولما نقل الصفي التشاشي في (السميطة الحميد) كلام الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) تعقبه بقوله ، وأما قوله : لم يرد : أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه فليس فيه إلا نفي ورود الكيفية الخصوصية لهم ، وأما الكيفية الخصوصية من فعله صلى الله عليه وسلم ، فقد فعلها بعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، في إلباس العمامة ، وبالعباس ، وولده ، فحصل عند كل أحد من هؤلاء كيفية . فدل على الإطلاق ، وجواز الكيفية بعد ثبوت الإلباس بالعمامة والأنبجانية وغيرها . فنفي الكيفية كما ذكر غير قاذح إذ لا يلزم من ذلك نفي أصل الإلباس بغير تلك الكيفية ، وهو ظاهر . ألا ترى أن الشيخ شهاب الدين السهروردي قد قال في العوارف : ولا خفاء بأن لبس الخرقه على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان ، لم تكن في زمان رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الهيئة والاجتماع لها . من استحسان الشيوخ . اهـ ، مع أنه لم يذكر هذا الكلام إلا بعد ما روى حديث أم خالد بسنده المثبت لأصل اللبس بكيفية ما ، مع أنه مخرج في الصحيح ، فظهر أن عدم ورود الكيفية الخاصة لا ينافي ورود أصل اللبس بغير تلك الكيفية . على أنه قد ثبت تعدد الإلباس منه صلى الله عليه وسلم بكيفيات مختلفة كما مر ، وهو دليل على أن الأمر فيه سعة ، وليس محصوراً في كيفية خاصة . ولا في ثوب خاص ، ولا مختص بالذكر ، ولا بالأنثى ، ولا بالصغير ، ولا بالكبير ، فقد مر أنه ألبس على وابن عوف العامة ، وأرخى للأول طرفها ، وللثاني طرفها ، وكلاهما كيفية ، وثبت في حديث أم خالد ، أنه ألبسها خميصة سوداء صغيرة بيضاء ، وقال : (أبلى وأخلقى) وثبت في حديث ابن عباس عند الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم ألبس عباساً وولده كساء ، ودعا لهم . وإذا ثبت ذلك ، وأنه كان يفعل بما أراه الله بنور النبوة ما هو اللائق بالحال والشخص والثوب ، فكذلك الشيخ الوارث له أن يفعل ما أراه الله بنور الولاية لا نقياً بحال الشخص وزمانه ومكانه ، وهو في كل ذلك متبع للسنّة ، لما عرفت من عدم الحصر في كيفية ، والله أعلم . وحيث أن الخرقه كما قال السهروردي في (العوارف) عتبة الدخول في الصحبة . والمقصود الكلى هو الصحبة ، وبالصحبة يرجى كل خير للمريد اهـ . كان الظن بهم أنهم ما اختاروا هذه الهيئة ، إلا لتكونها في زمانهم أففع للمريد ، فيما هو المقصود منه ، من التخلق بأخلاقهم ، والتأدب بأدابهم ، وكل ما يكون وسيلة إلى المطلوب فهو مطلوب ، وإن لم يكن وارداً بخصوصه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهـ . وفيه اعتراف منه بحدوث إلباس الخرقه ، وأنه لم يكن في السلف الصالح إلا الصحبة والافتداء ، كما قال السهروردي والشيخ الأكبر في (الفتوحات المكية) ولكن القشاشي لما نقل كلامه تعقبه بما قدمناه سابقاً وتعمقناه والعلم عند الله تعالى .

فصل

الوجه الثانى : من أوجه الرد على ابن تيمية فى قوله : فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان ؟ إن القائلين بالخرقة من الصوفية لم يجعلوها أصلاً فى طريقهم حتى تكون هى الغاية المقصودة ، والنتيجة المطلوبة ، بل جعلوها علامة على الدخول فى طريقهم . والانخراط فى سلكهم ، كما يجعل الملوك الخلع علامة على الولاية ، ولباس الجند علامة على الدخول فى الجندية . وخدمة الدولة ، والمقصود منها إعطاء البيعة على التوبة والإفلاع عن المعاصى ، والإقبال على الآخرة بالعمل الصالح ، والإعراض عن الدنيا بالزهد فيها ، وترك النشوف إليها ، والاشتغال عنها بذكر الله وعمارة الوقت بطاعته ، كما هو شأن أهل تلك الخرقة والمرقعة ، قال الشيخ الأكبر فى رسالة (نسب الخرق) بعدمقدمة ستأتى : ولما تقرر هذا فى نفوس أهل الله ، أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ، ويتزينوا بالزيتين ليجمعوا بين الحسنين فيثابوا من الطرفين ، فسنوا لباس هذه الخرقة على الهيئة المعروفة عندهم ، ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم ، وجعلوا ذلك حجة وأدباً . ا هـ .

وقال السهروردى فى (عوارف المعارف) : لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد ، وتحكيم من المريد للشيخ فى نفسه . والتحكيم سائغ فى الشرع لمصالح دنيوية ، فماذا ينكر المنكر للباس الخرقة على طالب صادق فى طلبه ، يتقصد شيخاً بحسن ظن وعقيدة ، يحكمه فى نفسه ؛ لمصالح دينه يرشده ويهديه ، ويعرفه طريق المواجهيد ، ويبصره بآفات النفوس ، وفساد الأعمال ، ومداخل العدو ، فيسلم نفسه إليه ، ويستسلم رأيه واستصوابه فى جميع تصاريقه ، فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التنبؤ والتسليم ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى

حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإحياء لسنة المبايعات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا أبو زرعة قال : أخبرني والدي الحافظ المقدسي ، قال : أنا أبو الحسين أحمد بن محمد البزار ، قال : أنا أحمد بن محمد أخي ميمى ، قال : ثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، قال : ثنا عمرو بن عليّ قال : سمعت عبد الوهاب الثقفي ، يقول : سمعت يحيى بن سعيد ، يقول : ثنا عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرني أبي عن أبيه ، قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وأن لا ننزع الأمر أهله . وأن نقول بالحق حيث كنا ، ولا نخاف في الله لومة لائم ، ففي الخرقعة معنى المبايعات والخرقة عتبة الدخول في الصحبة ، والمقصود الكلّي هو الصحبة . وبالصحبة يرجى للمريد كل خير . اهـ .

وقال الإمام العارف نجم الدين البكري بعد الاستدلال للخرقة ، بحديث الكساء : وهذه حقيقة الخرقعة فإنها علامة الانسلاخ في سلك التطهير والتنوير . وقال العارف ابن عراق في رسالته في الخرقعة : واعلم أن أخذ العهد ولبس الخرقعة وإرسال العذبة ، قد استحسنها السلف الصالح ، فمن أجلهم سبى الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره ، قال : الأصل في أخذ العهد ولبس الخرقعة عندى ، والله أعلم : أن المريد يوسم بزى أهل الخير حتى يستحق بسبب لبس الخرقعة فلا يرجع إلى ما كان فيه من الذنوب ، فهى قيد له عن الدخول فيما لا يليق به . اهـ .

وقال العلامة الأمير في (فهرسته) : واعلم أن الخرقعة وعلم الراية والحزام ونحو ذلك ، ليست هى المقصود الأصل من الطريق ، بل مدار أصل الطريق مجاهدة النفس وإلزامها بالشرعية والسنة الحمدية في الباطن والظاهر ، ولذلك لما سئل الإمام مالك رضى الله عنه عن علم الباطن ؟ قال للسائل : اعمل بعلم الظاهر يورثك

الله علم الباطن . لكن مستند القوم أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ، وقد ورد تميم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه في الجهاد ، وعقده اللواء له اغتفاره إنشاد الشعر والتبختر بين الصفين ، كما قال : (إنها لمشية يبغيها إلا في مثل هذا الموضع) وجعل الشعار في القوم ليجتمع بعضهم على بعض ، فكذلك القوم تبركوا باللباس الخرقه ، وإنما الأعمال بدياتها ونشروا الأعلام ، واغتفروا هز الجسيم في الذكر والإنشاد ، إعانة على المجاهدة وليجتمع بخرقتهم أصحاب طريقهم الذين هم يتعاونون بحال واحد ، من غير عصبية ولا بغض لغير خرقتهم ، بل على حد ما قيل :

فنادمنى بمثل لسان حالى تربحنى واطرب من قريب
والمدعون اليوم افسدوا الأوضاع ، واقتصروا على الصور الظاهرية .
واعلم بأن طريق القوم دراسة
وحال من يدعيها اليوم كيف ترى ؟

فالمقصود من الخرقه ما وراءها . لا مجرد لباسها ، ولذلك شرطوا على لباسها للارادة والتحكيم شروط السير والسلوك ، قال الشيخ الأكبر في رسالة (نسب الخرقه) أما بعد : فإن مما جاء به الرسول الكريم من العلى الحكيم في الكتاب المنزل الذى هو القرآن العظيم : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير) فالضرورى من اللباس الظاهر ما ستر السوآت ، وهو لباس التقوى من الوقاية ، والرياش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة التى هى زينة الله التى أخرج لعباده من خزائن غيويه ، وجعلها خالصة للمؤمنين فى الحياة الدنيا ويوم الإقامة فلا يحاسبون عليها . وإذا لبسوها وتزينوا بها من غير هذه النية ، ولا هذا الحضور ، ولبسوها نفراً وخيلاء ، فتلك زينة الحياة الدنيا ، فالثوب واحد ، ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد ، ثم أنزل

في قلوب العباد لباس التقوى ، وهو خير لباس ، وهو على صورة لباس الظاهر سواء فمنه لباس ضرورى يوارى سوءة الباطن وهو تقوى المحارم مطلقة ومنه ما هو مثل الريش فى الظاهر ، وهو لباس مكارم الأخلاق ، مثل نوافل العبادات ، كالصفح والإصلاح ، وإن كان الشارع قد أباح لك أخذ حقك ولكن تركه مما يزين به الرجل فى باطنه ، فهى زينة الله فى الباطن ، وهو كل لباس ندبك الشارع إليه ، فقد تحقق لباس الباطن أنه على صورة الظاهر شرعاً ، وكلما يختلف الظاهر بالمقاصد والنيات ، كذلك يختلف لباس الباطن بالنيات والمقاصد ، ولما تقرر هذا فى نفوس أهل الله أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزینتين ، ليجمعوا بين الحسنين فيثابوا من الطرفين ، فسنوا لباس هذه الخرقه على الهيئة المعلومه عندهم ، لئلا يكون تنبيهها على ما يريدونه من لباس بواطنهم ، وجعلوا ذلك حجة وأدباً وأصل هذا اللباس عندى على ما ألقى فى سرى أن الحق لبس قلب عبده المؤمن . قال : ما وسعنى أرضى ولا سمانى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن .

فإن الثوب وسع لابسها فظهر الجمع بين اللبستين فى زمان الشبلى وابن خفيف إلى هلم جرا ، فخرينا على مذهبهم ، فلبسناها من أيدى مشايخ حجة سادات ، بعد أن صحبناهم وتأدبنا بأدبهم ، ليصح اللباس ظاهراً وباطناً ، فذكر جملة ستاتى ، ثم قال :

وشروط هذه الخرقه المعروفة على صورة ما أظهرها الحق من ستر السوءة .

فتستر سوءة الكذب بلباس الصدق ، وتستر سوءة الخيانة بلباس الأمانة ، وسوءة الغدر بلباس الوفاء ، وسوءة الرياء بخرقه الإخلاص ، وسوءة سفاسف الأخلاق بخرقه مكارم الأخلاق ، وسوءة اللذام بخرقه المحامد ، وكل خلق دنى بخرقه كل خلق سنى ، وترك الأسباب بتوحيد التجريد ، والتوكل على الأكوان بالتوكل على الله ، وكفر النعمة بشكر المنعم ، ثم تتزين بزينة الله . من ملابس الأخلاق الحمودة ، مثل الصمت عما لا يعنيك ، وغض البصر عما لا يحل النظر إليه ،

وتفقد الجوارح بالورع ، وترك سوء الظن بالناس ، وتصفح ماضت به الأيام من أفعالك وما سطرته أقلام الكتبة الكرام عليك ، والقناعة بالموجود ، وعدم التشوف إلى طلب المزيد إلا من أفعال الخير ، وتفقد أخلاق النفس ، ومعاودة الاستغفار ، وقراءة القرآن ، والوقوف مع الآداب النبوية ، وتعرف أخلاق الصالحين ، والمنافسة في الدين ، وصلة الرحم ، وتعاهد الجيران بالرفق ، وبذل العرض ، وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بقوله : « ألا يستطيع أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ كان إذا أصبح يقول : اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك » وسخاوة النفس وهو أن يبذلها في قضاء حوائج الخلق ، وصنائع المعروف ، مع الصديق والعدو ، والتواضع ، ولين الجانب ، واحتمال الأذى ، والتغافل عن زلل الإخوان ، وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ، ومن تقدم من الأكابر ، وترك مجالسة الغافلين ، إلا أن نذكرهم ، أو نذكر الله فيهم ، والسكف عن الخوض في الاعتراض في آيات الله ، وترك الطعن على الملوك والمذنبين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وترك الغضب إلا عند انتهاك محارم الله ، وترك الحقد والغل من الصدور ، والصفح عن المسيء ، وهو أن لا تغضب لنفسك ، وإقالة عثرات أهل المروآت ، ذوى الهيئات والإبقاء على أهل الستر ، وتعظيم العلماء ، وأهل الدين ، وإكرام ذى الشبهة ، وإكرام كريم القوم ، كانوا من كانوا ، من مسلم أو كافر ، كل ذلك على الحد المشروع مما يجوز لك أن تسكرم به ذلك الشخص ، وحسن الأدب مع الله تعالى ، ومع كل أحد من حى وميت ، وحاضر وغائب ، ورد الغيبة عن عرض المسلم ، وإيّاك والتصنع ، والتشدد فإن كثرة الكلام يؤدي إلى سقطه ، وتوقير الكبير ، والرفق بالضعيف ، والرحمة بالصفير ، وتفقد المحتاجين ومواساتهم ، بالبر والصلة ، وميسور القول ، والهداية ، وقرى الضيف ، وإفشاء السلام ، والتعجب إلى الناس على الحد المشروع ، ولا تكن لئماً ولا طمأنناً ولا عيباً ولا سخياً ، ولا تجزئاً .

أحداً بالسيئة في حقك ، إلا إحساناً ، والنصيحة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ولا تنتظر الدوائر بأحد ، ولا تسب أحداً من عباد الله
على التعمين من حى ولا ميت ، فإن الحى لا يعرف إن كان كافراً بما يحتم له ؟
وإن كان مؤمناً بما يحتم له ؟ ولا تعير أحداً من أهل الشهوات بشهواتهم ، ولا ترد
الرياسة على أحد ، ولا تواطئ^(١) عقبك خدمة عن أمرك ، وإياك أن تترك الناس
أن يبولوا في أذنك بنقل ما يسوءك عنك ، وعن غيرك ، ولتحب المؤمنين
كلهم مسيئهم إليك ومحسنهم ، لحبهم الله ورسوله ، ولا تبغضهم لبغضهم إياك ،
أو من^(٢) كان غير الله ورسوله . فهذا أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المنام في رؤيا رأيته في حق شخص وقع في بعض شيوخى ، فأبغضته ، فرأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، وقال لى : لم أبغضت فلاناً ؟ فقلت له :
لبغضه ووقوعه في شيوخى ، فقال عليه الصلاة والسلام : ألسنت تعلم أنه يحب الله
ويحبنى ؟ قلت له : بلى ، قال : فلم لا تحبه بحبه إياى ؟ وأبغضته لبغضه شيخك ؟
فقلت له : يا رسول الله من الساعة فما أحسنك من معلم ! لقد نهيتنى على أمر كنت
عن مثله غافلاً . ولا تفرح بما ينتشر في العامة من ذكرك بما تحمد ، وإن كنت
عليه ، فإنك لا تدري هل يبقى عليك ؟ أو يسلب عنك ؟ ولا تميز بين المؤمنين
بخلق غريب محمود يعرف منك ، إلا إن كنت ممن يقتدى به ، ولا تظهر الخشوع
في ظاهرك بجمع أكتافك وأطرافك إلى الأرض ، إلا أن تكون في باطنك
كذلك ، ولا تحب التكاثر من الدنيا ، ولا تبالي بجهل من جهل قدرك ، بل
لا ينبغي أن يكون لنفسك عندك قدر ، ولا ترغب في إنصات الناس لكلامك ،

(١) أى لا تدع خادماً لك يمشى خلفك ، فإن ذلك شأن المتكبرين والجبارين .

(٢) أى أو بعضهم أى أحد كان ، وير الله ورسوله . فلا يستحق البغض إلا من

أبغضهما ، وأبغض ما يتعلق بهما .

ولا تجزع من الجواب بما لا يسرك في حقتك ، واصبر للحق ومع الحق ، (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وانصف من نفسك . ولا تطلب الإنصاف من أحد في حقتك ، وسلم على المؤمنين ابتداء ، ورد السلام على من سلم عليك ، وإياك والطعن على الأغنياء إذا بخلوا ، وعلى أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها ، ولا تطمع فيما في أيديهم ، وادع للملوك وولاة الأمر ، ولا تندع عليهم . وإن جاروا ، وجاهد نفسك وهواك ، فإنه أكبر أعدائك ، ولا تكثر الجلوس في الأسواق ولا المشي فيها ، وكف ضررك عن أئمة الدين ، واترك الشهادة على أهل القيلة بما يؤدي عند السامعين إلى الخروج عنها ، وعليك بالإمساك عن الخوض في الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ، وترك المرآة في القرآن والقدر ، وترك مجاسة أهل الأهواء والبدع القاذحة في الدين ، وعليك بإخراج الحرص والحسد والعجب من قلبك ، بأن تصرف هذه الصفات في غير مواضعها المشروعة . وعليك بالدخول في الجماعة ، فإن الذئب لا يأكل إلا القاصية ، وإياك والعجلة في أمرك ، إلا في خمس : في الصلاة لأول وقتها ، والحج عند وجود الاستطاعة ، وتقديم الطعام للضيف قبل الكلام ، وتجهيز الميت ، وتجهيز البكر إذا أدركت^(١) ، وبذل الجهود في نصيح عباد الله من مسلم وكافر ومشرک ، وقطع أسباب الغفلة ، والحفاظة على إقامة الصلوات ، وتحسين نشأتها ، والقيام على النفس بالحسبة ، والخروج من الجهل لطلب العلم ، وأن تستوصى بطالب العلم خيراً ، والغتم على التفریط في استعمال الخير ، والتجافى عن الشهوات ، ودار الفرور ، واعتقاد مقت النفس ، فإن النفس في اعتقاد أهل الله كل خاطر مذموم ،

(١) يضاف إليها التوبة وأداء الدين إذا حل أجله .

ورد المظالم ، وإصلاح الطعمة ، والسعى في إصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة ، وإسقاط الريب ، والحذر الدائم والخشية ، والههم في الله ، والحب والبغض في الله ، والمودة في قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموالاته الصالحين ، وكثرة البكاء ، والتضرع إلى الله تعالى ، والابتهاال ليلاً ونهاراً ، والهرب من طريق الراحة ، والتذلل في كل حال إلى الله تعالى ، ومراقبة الكمد وتنغيص العيش ، بالفكر فيما يتعين عليك من شكر المنعم فيما أنعم به عليك ، والقصد إلى الله تعالى في كل حال ، والتعاون على البر والتقوى ، وإجابة الداعي ، ونصرة المظلوم ، وإجابة الصارخ ، وإغاثة الملهوف ، وتفرج الكرب عن المكروب ، وصوم النهار ، وقيام الليل ، وإن كان بالتهجد فهو أولى ، وذكر الموت ، وتعاهد زيارة القبور ، وأن لا تقول وأنت فيها هجراً ، والصلاة على الجنائز ، واتباعها ، إن كنت ماشياً فأمامها ، وإن كنت راكباً فمن خلفها ، ومسح رءوس اليتامى ، وعيادة المرضى ، وبذل الصدقات ، ومحبة أهل الخير ، ودوام الذكر ، والمراقبة ومحاسبة النفس على أفعالها الظاهرة والباطنة ، والأنس بكلام الله ، وأخذ الحكمة من كلام كل متكلم ، بل من نظرك في كل منظور ، والصبر على أحكام الله ، فإنك بعينه ، كما قال لك رب : (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) والإيثار لأمر الله ، والتعرض لكل سبب يقرب إلى الله تعالى ، واستفراغ الطاقة في محاب الله ومراضيه ، والرضا بالقضاء ، لا بكل مقضى ، بل بالقضاء به ، وتلقى ما يرد من الله تعالى بالفرح ، وموالاته الحق بأن تكون معه ، فإن الله مع عباده أينما كانوا ، ودر مع الحق حيثما دار ، والتبري من الباطل ، والصبر في مواطن الامتحان ، والزهد في الحلال ، والاشتغال بالأهم في الوقت ، وطلب الجنة بالشوق إليها ، لسكونها محل رؤية الحق تعالى ، ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار ، ومحادثة المساكين ، والتعود معهم في محال فقرهم ، ومعوثة من يطالبك حاله بإعانتته ، وسلامة الصدر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، وخدمة الفقراء ، وأن تكون مع الناس على نفسك ، فإنك

إذا كنت عليها فأنت لها ، والسرور بصلاح الأمة ، والغم بفسادها ، وتقديم من قدمه الله ورسوله ، وتأخير من أخره الله ورسوله فيما قدمه ، وفيما أخره ، فإذا لبست هذه الملابس ، صح لك أن تقعد في صدور المجالس عند الله تعالى ، وتكون من أهل الصفوف الأولى ، فهذه ملابس أهل التقوى التي هي خير لباس ، فاجهد أن تكون هذه ملابسك ، أو أكثرها فعملية الجماعة ، وعليه ألبس شقيق البلخي حاتم الأصم وأمثاله ، ولم يكن به صمم ، وإنما كلمته امرأة ، فخرج منها صوت يعني ضرطت ، فخرجت من الشيخ ، فقال لها وهي تحذره : ارفعي صوتك جداً ، يظهر أنه لا يسمع فزال خجلها ، وقالت : ما سمعني فسمى لذلك حاتم الأصم . فعلى مثل هذه الأخلاق درجوا ، وهي لباسهم وحليهم ، وعليها لبست وألبست من ألبسته الله الحمد على ذلك اهـ . كلام الشيخ الأكبر رضى الله عنه ، وقد ذكر غيره شروطاً أخرى للباس الخرقية تركناها ذكرها اختصاراً مع أنها في الحقيقة راجعة إلى ما ذكره الشيخ الأكبر رضى الله عنه ، وهي شروط جامعة لجميع خصال الخير ، وأصول طريق القوم ، وهي المقصود من الخرقية المروية عن علي عليه السلام ، لا مجرد لباس الأيدان ، كما يقوله ابن تيمية عدو أهل الله ، وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فصل

ويؤيد ذلك كون الخرقية متعددة ، بتهدد الشيوخ المؤسسين للطرق ، ومختلفة باختلاف مشاربهم في التربية والتسليك ، من تشديد وتخفيف ، وتنوع للعبادة والأوراد والوظائف والأذكار ، مع اختلاف في الكيفيات ، واختيار للخلوات ، بحسب ما أداهم إليه النظر والاجتهاد ، وما تلقاه كل شيخ ، وسلك عليه ، وحصل له به الفتح والوصول إلى الله تعالى ، ولو كان القصد مجرد اللباس لما وقع هذا الاختلاف مع اتحاد السند والمخرج ، كما لم يقع ذلك في المصاحفة والمشاكاة

وغيرها من المسلسلات المروية بقصد التبرك ، لأن المراد من المصاحفة عينها ، وهي غير مختلفة إلا من جهة الإسناد والنسبة ، إلى من رويت من طريقه ، كالأويسية والخضرية والمعمرية المثنوية والحشمية وغيرها ، بخلاف الخرقة . فإن المراد شروطها وأصولها وهي مختلفة باختلاف شيوخها ، كاختلاف المذاهب إلى مالكي وشافعي وحنبلي وحنفي وظاهري وأوزاعي وثوري وجريزي وزمدي وأمامي وغيرها . مع اتحاد الدين والشريعة والكتاب والسنة والإمام الأعظم الذي يستقي منه الجميع وينتهي إليه استناد الكل ، وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فكذلك اختلفت الطرق للمعبر عنها في اصطلاح المتأخرين بالخرق إلى شاذلية وفقارية ورفاعية وسهروردية وخلوتية ونقشبنديّة وجشبتية وكبروية ومولوية وعيدروسية وغيرها .

مما هو معروف مع اتحاد السند والخرج الذي هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، واتحاد الأصل والمنبع الذي هو سيد الأكوان صلى الله عليه وآله وسلم لا يقال : فلعل اختلاف أسماء الخرق لاختلاف أسماء الشيوخ المروية من طريقهم كاختلاف أسماء المسلسل بالمصاحفة . لأن المصاحفة ليس لها شرط أصلا ، وشروط الخرق معروفة مفردة بالمؤلفات من أئمة كل طريق ، وذلك دليل قاطع على أن المراد بالخرق شروطها ، وأصول السير والسلوك في كل طريق .

فصل

ويؤيد ذلك أيضاً اختلافهم في التعبير عن المروى بسند الخرقة . فبعضهم يروى به : الخرقة واللباس ، وبعضهم يروى : الصحبة والافتداء ، وبعضهم يروى به : الأدب والسلوك ، وبعضهم يروى التلقين ، بالنون أى تلقين الذكر ، وبعضهم يروى به : التلقيم بالميم ، أى كل واحد أطعم من دونه وجعل في فيه لقمة ، وبعضهم يروى به : المصاحفة ، وبعضهم يروى به : البيع وأخذ العهد ، وبعضهم يعبر بالأخذ ولا يذكر بيعه ، وبعضهم يجمع الجميع فيقول : لبست وتلقنت

وصاحبت واقتديت بفلان ، كما لبس هو وتلقن وصحب واقتدى بفلان . وبعضهم يروى به الأسماء الأدرسية الأربعين . فالسند واحد من جهة الحسن البصرى عن علي عليه السلام ، وأكثره من طريق الجنيد عن خاله السرى عن معروف الكرخى بسنديه المعروفين ، والمروى به مختلف بالتعبير عنه ، وإن كان المراد به واحداً ، وهو مطلق الأخذ وانتفاع التلميذ من الشيخ واستفادة الأدنى من الأعلى ، إلا أنها لما كانت الاستفادة مختلفة وطرقها متنوعة ، عبر كل واحد بحسب طريقه واستفادته ، كما أن الشريعة واحدة ، والسنة المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم متحدة ، ولما كانت طرق الاستفادة الأحكام منها مختلفة باختلاف أصول الأئمة وأفهامهم .

روى كل فريق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مذهبهم الخاص المنسوب إلى إمامهم مالك أو الشافعى أو ابن حنبل أو أبى حنيفة أو غيرهم ، مع أن المنقول عنه واحد ، وهو الكتاب والسنة ، فكذلك أهل الخرق ، فمن صحب شيخاً وسلك على يديه حتى فتح له ، روى عنه بطريق الصحة والافتداء ، ومن صحب شيخاً وتأدب بأدبه ، ولم يسلك على يديه عبر بقوله تأدبت بفلان ، ومن كان أول دخوله الطريق بلباس الخرقة عبر باللباس ، ومن كان أول دخوله بتلقين الذكر ، روى الإسناد باسم التلقين ، ومن اجتمع بشيخ عارف وتبرك به وأطعمه لقمة ، روى عنه التلقيم . ومن أخذ عنه طريقة الأسماء والاختلاء بها روى عنه الأسماء . فاختلفت جهات النفع والاستفادة مع اتحاد السند والخروج ، وهذا وإن كان فيه تساهل على طريقة أهل الحديث من جهة عدم تعيين المروى وتحديدته ، إلا أنه غير معتبر عند الصوفية كل ما هو معتبر عند الفقهاء والحدثين ، ولكل قوم اصطلاح يخصهم ، وأصول يعتمدون عليها في فهمهم ، فلا يعترض على الصوفية باصطلاح الحدثين ، كما لا يعترض على الحدثين باصطلاح الصوفية ، على أن الواقع في سند القوم ليس منكراً ولا مردوداً على طريقة الحدثين أيضاً ، لأنه من باب الرواية بالمعنى التي لا يكاد يخلو منها حديث ، لا سيما الطوال ، إلا على سبيل

الفردية ، وكم حديث في الصحيح مخرجه واحد^(١) وألفاظ متعددة متباينة ، مع قيام الدليل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لم ينطق بذلك الحديث إلا مرة واحدة في قصة واحدة ، مما يستحيل معه أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، نطق بجميع تلك الألفاظ ، لا سيما مع اتحاد الراوى عنه ، بل كثيراً ما يقع مثل هذا الاختلاف بالنسبة إلى شيخ واحد كالزهري وشعبة ومالك والثوري ، فيروى الحديث عن واحد منهم عشرة من أصحابه أو ثمانية وكل واحد منهم يذكره بلفظ مخالف للآخر . إما في النقص والزيادة ، وإما في الألفاظ التي يختلف الحكم باختلافها ، ومع ذلك يحكم أهل الحديث بصحة الجميع ، أو قبوله .

فسند أهل الطريق من ذلك القبيل ، بل هو أقرب إلى الصحة وأولى بالقبول ، لعدم ترتب الأحكام الشرعية عليه من جهة ، وكونه متفقاً في المعنى من جهة أخرى . وقد قرر علماء الأصول أن الخبر إذا تعددت قيوده ، يحمل على المطلق عكس ما إذا لم تعدد القيود فإن المطلق حينئذ يحمل على المقيد بمقيد واحد ، كما حلوا

(١) كحديث « إنما الأعمال بالنيات » روى هكذا . وروى « الأعمال بالنيات » وروى « العمل بالنية » وروى « وإنما لامرئ مانوى » وروى « وإنما لكل امرئ ما نوى » وروى « ومن كانت هجرته إلى امرأة يتزوجها » وروى « ينكحها » مع أن مخرجه من طريق علقمة بن وقاص الليثي عن عمر رضى الله عنه . لم يروى في الصحيحين وغيرهما بالسند الصحيح إلا من هذا الطريق . وكحديث « بئى الإسلام على خمس » روى بتقديم الصيام على الحج ، وبالعكس . وهو في الصحيحين في رواية السكسكى عن ابن عمر رضى الله عنهما . وحديث الحوفى ، روى بلفظ « ليزادن رجلاً » « قوم » رهط « أناس » وكلها في الصحيحين . بل من الرواية بالمعنى ما يحكيه القران الكريم من أقوال الرسل والامم السابقة الذين لم تكن لغتهم العربية ، ولهذا جوز الجمهور رواية الحديث بالمعنى ، للعالم بمدلولات الألفاظ ، وبما لا يحيل المعنى . إلا ما تعبد بلفظه كالإذان والأقامة فلا تجوز روايته بالمعنى . ومع هذا فقد كان الامام مالك يتشدد في رواية الحديث في الباء والتاء ونحوهما . حكاه عنه الترمذى في العلل باسناد صحيح وكان على طريقته في التشديد الامام أحمد وكثير في الحفاظ .

في حديث الابتداء بالبسملة الوارد بلفظ (الحمد) ولفظ (البسملة) ولفظ (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ولفظ (الذكر) فقالوا : تحمل الروايات المقيدة على المطلقة وهي ذكر الله تعالى ، لاشتغالها على جميع الروايات المقيدة وهكذا ، سند القوم ، فإن مقيده يحمل على مطلقه ، وهو الأخذ الشامل لجميع الأنواع .

فصل

بل صرحوا بأن المراد من الخرقة هو الصحبة سواء كان هناك إلباس خرقة أم لا . وقالوا : إن التعبير من زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجنيد ، كان بلفظ : الصحبة ، ومن بعده صار يستعمل لفظ : الخرقة واللباس ، مكان الصحبة والاقتراء . والجميع صحبة ، وإنما اختلف التعبير باختلاف الأزمان ، وتغير الأحوال ، والأعراف ، كما كان يعبر في السلف الصالح عن العلم بالفقه ، ثم صار التعبير بالفقه خاصاً بالفروع التي استنبطها الأئمة ، وكانت السنة تشمل ما هو أعم من الفرض والمندوب ، ثم خصها اصطلاح أهل الفقه والأصول بما ليس بواجب وكما لهذا من نظير ، وقع كثير من الفقهاء بسبب الجهل به في أغلاط فاحشة في الفقه والفتوى ، كما نبه عليه القرافي في الفروق ، وابن القيم في إعلام الموقعين ، والشوكاني في نيل الأوطار ، وآخرون .

فصل

الوجه الثالث : أن الصوفية الذين اتخذوا الخرقة (مع كونهم جعلوها عتبة للدخول في الطريق وعلامة على بداية الصحبة والاقتراء) لم يكن ذلك أيضاً مجرد قصدهم ، بل قصدوا ما يقترن باللباس من سرعان حال الشيخ وبركته وسره إلى المريد ، وتلبسه بعده بحال لم يكن على مثلها من قبل ، فيكون ذلك سبباً في جذب قلبه إلى الطريق ، وتعلقه بالله ، ورغبته الكلية الصادقة في السلوك ، وإعراضه عن الدنيا وشهواتها ، وقد يفتح عليه بالعلوم الوهبية ، والمعارف الإلهية بمجرد الإلباس ، واتصال شيء من الشيخ بالمريد ، متى كان الاستعداد حاصلًا من

الطرفين ، كما وقع لكثير من الأولياء كأبى يعزى فإنه تنفل عند احتضاره في
فم ولده يعزى ففتح عليه في الحال ، وكسیدی محمد وفا ، فإنه لما دنت وفاته ، خلع
منطقته على الإبزاري صاحب الموشحات وقال : هي ودیعة عندك حتى تخلعها على
ولدى على ، فعمل أيام كانت المنطقة عنده الموشحات الظریفة إلى أن كبر سیدی
على ، فخلعها عليه ، فانتقل السر إلى سیدی على ، فصار الإبزاري لا يعرف شيئاً
ولا يقدر على قول الموشحات ، وكبهاء الدين نقشبند ، فإن سبب إقباله على الله
تعالى ، كان بسبب وصول قلنسوة بعض العارفين إليه في حكاية طويلة . وكذلك
سیدی العربی الفشتالی مع العارف الكبير سیدی عبد العزيز ووالدته ، وكانت
أبنة أخته ، فقال لهما : هذه أمانة الله عندكما حتى يولد لكما ولد اسمه عبد العزيز ،
فأعطوه هذه الأمانة ، وكانت شاشية وسباطا كتايا أسود ، لأنه كان هو
الملبوس في ذلك الزمان ، وكان ذلك سنة تسعين وألف ، فأخذت المرأة
الأمانة وصانتها فولد لها بعد ذلك بنت ، ثم بعدها ولد العارف سیدی عبد العزيز
فلما كبر وبلغ الحلم ، دفعت إليه أمه الأمانة ، قال : فأخذت الشاشية وجعلتها على
رأسي ، ولبست السباط في رجلي ، فحصلت لي سخانة عظيمة حتى دمعت عيني ،
وعرفت ما قال لي سیدی العربی ، وفهمت إشارته . وكان ذلك سبب إقباله
واشتغاله ، وبداية تعلقه وفتحته . وكالشيخ بابا فرج التبریزی مع نجم الدين الكبرى
حيث تلبس الأول بحالة عظمت فيها صورته ، وكان يتلأأ كالشمس ، وانشق
ثوبه الذي كان عليه ، فلما سرى عنه قام فألبس ذلك الثوب الشيخ نجم الدين
الكبرى ، وكان ذلك في أيام طلبه للحديث ، قال فتغير على الحال ، وانقطع
تعلق باطنی عما سوى الحق سبحانه وتعالى ، في كثير من أمثال هذه الحكايات التي
ثبتت أصولها وشواهدا من الكتاب والسنة كتصية يوسف مع أبيه يعقوب
عليهما السلام ، فإن يعقوب ارتد بصيرا بقميص يوسف عليه السلام ، إما لكونه
من ثياب الجسنة كما قيل ، أو لتلبس يوسف عليه السلام حين لبسه بحال تنفعل

له المكونات فيه ، فلما اتصل بيعقوب عليه السلام أثر فيه بقوة سريان ذلك الحال فارتد بصيرا ، ولو شاء الله تعالى لرد عليه بصره بدون ذلك ، ولكن اقتضت حكمته ، وسبقت إرادته ، أن تقع المسببات في هذا الكون غالبا عن أسبابها المتنوعة إلى مادية ، وروحية وحسية ، ومعنوية ، فكذلك الشيخ الكامل ، إذا نزع ملبوسا من جسمه بعد تلبسه بالحال ، وألبسه المريد ، سرى ذلك إليه ، فارتد بصيرا بعد عى بصيرته بالجهل وظلمة رؤية الأكوان ، وكقصة بقرة بنى إسرائيل فإن للميت ضرب بلحمها فعاد حيا بعد طول المدة ، فسر الإحياء ليس في البقرة ولا في لحمها ، وإنما هو في التجلى الذى قابلها من ذات موسى ، وبواسطته عليه السلام ، وتخصيص البقرة بهذا الأمر ، وخصوصا بتلك الأوصاف ، إنما هو لنفع صاحبها البار بوالدته ، وإظهار فضل بر الوالدين . وكذلك إنفلاق البحر وانفجار الحجر بالمياه عند ملاقاته عصى موسى بهما هو أيضا من هذا القبيل ، وكذلك حديث اختصام الملائة الأعلى الذى حسنه^(١) الترمذى من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربى فى أحسن صورة ، فقال لى : يا محمد . قلت : لبيك ربى وسعديك . قال : هل تدري فىم يختصم الملائة الأعلى . قلت : لا أدرى فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين يدي . أو قال فى نحرى فعلمت ما فى السموت وما فى الأرض ، أو قال ما بين المشرق والمغرب ، قال : يا محمد أدرى فىم يختصم الملائة الأعلى ، قلت نعم فى الدرجات والكفارات ونقل الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء فى السبرات وانتظار الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه الحديث وفى رواية أحمد

(١) بل هو صحيح ، لأن من طرقه الكثيرة عند أحمد والبخارى والطبرانى ، ما هو على شرط الصحيح ، كما فى مجمع الزوائد وللحافظ ابن رجب فى شرحه رسالة مطبوعة ، اسمها اختيار الأولى .

(فرأيتُه وضع كفه^(١) بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت) ومن هذا حديث على عليه السلام قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا ، فقلت : يا رسول الله إني شاب ، ولا علم لي بالقضاء ، فوضع يده على صدري ، وفي رواية : فضرب بيده على صدري ، وقال : (اللهم ثبت لسانه واهد قلبه) فما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا ، وفي رواية : فما شككت في قضاء بعد ، رواه ابن سعد في (الطبقات) وابن جرير في (تهذيب الآثار) والحاكم في (المستدرک) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي . وحديث أبي هريرة في الصحيح قال : حضرت مع النبي صلى الله عليه وسلم مجلس فقال : (من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه مني) فبسطت بردة على ، حتى قضى حديثه ، ثم قبضتها ، فوالذي نفسى بيده ، مانسيت^(٢) شيئا سمعته منه بعد ، وحديث الكساء السابق إذا جلال به النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة والحسن والحسين وأباها عليا عليهم السلام ، فإن السر فيه هو ما فاض فيه النبي صلى الله عليه وسلم من المعارف والأسرار والعلوم

(١) من سقطات ابن تيمية - وما أكثر سقطاته - دعواه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتخذ العذبة صبيحة الليلة التي رأى فيها هذه الرؤية ليغطي موضع كف الله من كتفه ! وهذا هو التجسيم بعينه ، تعالى الله عنه علوا كبيرا . وليس معنى وضع الكف أو اليد (منه سبحانه) إلا عبارة عن التجلي الخاص بصفة العلم ، لأن الرؤيا من عالم المثال الذي تظهر فيه المعاني بصور محسوسة ، وهذا كما أول النبي صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا شرب اللبن ، بالعلم ولبس القميص بالدين . أما العذبة فهي عادة عربية ، كالعمامة . كان العرب يستعملونها لمصالح ، منها اتقاء حر الشمس ومن لنا لبسها . لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعملها ، وحض عليها .

(١) أراد مروان وهو وال على المدينة من قبل معاوية أن يختبر حفظ أبي هريرة فدعاه ، فسأله عن حديث ، فحدثه به فكتبه من غير علمه ، وبعد سنة ، دعاه ، وزعم له أنه نسي الحديث ، فحدثه به ثانيا : فعرضه على ما كتبه ، فوجده لم يخرم منه حرفا .

الدنية فأراد إيصالها إلى آل بيته الأطهار وتطهيرهم من كل رجس وجهل ودنس ولذلك لم يقبل دخول غيرهم من أزواجه صلى الله عليه وسلم معهم ، إرادة لأختصاصهم بتلك المعارف والأسرار ، فكانوا بحور العلم . وجبال المعرفة ، حتى كان الصحابة يقولون ، في الحسن والحسين عليهما السلام وهما شابان : إن ولدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفران العلم^(٢) غراً ، إلى غير هذا مما يطول تتبعه ، ولا يمكن استقصاؤه لا سيما من حكايات الأولياء المتواترة بنحو هذا ، قال الشيخ الأكبر في رسالة « نسب الخرقه » ومذهبنا في لباس مریدی التربية هو على غير ما هو عليه الأمر اليوم ، وذلك أن الشيخ المربي ينظر في حال المريد الذي يريد أن يلبسه ، فأى حال يكون للمريد فيه نقص ، فإن الشيخ يتلبس بذلك الحال ، حتى يتحقق به ويفغمره فتسرى قوة ذلك الحال في الثوب الذي يكون على الشيخ فيجرده في الحال ويكسوه ذلك المريد ، فيسرى فيه سريان الخمر في أعضائه ، فيغمره ويتم له الحال وهذا اليوم عزيزه ، وقال في (الفتوحات المسكية) في الباب الخامس والعشرين ، بعد ما ذكر أنه كان لا يقول بالخرقة حتى رأى الخضر عليه السلام يلبسها للناس ، ما نصه : فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص في أمر ، وأرادوا أن يكملوا له حاله ، يتجدد به هذا الشيخ ، فإذا اتحد به ، أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال ، ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تسكلة حاله ، ويضمه فيسرى فيه ذلك الحال ، فيكمل له ذلك الأمر فهذا هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن الحققين من شيوخنا .

وقال أيضا في الفتوحات لما تكلم على أسرار الأقطاب العيسويين : منها إذا إنهم أرادوا أن يعطوا حالا من الأحوال التي هم عليها ، وهي تحت سلطانهم

(١) غره بالعلم ، أى لقمه إياه . يقال غر الطائر فرخه إذا زقه .

لما يرون في ذلك الشخص من الاستعداد إما بالكشف وإما بالتعريف الإلهي ، فيلبسون ذلك الشخص ، أو يعانقونه ، أو يقبلونه ، أو يعطونه ثوبا من لباسهم ، أو يقولون له أبسط ثوبك ، ثم يغرفون له مما يريدون أن يعطوه ، وانحاضر ينظر أنهم يغرفون له من الهواء ، ويحملونه في ثوبه على قدر ما يحذ لهم من الغرفات ، ثم يقولون له ضم ثوبك إلى صدرك ، أو ألبسه على قدر الحال الذي يحبون أن يهبوه إياها ، فبأى شيء فعلوا من ذلك ، سرى ذلك الحال في ذلك الشخص المأمور المراد به من وقته ، لا يتأخر ، قال : وقد شكى جرير بن عبد الله البجلي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت على ظهر الفرس ، فضرب في صدره بيده ، فما سقط عن ظهر فرس بعد ، ونحس رسول الله صلى الله عليه وسلم مركوبا كان تحت جابر بن عبد الله ، بطيئا يمشى به في آخر الناس ، فلما نحسه لم يقدر صاحبه على إمساكه ، وكان يتقدم على جميع الركاب ، وشكى أبو هريرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء حفظه ، فقال يا أبا هريرة أبسط رداك ، فبسط أبو هريرة رداءه ، فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من الهواء أو ثلاث غرفات ، وألقاها في رداء أبي هريرة ، وقال « ضم رداك إلى صدرك » فضمه إلى صدره فما نسى بعد ذلك شيئا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا كله من هذا المقام « ه » .

وقال السهروردي في « عوارف المعارف » : وسر الخرقه أن الطالب الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه ، وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار ، وحسن الاستقامة ، ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته ، الإشراف على البواطن . فقد يكون المرید يلبس الخشن كثياب المتقشفين المتزهدين ، وله في تلك الهيئة من اللبوس هوى كامن في نفسه ليرى بعين الزهاد . فأشد ما عليه لبس الناعم ، وللنفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من اللبوس في قصر الذيل والكم وطوله . وخشونته ونعومته على قدر

حسبانها وهواها ؛ فيلبس الشيخ مثل هذا الراكن لتلك الهيئة ثوبا يكسر لذلك على نفسه هواها وغرضها ، وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أو هيئة في الملبوس تشرب النفس إلى تلك الهيئة بالعادة ، فيلبسه الشيخ ما يخرج النفس من عاداتها وهواها ، فتصرف الشيخ في الملبوس ، كتصرفه في المطعوم ، وكتصرفه في صوم المريد وإفطاره ، وكتصرفه في أمر دينه إلى ما يرى له من المصلحة من دوام الذكر ، ودوام التنفل في الصلاة ، ودوام التلاوة ودوام الخدمة ، وكتصرفه فيه برده إلى الكسب أو الفتوح أو غير ذلك ، فللشيخ إشراف على البواطن ، وتنوع الاستعدادات ، فيأمر كل مريد من أمر معاشه ومعاده بما يصلح له ، والمريد الصادق الملتهب باطنه بنار الإرادة في بدء أمره ، وحدة إرادته ، كالملسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فإذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لإطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق الحجة بتألف القلوب ، وتشام الأرواح ، وظهور سر السابقة فيهما ، لاجتماعهما لله وفي الله وبالله ، فيكون القميص الذي يلبس المريد خرقة تبشر المريد بحسن عناية الشيخ به ، فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام ، وقد نقل أن إبراهيم الخليل عليه السلام ، حين ألقى في النار ، جرد من ثيابه ، وقذف في النار عريانا ؛ فأناه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه إياه ، وكان ذلك عند إبراهيم عليه السلام ، فلما مات ورثه إسحاق ، فلما مات ورثه يعقوب ، فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويذ وجعله في عنق يوسف فكان لا يفارقه ، فلما ألقى في البئر عريانا جاءه جبريل ، وكان عليه التعويذ . فأخرج القميص منه وألبسه إياه .

أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن إسماعيل القزويني بإجازة . قال : أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس . قال : أنا القاضي محمد بن سعيد . قال : أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد . قال : أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد . قال : حدثنا محمد

ابن جعفر . ثنا الحسن بن علويه . ثنا إسماعيل بن عيسى . ثنا إسحاق بن بشر .
 عن ابن السدي ، عن أبيه ، عن مجاهد ، قال كان يوسف أعلم بالله تعالى من
 ألا يعلم أن قميصه لا يرد على يعقوب بصره ، ولكن ذاك كان قميص إبراهيم ،
 وذكر ما ذكرناه . قال : فأمره جبريل أن أرسل بقميصك ، فإن فيه ريح الجنة
 لا يقع على مبتلى أو سقيم إلا صح وعوفي ، فتسكون الخرقه عند المريد الصادق
 متحملة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة ، ويرى لبس الخرقه من
 عناية الله به وفضل من الله ، اه . وقال بعض من اختصر (بهجة الأسرار)
 للشطنوفى : واعتقادى أن المراد بالخرقة نوع من تصرف الصالحين لمن ألبسوه
 ذلك . كما تصرف النبي صلى الله عليه وسلم بضربه في صدر جرير ، حتى يثبت
 على الفرس ، ولم يكن يثبت قبل ذلك . وأنه صلى الله عليه وسلم أخذ شيئا
 وأعطاه أبا هريرة ، فصار بعد ذلك لا ينسى شيئا . وكان بخلاف ذلك ، وكما
 ينقلون عن الشيخ على الطواسى أنه ركض اليافعى نفع الله بهما ، وحاشا الشريعة
 مجرد لبس الخرقه قربه موصلة إلى الله تعالى يحافظ عليها بسند ينتهى إلى رب
 العالمين ، وإن ألبس النبي صلى الله عليه وسلم جماعة فهو لفوائد آخر على وجه
 التصرف والبعاء ، ولو كان مجرد لبس الخرقه من مستحبات الشرع ، لكان
 علماء الشريعة أولى بذلك فهم ورثته صلى الله عليه وسلم ه .

وقال : العارف الشعرانى فى (مدارج السالكين) واعلم يا أخى أن السر فى
 لبس الخرقه عند الكمل من العارفين ، أنهم يخلعون على المريد الصادق جميع
 الأخلاق الحمدية ، حين إلباسهم له قلنسوة ، أو قميصا ، أو ينزعون منه حال
 أمرهم له ينزع قلنسوته مثلا ، جميع الأخلاق الردية ، فلا يحتاج المريد بعد ذلك
 اللباس إلى معالجة خلق من الأخلاق الشريفة ، بل تصير سجيته تعطى الأخلاق
 الحسنة من غير تكلف . وأما إلباس الخرقه لغير العارفين ، فإنما ذلك تبركا
 وتشبها بالقوم لا غير ه .

وقال السيد شيخ بن محمد الجفري في (كنز البراهين الكسبية) بعد نقل كلام في الخرقة ما نصه : فالمرید الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته ، وتأدب بأدبه ، سرى من باطن الشيخ إلى باطن المرید سر كسراج يقتبس من سراج ، قال الرداد : وقد أجمال المشايخ في ذكر الخرقة ، فمنهم من قال : هي خرقة إرادة ، وخرقة تشبه ، وخرقة تبرك ، ومنهم من قال : هي خرقتان خرقة تعريف ، وخرقة تشریف ، ومنهم من قال : خرقة إرادة ، وخرقة تشبه ، وقال سيدى الشيخ أبو بكر المیدروس رضى الله عنه : الخرقة في حقيقتها خرقة واحدة ، وإن تعددت بأيدي المتمسكين بها ، فإنها سبب بين الله وبين العباد ، لا تعدد حقيقة كالعروة للمتمسكين ، والحبيل للمعتصمين ، وهي من حيث تفاوت الناس في معناها لا تنتهى ، كالمنهاج للسالكين ، والمعارج للمريدين ، والمدارج للعارفين ، والمباهج للمحققين ، لأنها من السبل الموصلة ، والناس في هذه المعاني يتفاوتون على حسب ما هم به مع الحق ، وما هو به معهم ، والشيخ يد الله في أهل إرادته ، وسره بين أهل طاعته ، قال الله تعالى : (يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) ومن حيث رسوم الأحكام هي خرق ثلاث مجازية ، وهي خرقة التأليف ، وجوازية وهي خرقة التعريف ، وإجازة وهي خرقة التصريف ، فالجوازية للمجيبين المتشبهين ، وبها يتألفون مشاهد الطريق ، والجوازية للمريدين المتمسكين ، وبها يتصرفون شواهد الهداية والتوفيق ، والإجازية للهداة الداهين ، وبها يتصرفون في معاهد أحكام العلم والتحقيق ، فالخرقة الأولى لطلابها رعاية ، والثانية لأصحابها هداية ، والثالثة لأربابها ولاية اه ، وقال السيد عیدروس بن عمر الحبشى في (عقد البواقيت الجوهريّة) قال سيدنا عبد الله الحداد : إذا قيل فلان أخذ عن فلان ، ليس معناه أنه أخذ عنه في كتاب ، إنما معناه أنه اقتدى به في سيرته ، بأخلاقه وأفعاله وأقواله ، فإذا فعل ذلك ، فذلك له شيخ ، وهو له مرید اه ، ولبس الخرقة في عرف السادة الصوفية واصطلاحهم عبارة عن الصحبة وأخذ العهد وتلقين

الذكر ، وحقيقته تصرف الشيخ في المريد بل تصرفه في قلبه ، وسريان روحه في روح المريد ، وتربيته بالباطن هـ ، وقال البديري في (ثبته المسمى بالجواهر العوالى في الأسانيد العوالى) نقلا عن العارف الشعراى : ولا تظن يا مسكين ، أنها خرقة بلغة أو خضراء أو حمراء أو زرقاء توضع على الأكتاف ، مع وجود ارتسكاب أردى الأوصاف ، وإنما هى عبارة عن لبس يضعه على جسده الشيخ الواصل الطاهر الأنفاس . برهة من الزمان ، ثم ينزعه ويلبسه حالا لذلك المريد ، فيزول ما كان عنده من وصف ذميم ، ويبدل بوصف حميد ، وخلق كريم اهـ .

وقال الصفي القشاشي في (السمط المجيد) وسر إلباس الخرقة إذا كان لبسها للإرادة لا للتبرك فقط ، أن ينظر الشيخ الربى في حال المريد الذى يريد أن يلبسه فأى حال يكون للمريد فيه نقص فإن الشيخ يتلبس بذلك الحال ، حتى يتحقق به ، ويغمره فتسرى قوة ذلك الحال في الثوب الذى يكون على الشيخ فيجدره في الحال ويكسوه ذلك المريد فيسرى فيه سريان الخمر في أعضائه فيغمره ، ويتم له الحال ، ولا عجب من أمر الله كما وقع لسيدنا يوسف عليه السلام مع أبيه يعقوب عليه السلام كما وقع للشيخ نجم الدين الكبرى مع بابا فرج التبريزى ، فذكر حكايته السابقة ، ثم قال : وهذا وإن كان عزيزا اليوم . لكن سيدنا على لكونه من أكابر الورثة الحمديين من الصحابة ، فلا ينبغي أن يشك في أنه من أهل هذا الشأن العلى ، والفيض السارى ، والحسن البصرى أيضاً لا يليق التوقف في كونه في ذلك الوقت من أهل الإرادة ، الاحقاء بهذا الإلباس الخاص فخير ذلك مسترسل ، ولكل منهم نصيب بقدره هـ .

فصل

فهذا سر إلباس الخرقة عند أول من استحسناها من الشيوخ العارفين ، لكنها (١٠ — البرهان الجلى)

لما اشتهرت بين المتأخرين من الصوفية والمتشبهين بهم ظن من ليس منهم أنها رواية لباس مجرد عن الشروط والأداب وسلوك طريق الوصول إلى الله تعالى ، خال عن السر والحكمة ، فتهافتوا على روايتها وصار يلبسها ويلبسها من ليس من أهلها ، وإن قلت من العمل والسلوك ، إلى السند والرواية ، وخربت من يد المشايخ العارفين وانتظمت في أثبات الراوين ومعاجم المحدثين ، فظن من لا علم له بأصولها وشروطها أن لبسها وروايتها واتصال السند المسلسل بها هي الغاية القصوى ، والنهاية العظمى منها . وهو خاطيء في ظنه ، كاذب في دعواه ، كإبن تيمية وابن خلدون . ولهذا لما رأى المشايخ العارفون أنه قد شاركهم في لبسها وإلباسها من ليس منهم ، قسموها إلى خرقة إرادة لأهل السلوك ، وخرقة تبرك لأهل الرواية ، والتبرك كما ذكره السهروردي في (العوارف) ومن جاء بعده من المصنفين في الخرقة والمتكلمين عليها في كتبهم .

فصل

ومما يؤيد شرف الخرقة وفضلها ، وأن المراد منها ما ذكره العارفون ، وكونها عتبة الدخول في طريق أهل الله مع ما يسرى من الشيوخ إلى المريدين بواسطتها من الحال الجاذب للبوطن إلى الحضرة الإلهية ، كون النبي صلى الله عليه وسلم ألبسها جماعة في المنام واليقظة أيضا ، منهم العارف الكبير أبو البيان بشاء بن محمد ابن محفوظ القرشي المتوفى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة الذي تنسب إليه الطريقة البينائية ، فقد ألبسه النبي صلى الله عليه وسلم الخرقة يقظة . وبقيت عنده مدة حياته وبعد وفاته . وكان الناس يزورونها ويتبركون بها كما رواه جماعة منهم الحافظ أبو الفتوح أحمد الطاوسي في كتابه (جمع الفرق لرفع الخرق) ومنهم العارف الكبير سيدي إبراهيم المتبولي ، وتلميذه سيدي علي الخواص ، وأبو المواهب الشناوى .

قال الصفي القشاشي : رأيت في بعض مجاميع شيخنا أبي المواهب قدس سره بخطه . قال : وأخذت عن عمي عبد الوهاب هو الشناوى والشيخ حسن الدنجيهى والشيخ أحمد بن قاسم ، عن سيدى على الخواص ، عن سيدى إبراهيم المتبولى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكيفية المعهودة بين القوم ، ولم يمت الخواص حتى أخذ ذلك ، ووصله إلى ذلك ، كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كان يصلى خمسين ألف صلاة كل يوم .

قال القشاشي : وقد ذكر شيخنا رضى الله عنه أنه لم يمت حتى أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كالمتبولى ، قلت : وقد ذكر هذا العارف الشعرانى فى كتابه (الأنوار القدسية فى بيان قواعد الصوفية) لما أورد سند التلقين فقال : ولى طريق آخر بيئى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقط ، وذلك أنى أخذت عن سيدى على الخواص وهو أخذ عن الشيخ سيدى إبراهيم المتبولى . وهو أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة بالكيفية المعلومة عند القوم ، فى عالم الروحانيات ثم إن سيدى عليا الخواص لم يمت حتى أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير واسطة ، كما أخذ سيدى إبراهيم المتبولى ه .

وقال : إلحافظ الصوفى أبو الحسن على بن يوسف الشطنوفى فى (بهجة الأسرار) أخبرنا قاضى القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله المقدسى قال : سمعت الأشياخ الثلاثة الشيخ العارف أبا الحسن على بن سليمان البغدادى ، المعروف بالخباز . والشيخ الصالح أبا زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصرى ، والشيخ العالم كمال الدين أبا الحسن محمد بن محمد بن وضاح الشهربانى . قالوا : سمعنا الشيخ الجليل أبا محمد على بن إدريس اليعقوبى ، يقول : سمعت شيخنا الشيخ القدوة على ابن الهيثم رضى الله عنه ، يقول سمعت شيخنا الشيخ القدوة تاج العارفين أبا الوفا رضى الله عنه ، يقول سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا محمد الشنبكى ، يقول : كان شيخنا الشيخ أبو بكر بن هوار رضى الله عنه ، شاطرا يقطع الطريق بالبطائح ، ومعه

رفقاء ، وكان مقدمهم ، وكانوا يجلسون على تلك المعابر يقتسمون أموال الناس ، فسمع ليلة امرأة تقول لزوجها أنزل ههنا لئلا يأخذنا ابن هوار وأصحابه ، فاعتظ وبكى ، وقال : الناس يخافوني وأنا لا أخاف الله تعالى ، وتاب في وقته ذلك ، وتاب أصحابه معه ، وانقطع مكانه متوجها إلى ربه عز وجل على قدم الصدق والإخلاص في إرادته ، فوقع عنده أن يسلم نفسه إلى من يوصله إلى ربه عز وجل ، ولم يكن بالعراق يومئذ شيخ مشهور من أهل الطريق ، فرآى في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه فقال له : يا رسول الله ألبسنى خرقة ، فقال له : يا ابن هوار ، أنا نبيك ، وهذا شيخك . وأشار إلى الصديق رضى الله عنه ، ثم قال : يا أبا بكر ألبس سميك ابن هوار كما أمرت ، فألبسه الصديق رضى الله عنه ثوبا وطاقيه وأمر يده على رأسه ومسح على ناصيته ، وقال : بارك الله فيك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر بك تحيا سن أهل الطريق من أمتى بالعراق بعد موتها ويقوم منا أرباب الحقائق من أحباب الله تعالى بعد دروسها ، وفيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة ، وقد هبت نسائم الله تعالى يظهورك ، وأرسلت نفحات الله بقيامك ، ثم استيقظ فوجد الثوب والطاقيه بعينهما عليه ، وكانت على رأسه ثوابيل فلم يرها ، وكأنه نودى فى الآفاق إن ابن هوار ، وصل إلى الله عز وجل . فهرع إليه الخلق من كل قطر ، وبدت علامات قربه من الله عز وجل الخ .

وقال أيضا فى ترجمة الشيخ على الهيمى وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصديق رضى الله عنه أبا بكر بن هوار رضى الله عنه فى النوم ، واستيقظ فوجدتهما عليه وهما ثوب وطاقية ، وأعطاهما ابن هوار لمريده الشيخ أبى محمد الشنبكى رضى الله عنه : وأعطاها الشنبكى لمريده تاج العارفين أبى الوفا ، رضى الله عنه ، وأعطاها تاج العارفين لمريده الشيخ على بن الهيمى رضى الله عنه ، وأعطاها ابن الهيمى لمريده الشيخ على بن إدريس رضى الله عنه ، فقدتا من بعده ه .

وذكر أيضا في ترجمة الشيخ على بن وهب السنجارى بسنده إليه أنه رأى أيام طلبه للعلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى النوم ، فقال لى : يا على قد أمرت أن ألبسك هذه الطاقية ، وأخرج من كفه طاقية ووضعها على رأسى قال : فاستيقظت والطاقية بعينها على رأسى ، وذكر حكاية طويلة فى رؤيته الخضر عليه السلام ، ثم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم رؤية الحق سبحانه وتعالى ، وأمره اياه بالإرشاد . فكان لبس الخرقة بداية الفتح .

وذكر بسنده عن الشيخ الجليل العارف أبى عبد الله محمد بن أحمد البلخى أحد أصحاب الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه : أنه وقع له مثل ذلك يقظة مع على بن أبى طالب عليه السلام ، وذلك فى أول ليلة من اجتماعه بمولانا عبد القادر رضى الله عنه ، وكان مع على عليه السلام بعض الملائكة ، فى قصة طويلة . وكم لهؤلاء من نظير ، لا سيما من لبسها من يد المشايخ العارفين بعد الانتقال ، بطريق المنام ، والاجتماع الروحانى فى اليقظة ، وكل ذلك مما يدل على اعتبارها وشرفها وبركة ما أودع من السر فيها .

فصل

أما حديث الخرقة الذى يروونه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه نزل بها من الجنة ليلة المعراج بعدما لبسها من يد جبريل عليه السلام ، فباطل موضوع^(١) . وإن ذكره بعض الصوفية وصححه كابن عراق ، فإنه قال فى رسالته فى الخرقة : وليعلم أنه لا شك أن اليد كانت فيما بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم إلى زمن

(١) وكذلك ما يقال له : أن صلاة الفاتح نزلت فى ورقة خضراء من الجنة تحت وسادة أحمد التيجانى ، كذب سخيف وصلاة الفاتح من إنشاء البكرى كما هو معلوم .

سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد ، يد عهد ولبس وتحكيم ، وصحة وأدب ، خلافا لما ذهب إليه جماعة من المتفقهة ، فإنهم يزعمون أنه لم يكن إلا مجرد الصحبة دون ما ذكر أين هم عما رواه الإمام العلامة قدرة العلماء العاملين ولسان العارفين مربى المريدين ومرشد السالكين أبو السرى أحمد بن القاضى الكبير أبى بكر محمد البكرى القرشى فى كتاب (تلخيص القواعد الوفية فى أصل حكم خرقه الصوفية) قال : رحمه الله هذا الاعتراض وهم من قوم ، وقلة علم من آخرين ، بل الصحيح المعروف عند الجلم الغفبر المتضلعين من متفرقات العلوم والأخبار ، المطلعين على غوامض الأسرار ، أنه لبس محقق متصل لانزاع فيه ، وقد صح أن جبريل ألبس النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو عليه الصلاة والسلام ألبس جمعا من الصحابة رضى الله عنهم ، كأبى بكر وعمر وعلى وبلال وعمار وصهيب وحذيفة وعائشة ، وحفصة وسودة وأم خالد وغيرهم ، فأما لبسه صلى الله عليه وآله وسلم من جبريل ، فرواه الإمام العلامة أبو السرى أحمد المشار إليه ، بسنده المتصل بالحافظ الإمام الحجة أبى طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى الأصفهانى ، قال : أخبرنى الشيخ فلان عن فلان بأسانيد صحيحة متصلة إلى الإمام أحمد بن حنبل قال : أخبرنا الإمام موسى الكاظم ، قال : أخبرنا أبى جعفر الصادق ، قال : أخبرنا الإمام محمد الباقر ، قال : أخبرنا الإمام على زين العابدين ، قال : أخبرنا الإمام الحسين ابن على ، قال : أخبرنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما عرج بى إلى السماء السابعة أمسك جبريل ييدى بعد المناجاة وأدخلنى الجنة فرأيت فيها قصرا من ياقوتة حمراء ، فيه صندوق من نور علمه قفل من نور فقلت : يا أخى جبريل ما فى هذا الصندوق ؟ فقال : نفرك وفخر أمتك من بعدك إلى يوم القيامة ، ثم فتح الصندوق وأخرج منه خرقه الفقر وأبسنيها ، وقال : يا حبيب رب العالمين يا محمد قد أمرنى الحق سبحانه وتعالى أن ألبسها لك) قال الإمام رضى الله عنه ، فلما جال بها النبى صلى

الله عليه وسلم في الجنة قال الفقر فخري وبه افتخر وفي رواية (فخري وفخر أمتي من بعدى) .

قلت : وكل هذا باطل لا أصل له ، وإن بالغ في إثباته هذا العارف رضى الله عنه ، ومن نقل عنه تصحيحه أيضاً وهو أبو العباس الرداد صاحب كتاب (تلخيص القواعد الوفية) ويحسن أن أذكر هنا ما قاله ابن حجر الهيتمي في (فهرسته) إذ اختصر فيها رسالة الخرقه المذكورة لأبن عراق ، وقال : قبل إيراد الرسالة مانصه : لى فى لبس الخرقه وإرخاء العذبة وتلقين الذكر طرق أخرى تلقيتها عن الشيخ العارف قطب الوقت محمد بن عراق رضى الله عنه المهاجر إلى المدينة الشريفة ، فجاور فيها مدة مديدة على أكمل أحوال القوم ، وتوفى بمكة سنة ائنتين وثلاثين وتسعمائة ، وقد أجمع أهل عصره على أنه لم يكن فى عصره ولا قبله بأزمان ولا بعده من يدانيه فضلاً عن أن يساويه ، فى كونه ملزماً على السنة وآدابها وكالاتها وأحوالها الباهرة . وعلى أنه لو كان فى زمن أبى القاسم القشيري لذكره من جملة رجال رسالته ، وعلى أنه وصل من الورع والزهد والإرشاد والتربية وكرم الأخلاق وكثرة الكرامات إلى ما لم يصل إليه أحد من أهل عصره ، وهو وإن لم ألقه لسكن شيخنا الإمام العالم الصالح الشيخ محمد الخطاب الكبير أخذ عنه جميع مروياته ومجازاته ، ونحن أخذنا ذلك عن شيخنا المذكور ، وله أعنى العارف ابن عراق كتاب مؤلف (فى لبس الخرقه) وما ذكر معه ذكر فيه لها خمس طرق بأسانيده المشتملة على كثير مما لا يراه أئمة الحديث ، وسننبه على بعضه ، وإنما ذكرناها مع ذلك تبركاً بالقوم ، لا سيما على رأى من يقول الإلهام حجة ، فأهل الطريق والجمع المعتبرون منهم . إذا أطبقوا على شىء فغير بعيد أن يكون من جملة ما ألهموه ، فيكون حقاً فى باطن الأمر ، وإن كان علماء الظاهر لا يقيمون له وزناً . ثم لما وصل ابن حجر فى التلخيص إلى هذا الموضع . قال عقبه : هكذا ساق الشيخ هذه العضلات كما ذكر وكان الأولى به

بل المتعين عليه ترك هذا كله ، فإنه من أقبح الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أجمعوا على أن تهمد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر ، بل بالغ الإمام الجليل والد إمام الحرمين أبو محمد الجويني فقال : إنه كفر يخرج به الإنسان من الإسلام إلى الكفر ، فتفتن لذلك . ثم قال ابن حجر قال : الشيخ يعني ابن عراق تفريعاً على ذلك الحديث الموضوع الذي التبس عليه حكمه ، حتى ظنه صحيحاً ، وحتى غلط بعض الفقهاء الذين أنكروه ، كل ذلك لعدم معرفته بفن الحديث ، فلما كان الحال كما ذكر ، لبس الخرق سادات القوم من أيدي سادات التابعين ، كأويس القرني ، والحسن البصري ، وأجل قصدهم التزيين بزى أهل السنة ، والحرص على الاتصال بمن أخذت عنه ه .

قلت : ومن عدم معرفته بالحديث كونه أورد الحديث بدون إسناد مع قوله عن السلفي أنه قال : حدثنا فلان عن فلان ، ولو كان له إلمام بالحق لأورده بسنده حتى يبرأ من عهده ، ويعرف الناظر فيه مرتبته من معرفة حال رجاله .

وقد أورده السيد شيخ ابن عبد الله العيدروس في كتابه (في التصوف) مسنداً من جهة الرداد صاحب تلخيص القواعد الوافية .

قال : السيد شيخ : أخبرنا شيخنا الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد أبو الفضل ، أخبرنا شيخنا القاضي العلامة جمال الدين محمد بن مسعود الأنصاري ، أخبرنا الشيخ القاضي الإمام جمال الدين محمد بن سعيد المعروف بابن كثير القرشي ، أخبرنا الولي الصالح العلامة شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد الصوفي الصديقي ، أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر المقرئ بإجازة ، أخبرني الشيخان الأكران الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي الخير بن منصور الشماخي ، وتقي الدين عمر بن علي ابن عبد الله بن محمد بن أبي الخير الشعبي ، قالوا : أخبرنا القاضي الكبير فخر الدين إسحاق بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي سماعاً عليه للشعبي ،

وإجازة للشماخي ، قال الرداد : وأخبرني الصالح جمال الدين محمد بن عمر الحاجر قراءة منى عليه بالمدرسة الغربية بزيد ، وأجازني عن القاضيين الإمامين العالمين برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي ، وموفق الدين علي بن أبي بكر بن شداد المقرئ ، عن أبي الخير الشماخي وابن أبي الخير الشعبي ، عن القاضي فخر الدين ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام القدوة سلطان أهل الحقيقة والشرعية فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد أبي الفوارس الخيري الفارسي ، قال : أخبرنا الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي ، الأصبهاني . قال : أخبرني أبو الحسن المقرئ ، قال : أخبرنا البقال ، قال : أخبرنا القاضي السعيد أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ، قال : أخبرنا الإمام موسى الكاظم ، فذكر بسنده السابق وهو سند مجهول من فوق السلفي إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وفيه انقطاع .

وقد نص جمع من الحفاظ على بطلان حديث (الفقر فخري وبه افتخر) .

فصل

الوجه الرابع : أن الخرقة تروى أيضاً من جهة أبي بكر رضى الله عنه ، وإن كانت روايتها من جهته نادرة ، فما قاله ابن تيمية في روايتها عن عليّ ، فهو بعينه وارد في روايتها عن أبي بكر ، فإن كان المراد بها الأحوال العرفانية ، وحقائق القلوب ، فهما في ذلك أعني عليّاً وأبا بكر رضى الله عنهما سواء ، وإن كان المراد بها مجرد لباس الأبدان فهما أيضاً فيه سواء ، والحديث الذي ذكره ابن تيمية شامل لهما معاً ، فإن الخرقة الطيفية الشامية المنسوبة إلى الشيخ طيفور الشامي ، وهي المعروفة بالهند بالمدارية ، ويقال الشاهمدارية نسبة إلى شاه مدار ، أحد رجالها ، ويقال لها الصديقية ، تروى من طريق الشيخ محمد علاء الدين فاضل الشاه مداري ، عن حسام الدين الشاه مداري ، عن الشيخ بدیع الدين الشامدار الذي تنسب إليه

الطريق ، عن الشيخ طيفور الشامى الذى تنسب إليه أيضاً عن يمين الدين الشامى عن الشيخ عبد الله حامل راية النبى صلى الله عليه وسلم ، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . هكذا ذكره جماعة تبعاً للغوث فى (كتابه الدرجات) ولا يخفى ما فيه ، قال العجيمى : ولا يبعد أن يكون بعضهم أخذ بالروحانية عن بعض ، فيكون متصلاً .

قلت : الطرق التى تروى من جهة أبى بكر رضى الله عنه كلها منقطعة من جهة الظاهر ، وإنما تروى من جهة الاجتماع الروحانى .

فإن الطريقة المشهورة التى تروى من جهته رضى الله عنه هى النقشبندية ، وهى منقطعة الإسناد فى موضعين من جهة الظاهر ، متصلة فيهما من جهة الأخذ الروحانى ، وفى موضع ثالث من جهتهما معاً ، فإن بهاء الدين محمد بن محمد البخارى المعروف بنقشبند ، أخذ عن الشيخ أمير كلال ، عن الخواجة محمد بابا السامى ، عن الخواجة على الراميتى ، عن الخواجة الأنجير فغنوى ، عن الخواجة عارف اليرى كرى عن الخواجة عبد الخالق العجدوانى ، عن الخواجة يوسف الهمدانى ، عن أبى على الفارمدى ، عن أبى القاسم السكركانى الطوسى ، عن أبى الحسن الخرقانى ، وهو من روحانية أبى يزيد البسطاسى ، وهو من روحانية الإمام جعفر الصادق ، وهو من القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق : وهو من سلمان الفارسى ، وهو من أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفى أخذ القاسم بن محمد عن سلمان الفارسى رضى الله عنه انقطاع لا يمكن اتصاله لا من جهة الظاهر ، ولا من جهة الاجتماع الروحانى ، لأنه عند وفاة سلمان الفارسى كان القاسم صغيراً ابن سنتين أو ثلاث ، لا يتصور منه الأخذ من الجهتين ، فلذلك قال الأئمة من أهل الطريق إن سند الطريقة النقشبندية راجع أيضاً إلى على عليه السلام ، لأن انتفاضة جعفر الصادق الحققة إنما هى عن والده عن أجداده إلى على عليه السلام .

وأما الطريقة الصديقية فإنها روحانية محضة ، وغالباً من تلقاها عن أبي بكر
رضي الله عنه ، في القرن الرابع والخامس وما بعدها كأبي بكر بن هوارى ،
وأبي عبد الله الهزميرى ، وغيرهما .

وذكر صاحب (المنح البادية في الطريقة الملامتية) سنداً متصلاً بأبي بكر
الصديق رضي الله عنه من جهة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، إلا أنه من
جهة أهل الظاهر ، ثم هو مع ذلك لا يصح ، فإنه أوردته من طريق المرائى ، عن
القطب إسماعيل الجبرتي ، عن جمال الدين محمد بن أبي بكر الضجاعي ، عن البرهان
إبراهيم بن عمر العلوى ، عن تقي الدين عمر بن علي الشعبي ، عن أحمد بن موسى
الحموى ، عن أبي اليمن بن عساكر ، عن تقي الدين أبي عمر بن الصلاح ، عن
أبي الحسن المؤيد بن محمد الطوسى ، عن أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد ،
عن جده أبي القاسم القشيري ، عن أبي عبد الرحمن السامى محمد بن الحسين الصوفى ،
عن محمد بن حمدون بن مالك البغدادي ، عن الحسن بن أحمد بن المبارك عن
أحمد بن صبيح الفيومى ، عن ذى النون واسمه ثوبان بن إبراهيم المصرى ، عن
الفضيل بن عياض ، عن محمد بن حية ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن جابر بن
عبد الله الأنصارى ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو سند باطل مركب
ملفوق من فوق أبي القاسم القشيري ، فقد ذكره ابن الصلاح نفسه على خلاف هذا ،
فقال : ولى فى الخرقه إسناد عال جداً . ألبسنى الخرقه أبو الحسن المؤيد ابن محمد
الطوسى ، قال : أخذت الخرقه من أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن
أبي القاسم القشيري ، قال : أخذت الخرقه من جدى الإمام أبي القاسم ، وهو
أخذها من أبي على الدقاق . وهو أخذها من أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن حمويه
النصراباذى . وهو أخذها من أبي بكر الشبلى . وهو أخذها من الجنيد ، وهو
أخذها من المرى السقطى . وهو أخذها من معروف الكرخى . وهو أخذها

من داود الطائى . وهو أخذها من حبيب العجمى . وهو أخذها من الحسن البصرى . وهو أخذها من على بن أبى طالب رضى الله عنه . وهو أخذها من النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما أورد هذا السند الحافظ السيوطى فى (زاد المسير) قال : بعده وأخبرنى بهذا الطريق العالى محمد بن مقبل . إجازة عن الصلاح ابن أبى عمر عن الفخر ابن البخارى . عن المؤيد الطوسى به اهـ .

وأيضاً من ابن لابن الصلاح والمؤيد الطوسى وأمثالها من المذكورين فى السند . أخذ طريق الملامتية ، بل ولا الطريق من أصلها . لولا قصدهم التبرك بأخذ الخرقه كما صرح به ابن الصلاح . فقال عقب ذكره للسند المتقدم : وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقه ليس متصلاً إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث فى الأسانيد ، فإن المراد ما يحصل من البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادة الصالحين اهـ .

وذكر الساحلى فى (البغية) سند طريقته متصلاً بأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال : أما والدى وهو أبو عبد الله الساحلى فصحب شيخه أبا القاسم المريد وصحب أبو القاسم المريد شيخه أبا على الحرار ، وصحباً معاً شيخهما أبا عمران البرادعى ، وصحب أبو عمران شيخه أبا عبد الله التاودى ، وصحب التاودى شيخه أبا الحسن بن حرزهم ، وصحب أبو الحسن عمه أبا محمد بن حرزهم ، وشيخه أبا بكر بن العربى ، وصحب أبو محمد شيخه وجيه الدين ، وصحب وجيه الدين والده محمد بن عمويه ، وصحب محمد والده عمويه ، وشيخه أبا العباس الدينورى ، وصحب عمويه والده سعداً ، وصحب سعد والده الحسين ، وصحب الحسين والده القاسم ، وصحب القاسم والده النضر ، وصحب النضر والده القاسم ، وصحب القاسم والده محمد ، وصحب محمد والده عبد الله ، وصحب عبد الله والده عبد الرحمن ، وصحب عبد الرحمن والده القاسم ، وصحب القاسم والده أبا بكر

الصديق ، وصاحب أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر السند الثانى من طريق الجنيد ، عن السرى ، عن معروف ، بسنديه . ثم تكلم على رجاله بالاختصار . وقال فى ترجمة أبى محمد بن حرزهم : ووقع عندى إشكال فى أخذه عن وجيه الدين ، أو عن ابن أخيه ضياء الدين أبى النجيب عبد القاهر بن عبد الله والأقوى عندى أنه إنما أخذه عن وجيه الدين ، لقرائن قامت عندى مقام التحقيق ، لكنى أبرأ من عهدته ، وبالله التوفيق .

قال : وأما الشيخ وجيه الدين فهو عمر بن محمد بن عمويه أبو حفص السهروردى القرشى البكرى النيمى ، وايس بأبى حفص عمر بن محمد شهاب الدين صاحب (عوارف المعارف) إنما هو عم عمه ضياء الدين أبى النجيب عبد القاهر ابن عبد الله المذكور ، شيخ الشيوخ ، إمام التربية أخذ عن عمه وجيه الدين وعلى يديه سلك ، وشهاب الدين صاحب العوارف الواعظ أخذ عن عمه ضياء الدين أبى النجيب المذكور ، وعلى يديه سلك ه .

وذكر هذا السند صاحب (المنح البادية) فى الطريقة السهروردية — ببعض اختلاف . وذكره أبو عيسى الفاسى فى تحفة (أهل الصديقة) نقلا عن (بغية السالك) لاساحلى كما نقلناه ، ثم قال : وما تقدم فى عمود نسب عبد الله عمويه ، هو الذى فى بغية السالك وغيره ، والذى فى ابن خلكان غير ذلك ، وهو أن عبد الله عمويه بن سعد بن الحسين بن القاسم بن علقمة بن النضر بن معاذ بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ثم قال : وقال محب الدين بن النجار فى تاريخ بغداد نقلت نسب الشيخ أبى النجيب من خطه ، وهو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه ، واسمه عبد الله بن سعد بن الحسين القاسم بن النضر بن سعد بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وإذا كان بخطه هكذا ، فهو أصح مما ذكرته فليعتمد عليه هـ . والذي في ابن خلكان في نسب الحافظ أبي الفرج بن الجوزي موافق لما في (بغية السالك) في نسب عمويه ، وهو : أنه جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن على ابن محمد بن علي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن القاسم بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . فابن الجوزي والشيخ وجيه الدين وأخوه والد الشيخ ضياء الدين وهو جد صاحب العوارف شهاب الدين في مرتبة واحدة ، يلتقي ابن الجوزي معهم في القاسم بن النضر ، وبينهم وبين القاسم المذكور أربعة آباء هـ .

وأنا لست على يقين من اتصال الخرقه والصحبة والتأدب في الطريق بهذا العمود ، ولم يذكره فروع الطريقة السهروردية وليس هو مشهوراً بل ولا معروفاً بينهم ، فلا أدري مستند الساحلي فيه والله أعلم .
والمقصود إثبات وجود رواية الخرقه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن ما يقوله ابن تيمية في خرقه علي عليه السلام ، هو وارد عاينه في خرقه أبي بكر رضي الله عنه .

فصل

وقول ابن تيمية : ويقال ثانياً الخرق متعددة أشهرها خرقتان خرقه إلى عمر وخرقة إلى علي ، فخرقة عمر لها إسنادان إسناد إلى أويس القرني ، وإسناد إلى أبو مسلم الخولاني ، وأما الخرقه المنسوبة إلى علي ، فإسنادها إلى الحسن البصري إلخ جوابه هن وجوه : الوجه الأول أن الخرقه التي تروى عن عمر رضي الله عنه إنما تروى من طريق أويس القرني ، وهو لبسها من عمر وعلي معاً ، لا من عمر وحده . وأما طريق أبو مسلم الخولاني فهو لقاء مجرد ، لا خرقه فيه ، مع انقطاع سنده أيضاً . فعاد الأمر فيها إلى علي عليه السلام ، وشاركه عمر رضي الله عنه في

روايتها ولملباسها وفيما يريد ابن تيمية أن يحط به من شأنها وهو كونها لباساً مجرداً لا فضل فيه ، فتعرضه لذكر الخرقه التي تروى عن عمر رضى الله عنه لا يفيد المطلب من إخراجها عن دائرة علىّ وسلب المزية بها عنه عليه السلام ، فقد اففق كل من ذكرها من طريق أويس على أنه لبسها من عمر وعلىّ معاً رضى الله عنهما .

قال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضى الله عنه في رسالة نسب الخرقه ولبستها أيضاً من يد أبى عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي القاسي ، ومن يد تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أبى التوزري وقالوا لي إنهما لبساها من يد أبى الفتح محمد بن أحمد بن محمود الحمودى ، ولبسها الحمودى من يد أبى الحسن علي بن محمد البصرى ، ولبس البصرى من يد أبى الفتح ابن شيخ الشيوخ ولبس أبو الفتح من يد أبى النخشبى وصحب أبا تراب إسحاق بن شهریار المرشد ، ولبس المرشد من يد حسن أو حسين الأكار ، ولبس الأكار من يد أبى عبد الله بن خفيف ، وابن خفيف صاحب جعفر الحذاء ، وصحب الحذاء شيخه أبا عمرو الاصطخرى ، وصحب أبو عمرو شيخه أبا تراب شيخه شقيق البلخي ، وصحب شقيق إبراهيم بن أدهم ، وصحب إبراهيم موسى بن زيد الراعى ، وصحب الراعى أويس القرنى ، وصحب أويس عمر بن الخطاب وعلىّ ابن أبى طالب ، وصحب عمر وعلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخذنا عنه وتأدبا بأدبه . اهـ .

وقال الصفي القشاشي في (السمط الجيد) لبست الخرقه من يد شيخنا أبى المواهب أحمد بن على القرشى العباسى الشناوى قدس سره ، وهو لبسها من والد على بن عبد القدوس . وهو من الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى ، وهو من يد شيخ الإسلام القاضى زين الدين أبى يحيى زكريا الأنصارى وأرخى له العذبة ، وذلك في محرم الحرام سنة أربع عشرة وتسعمائة ، وهو لبسها من الشيخ

شهاب الدين أحمد بن الفقيه على بن محمد الدمياطى ، الشهير بالزلبانى وهو من الشيخ زين الدين أبى بكر بن محمد الخوافى وهو من الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام القرشى الشيريسى ، ثم القاهرى ، وهو من الشيخ ابن الحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله السكورانى العجمى ، وهو من الفقيه حسن الشمشيرى ، والشيخ نجم الدين محمود بن سعد الله الأصفهانى ، بلباس أولها عن ثانيهما ، وكذا عن الشيخ بدر الدين محمود الطوسى ، وهما لبسا من الشيخ نور الدين عبد الصمد الطنزى ، وهو من الشيخ نجيب الدين على بن برغش الشيرازى ، وهو من الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى ، وهو من عمه الشيخ ضياء الدين أبى النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردى ، وهو من عمه الشيخ وجيه الدين عمر بن محمد المعروف بعمويه السهروردى ، وهو من والده الشيخ المعمر محمد بن عمويه عبد الله بن سعيد السهروردى ، ومن الشيخ أخى فرج الزنجانى ، كلاهما يد أحدهما مشاركة اليد الآخر ، فأما عمويه فمن الشيخ أحمد الأسود الدينورى ، وهو من الشيخ حمشاد على الدينورى ، وأما فرج الزنجانى فمن الشيخ أبى العباس النهاوندى ، وهو من شيخ مشايخ وقته أبى عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى ، وهو من الشيخ أبى محمد رويم بن أحمد البغدادى ، وهما أى حمشاد ورويم لبسا من سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد ، وهو من جعفر الحذاء ، وهو من أبى عمرو الاصطخرى ، وهو من أبى تراب عسكر بن الحصين النخشبى ، وهو من أبى على شقيق بن على بن إبراهيم البلخى ، وهو من أبى إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي ، وقيل التميمى البلخى ، وهو من موسى بن زيد الراعى ، وهو من أبى عمرو أويس ابن عامر القرنى ، وهو من عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وقدس أسرارهم أجمعين اه .

ورواها الفخر محمد بن إبراهيم الفارسى العارف الصوفى الحداثى فى كتابه

في التصوف ، عن والده عن نصر بن خليفة البيضاوى ، عن إبراهيم بن شهر يار ، عن أبي علي الحسين بن محمد الأكار ، بسنده السابق عند الشيخ الأكبر ، وفيه أن عمر رضى الله عنه ألبس أويسا القرنى قميصه بعرفات بحضور علي عليه السلام ، وأن علياً ألبسه رداءه حينئذ ، ثم ألبسه قميصه بصفين ، وهما لبسا من النبي صلى الله عليه وسلم .

(الوجه الثانى) : أن جزمه بسند خرقة عمر مع الطعن في سند خرقة علي ، يفيد أن سندها عن عمر صحيح ثابت ، بخلاف سندها عن علي ، وأن ذلك هو رأيها فيها ، وهو تدليس منه وتلميس ، فإن سند خرقة عمر رضى الله عنه متكلم فيه ، وقد صرح ابن تيمية نفسه بأنه منقطع .

قال البرزلى في (جامع نوازه) قال ابن تيمية ، وقد تسكلم على لباس الخرقة : أنه يحتاج إلى أصل من الأثر يعتمد عليه ، فيخرجه من البدعة ، أو من مقاطع الاجتهاد والرأى ، فإنه منقطع الإسناد ، فإن له إسنادين . أحدهما الإسناد المتصل بأويس عن عمر بن الخطاب ، وإسناد الحسن عن علي معلوم عند أهل العلم ، وهو أشهر من الأول ، فأحد طرقه طريق الشيخ عبد القادر عن أبي السعادات الحربى فذكره إلى معروف ، عن داود الطائى ، عن حبيب العجمى ، عن الحسن البصرى عن علي بن أبي طالب ، قال ونقله معروف أيضاً عن علي بن موسى الرضى ، والرضى عن أبيه ، فذكره ثم قال ومن طريق آخر إلى جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : فأما السند إلى معروف فمتصل ، فإن الأشياخ لقي بعضهم بعضاً . وانتفع به ، ومن بعد معروف منقطع ، إذ لا تعرف له صحبة عن داود الطائى ، ولا لعلي بن موسى الرضى ، وصحبة معروف معروفة لبكر بن حنيس ، وعنه يروى أحاديث الزهد ، وما يرويه غير أهل العلم والمعرفة فالخطأ فيه كثير ، (١١ — البرهان الجلى)

وإن كانوا ذوى فضل وصلاح ، ثم قال وصحبة داود الحبيب العجمي فيها نظر ، وأما صحبة الحسن لعلى فباطلة بانفاق أهل العلم بهذا الشأن ، ولم يختلفوا في عدم اجتماع الحسن بعلى ، والأثر المروى أن عليا دخل المسجد وسأله ما صلاح الدين ؟ قال : الورع ، قال : ما فساد ؟ قال : الطمع ، فأقره في المسجد ، فهذا الأثر كذب . ثم ذكر غير هذا من وجوه عدم لقائه له ، وأنه ولد بالمدينة لسنيتين بقيتا من خلافة عمر ابن الخطاب . ونشأ بها إلى قتل عثمان ، ورأى عثمان على المنبر ، فحمل إلى البصرة وعلى إذ ذاك بالكوفة والحسن في سن الاحتلام ، وإنما أخذ عن كان بالبصرة مثل عمران بن حصين وسمرة بن جندب وابن سمرة^(١) وغيرهم من متوسطي الصحابة ، وقد جمع الحافظ ابن عبد الواحد المقدسي مصنفًا فيمن لقيه الحسن من الصحابة ، وجمع أبو الفرج بن الجوزي في مناقب الحسن ، كما جمع في عمر بن الخطاب وابن عبد العزيز وغيرهم . وإسناد أويس أكثر انقطاعا . وأما إسناد جابر ففي غاية الانقطاع .

لكن هؤلاء المشايخ الذين رووا الخرقه أعلام ، كلهم لقي أشياء غير هؤلاء والمعول عليه إنما هو التواصي على البر والتقوى ، ومن شهد له بالخير ، لقوله صلى الله عليه وسلم أنتم شهداء الله في أرضه^(٢) الحديث ه .

ثم تعقبه البرزلى على ذلك بلسان الفقهاء ، لا بلسان أهل العلم والنظر . فمذلك تركت نقل كلام ، والمقصود إعتراف ابن تيمية بأن سند أويس منقطع ، وكأنه قال ذلك في كلام له في ابطال الخرقه . أو جواب من سأله عن سندها . فمذلك تكلم بكل ما يعتقده فيها بخلاف كلامه هنا ، فإن الغرض منه نفي الفضيلة

(١) هو عبد الرحمن بن سمرة ، وهو غير سمرة بن جندب الذى قبله .

(٢) هو في الصحيحين في قصة البناء على ميت بخير ، وعلى آخر بشر .

عن عليّ ، وسلب مزاياه وإثباتها لغيره ، كما هو معروف من حالة ابن تيمية فإنه لا يتكلم بالعلم والإنصاف ساعة الرد والمناظرة أصلاً ، بل يكون جل قصده إثبات دعواه ، والإنحصار على الخصم بأي سبيل ولو بطريق الكذب والتدليس والتزوير والتلبيس . ولذلك كثير الإضطراب في أقواله ، والتناقض في أنقاله ، فتارة يحزم ببطلان حديث ، ونفي وروده أصلاً ، وتارة يصرح بوجوده ، ويذكر مخرجه ، وربما سكّت عنه ، موهاً ثبوته إذا كان الغرض في ذلك . وتارة يحكي الإفتاق على مسألة ، وأحياناً يحكي فيها الخلاف ، ويؤيد قول المخالف وينصره . فالرجل ديدنه نصره رأيه وهواه ، لا غرض له إلا ذلك ، فلذلك لم ينفع الله تعالى بكتبه وعلمه ، بل جعلها وبالاعليه ، فكسب من الخلوقات بسبب النظر فيها ، والاعتثار بمؤلفها ، لا ببارك الله فيه ، ولا في كتبه^(١) وأنصاره .

وقال عليّ القاري في (موضوعاته) لما تكلم على الخرقه ونقل كلام

(١) إلا كتاب « الصارم المسلول على شأن الرسول » — صلى الله تعالى عليه وآله وسلم — ، و « كتاب اقتضاء الصراط المستقيم » فقد اعتدل فيهما كثيراً ، بل لم يؤلف في الحقيقة غيرهما على كثرة ما أنف . ولما أعيد طبع الكتاب الثاني في مطبعة أنصار السنة ، حرقوا فيه بعض العبارات ، وجدوها صريحة في مخالفتهم ، وموافقة جماعة المسلمين ، ومثل هذا حصل في كتاب « أهوال القبور » للحافظ ابن رجب . فقد طبع بمكة المكرمة ، وحذف منه القائمون على طبعه جملة أيديها المؤلف رحمه الله حديث عرض أعمال الأمة على نبيها صلى الله عليه وآله وسلم .

ومثل هذا وذلك ما حصل في تفسير « البحر المحيط » عند طبعه ، فإن مؤلفه أبا حيان عرض فيه لابن تيمية ، وذمه وذم بدعته ، حذف المشرف على تصحيحه بمطبعة السعادة ذلك الكلام من أصله ، ولم يترك له في التفسير أثراً يدل عليه . فماذا أعد الله لهؤلاء الخائنين لآمانة العلم ؟ الجانين على كتبهم ؟ إنه سبحانه المنفرد بعلم ذلك ، والحجازي كل نفس بما كسبت هنالك ، و « كل امرئ بما كسب رهين » ، =

السخاوى فيها ، ما نصه : وكذا نسبة التلقين المتعارف بين الصوفية ، لا أصل له . وكذا نسبة المصاحفة المتصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليس له أصل عند العلماء الأعلام ، وكذا نسبة الخرقه إلى أويس وأنه عليه السلام أوصى بخرقته لأويس وأن عمر وعليا سداها إليه ، وأنها وصلت إليهم منه فغير ثابت ، ولو ذكره بعض المشايخ فالمدار على طريق الصحبة ، ومتابعة الكتاب والسنة ، ومجانبة الهوى ، ومقاربة الهدى ، والمقاومة للتقوى ، ه .

وقال : أيضا في (المعدن العدنى في فضائل أويس القرنى) وأعلم أن ما إشتهر على السنة العامة من أن أويسا قلع جميع أسنانه لشدة أحزانه ، حين سمع أن النبي صلى الله عليه وسلم أصيب يوم أحد ، ولم يعرف خصوص أى سن كان بوجه

كما فعل فى مسألة المطلقة ثلاثا بلفظ واحد . فإن الصحابة أجمعوا على قول عمر : لا تحل لزوجها حتى تنسكح زوجها غيره ، وأخذ به الأئمة لأحاديث وردت به أيضاً ، ولكن ابن تيمية لم يعترف بهذا الاتفاق ، واعتبرها تظليقة واحدة ورد عليه التقي السبكي وغيره ، وأعجب من هذا فى تمسكه برأيه وإن خالف الحق والواقع . أن ابن حزم عقد فى كتابه « مراتب الاجماع » بابا للاجماع الذى يكفر مخالفه بإجماع ، وصدده بحكاية الاجماع على أن ما سوى الله مخلوق ، فنكتب ابن تيمية يناقشه فى هذا الإجماع الذى يدرك بالبدهة ، ونفى أن يكون ورد عن الصحابة تصريح — بحدوث ما سوى الله تعالى . وحاور وداور ، ولكنه هاب أن يصرح برأيه الذى أنكر لاجله الاجماع المذكور ، وهو : أن العالم قديم بالنوع ، وهذا من مستشنع المسائل المنسوبة إليه كما قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، بل بلغت به الجرأة فى الانتصار لهذا الرأى الشنيع أنه ادعى — فى حديث البخارى « كان الله ولم يكن شئ غيره » وفى رواية « ولم يكن شئ معه » أنه من تصرف الرواة ، وأن أصل الحديث « كان الله ولم يكن شئ قبله » لأنه يعتقد أن الله لم يكن شئ قبله ، ولكن لا يعتقد أنه لم يكن شئ معه ، فلماذا أنكر الاجماع والحديث ، انظر كتاب مراتب الاجماع ، وباب وكان عرشه على الماء فى كتاب التوحيد من فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، وكلاهما مطبوع .

مستعمل فلا أصل له عند العلماء ، مع أنه مخالف للشريعة الفراء ، ولذا لم يفعله أحد من الصحابة الكبراء ، على أن فعله هذا عبث لا يصدر إلا عن السفهاء ، وكذا لا يثبت نسبة الخرقه الثبوية إليه ، ومنه إلى بعض المشايخ بما لا يعتمد عليه ه .

قلت : يشير بوصاية النبي صلى الله عليه وسلم بالخرقة إلى أويس ، وإلباس عمر وعلى إياه بأمره صلى الله عليه وسلم ، إلى ما ذكره أبو الفتوح الطاوسي في رسالته (جمع الفرق لرفع الخرق) أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عمر وعلياً رضي الله عنهما بلبقاء ، أويس والتبرك بدعائه ، وتبليغ السلام منه إليه ، وأعطاهما خرقه ليلبساها إياه ، فوافياه بوادي أراك ، بعرفات ، وتقربا إليه وألبساه إياها وهذا باطل جزماً .

وقال الحافظ في اللسان : موسى بن زيد الراعي أبو عمران الديلمي . نزيل بلخ لم أجد له ذكراً ، وأظن أن بعض من في إسناد خبره اختلقه ، فإنه أسندت عنه خرقه التصوف ، فزعم أو من اختلقه . أن أوبسا القرنى ألبسه الخرقه لما قدم بلاد الديلم ، ومات بها ، وأن عمر ألبسه قميصه بعرفات بحضور عليّ ، وأن علياً ألبسه رداءه ، ثم ألبسه قميصه بصفين ، وهما لبسا من النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره الفاخر الفارسي وهو محمد بن إبراهيم عن أبيه عن نصر بن خليفة البضاوي عن إبراهيم بن شهریار عن أبي محمد الحسين الأكار الشيرازي ، ووقع في اللسان الأبار بالباء ، والصواب الأكار كما تقدم ، عن محمد بن خفيف ، عن أبي عمرو الأصطخري عن أبي تراب النخشي عن أبي عمران المذكور ، وفي السياق أن كلا من هؤلاء ألبس الذي دونه وهذا خبر باطل مشوش ، وأويس قتل بصفين كما ذكرته في ترجمته ، وقيل مات قبل ذلك فالله اعلم .

ومن اطرف ما يذكر هنا واغربه ان بعض فضلاء الهند المتأخرين نقل كلام الحافظ المذكور ، ثم تعقبه بقوله ، قد اختلف في زمان موته يعني اويسا ومحلّه على

أقوال متباينة ، فإن ثبت موته كما قال الحافظ ، فهو لا محالة مات مرة في موضع ، ثم حي في آخر ، ثم مات ، ثم حي ، ولا يشك فيه من يؤمن بكرامات الأولياء وقد تكلم الربيع بن حراش^(١) بعد موته وكذا أخوه ربیع كما ذكره ابن حبان في الثقات ، وأخوه مسعود كما رواه المديني . وزيد بن خازجة الأنصاري . كما رواه جماعات ولا بن أبي الدنيا كتاب (من عاش بعد الموت) وقد ساق السيوطي أخبار من حي بعد الموت فتكلم ثم مات أو بقي حيا من الصحابة ومن بعدهم في (شرح الصدر) وإشار إلى شيء من ذلك (في الخصائص الكبرى) وهلم جرا ، إلى طبقة شيوخنا ، فحكى عنه حكاية ، ثم قال : وروينا من وجوه حسنة كثيرة أن الولي الكبير السيد الشهيد لفاية الله الحسيني الحبشي مات ودفن بحيدر أباد قاعدة مملكة الدكن ، ثم ظهر حيا بل كنو قاعدة مملكة أوده ، فبينما هو يقرأ القرآن يوما إذ مر عليه رجل من التجار ، كان قد شهد دفنه بالدكن فوقف متعجبا من أمره ، فلما فرغ الشيخ من قراءته ، قال له ما ترى ؟ قال : شهدتك بالدكن ، إذ مت ودفنت ، قال : نعم . ولكنني أحببت أن أكون أياما في الدنيا فظهرت هنا ؟ قال : فأنا أموت هنا بعد زمان ، ثم أظهر بالصين ، إن شاء الله تعالى ، ولا تكون لي حينئذ أئمة الخنصر من يدي ، فمات ثمة بعد زمان ولقيه الرجل بعد مدة بالصين ، فكان كما قال ، وهذه القصة مشهورة ببلاده ، ولقد سمعتها مرارا من شيوخ شيخ الإسلام الإمام الهمام علم السكال في العلم والعمل والحال مولانا الحافظ محمد علي الحسيني الرضوي الجشتي أفاض الله علينا من فيوضاته آمين ه .

قلت ومن هذا القبيل ما في ترجمة محمد الخليق التركي المتوفى سنة تسعين

(١) بالحاء المهملة المكسورة .

وسمائه ، وكان بماردين له اتباع وفقراء ، وكان صاحب ماردین كثير الإنكار عليه وعلى أصحابه ، فاجتمع به مرة فعاتبه الشيخ فقال : له أنا معذور وأنت ظاهر موله ، وببدو منك ومن أصحابك أشياء يقع الإنكار فيها فأرنا شيئاً يكون آية ظاهرة حتى نسلم إليكم حالكم ، فقال : بسم الله أنا أموت الساعة ، وأنت أدفني كيف شئت وأنا أظهر بعد مائة وخمسين يوماً خمسة أشهر ، فقال : رضيت ومات الشيخ لوقته ، ففضى حقه وجهر له بئراً عميقاً عدة قامات ، ودفنه أسفله ، وعمل عليه ضريحاً بحجارة متقنة عمارة متعنت ممتحن ثم ردم البئر ، وعمل في أعلاه ضريح خشب ، ورسم عليه رجالاً كثيرين لا ينامون ، بل يسهرون بالنوبة ، فما ظهر الشيخ بعد المدة ، فطلب الجماعة وانتقم منهم ، بأنواع الأذى ، ثم بعد عشرين يوماً ، ظهر الشيخ ، فجاءه الملك نادماً معتزلاً عما فعل بأصحابه ، وقال يا سيدي ما ظهرت في التاريخ الذي عينته ؟ فقال يا بعيد الذهن في تلك المدة كنت في حبس الله تعالى ، وأما الزيادة فكنت في حبسك ، لأن جميع ما صرفته فيما أعدته من الإمتحان والتعنت كان حراماً . فقال : صدقت ، ثم صار من أكبر المحبين للشيخ والمعتقدين له .

والمقصود أن سند خرقة عمر رضى الله عنه مطعون فيه بالجهالة والانقطاع وعدم الثبوت من جهة كون أويس مات قبل الوقت الذي زعم موسى بن زيد الراعى : أن أويساً ألبسه فيه ، فأعراض ابن تيمية عن هذا ، وذكره للسند بطريق الجزم مع طعنه في سند خرقة على . من قلبه للحقائق ، وتدليسه بل من كذبه وتزويره .

(الوجه الثالث) أن قوله في خرقة عمر رضى الله عنه لها سندان ، وخرقة على تنسب إلى الحسن ، يريد أن يفهم أن خرقة عمر متعددة السند مشهورة ، وأن خرقة على ليس لها إلا سند واحد عن الحسن البصرى ، ومع ذلك فهو مطعون

فيه ، وذلك كذب منه وتدليس ، فإن خرقة على تروى من طرق متعددة غير طريق الحسن البصرى ، كرواية الحسن السبط عليه السلام ، ومن جهته يتصل سند أبى الحسن الشاذلى عن ابن مشيش الذى هو طريقة التحكيم والإرادة له كما سيأتى .

ورواية الحسين الشهيد عليه السلام ، ومن جهته تتصل الطريقة العلوية الحضرمية وغيرها . بل هو أحد السندين المعروف الكرخى كما سبق ويأتى .
ورواية كميل بن زياد ، ومن جهته تتصل الطريقة الكبروية والحبشية وغيرها .

ورواية أبى الدرداء ، ومن جهته تتصل الطريقة السهلية .
ورواية أويس القرنى كما سبق ، فهى أكثر طرقا من خرقة عمر رضى الله الله عنه ، وأثبت وأشهر ، كما اعترف به ابن تيمية نفسه فى كلامه السابق من نقل البرزلى عنه .

(الوجه الرابع) أن قوله أيضا فى خرقة عمر لها إسنادان ، وأما خرقة على فتنسب إلى الحسن ، يفيد أن خرقة عمر ثابتة عنه ، وأن خرقة على إنما تنسب إلى الحسن وليست هى ثابتة عنه ، مع أن الأمر بالعكس ، فإن خرقة عمر رضى الله عنه تنسب إلى أويس القرنى ، والذى انفرد بها عنه رجل مجهول . لا يعرف حاله ولا عدالته لأنه لا ذكر له فى شىء من كتب رجال الحديث إلا بالضعف والطعن من جهة الجمالة وغرابة ما أتى به ، لا من جهة معرفته ، والا فهو غير معروف اصلا ، لا بعدالة ولا غيرها ، ويؤيد ضعفه وبطلان روايته ما ذكره الحافظ من ان اويسامات يصفين مع على عليه السلام ، او قبل ذلك على الخلاف فى وفاته ، وموسى بن زيد ذكر انه البسه الخرقة فى بلاد الديلم ، وانه بها كانت وفاته ، وايضا فقد قدمنا نصوص اهل الحديث والصوفية واكابر الأولياء العارفين : كالشيخ الأکبر محى الدين بن العربى والسهروردى وامثالهما على ان الخرقة

بالهيئة المعروفة لم تسكن في زمن الصحابة والتابعين ، وإنما كان عندهم الصحبة والافتداء والتأديب . وايضاً لم تذكر لموسى بن زيد الراعى هذا ترجمة في كتب الصوفية وطبقاتهم ولا عرف به أحد منهم ، مع أن من دونه كلهم معروفون مشهورون فخرقته باطلة جزماً من جهة قواعد الرواية الظاهرة التي من جهةها أيضاً يبطل ابن تيمية ومن يوافقه خرقة على المروية من طريق الحسن البصرى ، مع بيان خطئهم في ذلك وظهور بطلان قولهم فيه على حسب القواعد المقررة ، بخلاف خرقة أويس ، فإن ذلك فيها واضح جلي لاشبهة فيه .

وأما خرقة الحسن فرواتها كلهم أئمة مشاهير لا تحوم رائحة الطعن والجهالة حول حمى واحد منهم ، فضلاً عن أن ينبذ بشيء من ذلك ، بل هم أئمة المسلمين ، وسادات السلف الصالح باتفاق المسلمين ، فإنها تروى عن الجنيد سيد الطائفة عن السرى السقطى . عن معروف الكرخى . عن داود الطائى . عن حبيب العجمى عن الحسن ، ثم عن الجنيد رواها عدد التواتر من أكابر الزهاد الاتقياء وأئمة الورع والدين والمعرفة ، فمن يا ترى من هؤلاء الأئمة افتعل ذلك السند ، ونسبه إلى الحسن البصرى ؟ هل عدد التواتر من أصحاب الجنيد ، وطبقتهم ممن يستحيل عادة تواطؤهم على ذلك أو توافقه عليه ، لما كانوا عليه من التقوى والورع والخشية والعلم بالله تعالى ومعرفة ، أم الجنيد سيد الطائفة وأمامها ، القائل : ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وجعل لى فيه حظاً ونصيباً ، والقائل لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لسكان ما فاته أكثر مما ناله ، والقائل : ما أخذنا التصوف عن القليل والقال ، لسكن عن الجوع وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات ، والذي كان ورده كل يوم فى حانوته أربعائة ركعة قبل ان يعود إلى بيته ، مع ثلاثين ألف تسبيحة ، دون ورده من الليل ، والذي قال عن نفسه : ما نزع ثوبى للفرش منذ أربعين سنة ، ومكث عشرين سنة لا يأكل إلا من اسبوع لأسبوع ، وقيل له . من

أين استفتدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسى بين يدى الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة ، وأومأ إلى درجة من داره . أم السرى بن مغلس السقطى الذى قال فيه الجنيـد : ما رأيت أعبد من السرى ، أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما روى مضطجماً إلا فى علة الموت . وقال عنه الجنيـد أيضاً : سألتى السرى يوماً عن الصحبة ، فقلت : قال قوم . هى الموافقة . وقال قوم . الإيثار . وقال قوم : كذا وكذا . فأخذ السرى جلدة ذراعه ومدها ، فلم تمتد ، ثم قال : وعزته تعالى لو قلت إن هذه الجلدة يبدت على هذا العظم من محبته ، لصدقت . ثم غشى عليه ، فدار وجهه كأنه قمر مشرق ، وكان السرى به أدمه . وقال : منذ ثلاثين سنة أنا فى الاستغفار من قولى : الحمد لله ، مرة . قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : وقع ببغداد حريق ، فاستقبلنى رجل ، فقال : نجا حانوتك . فقلت : الحمد لله ، فمضى ثلاثين سنة ، أنا نادى على ما قلت ، حيث أردت لنفسى خيراً مما حصل للمسلمين .

وقال الجنيـد : دخلت يوماً على السرى السقطى وهو يبكى ، فقلت له : وما يبكيك ؟ فقال : جاءتنى البارحة الصبية ، فقالت : يا أبتى هذه ليلة حارة ، وهذا الكوز علقه ههنا ، ثم إنى حملتنى عيناى فنمت ، فرأيت جارية من أحسن الخلق ، قد نزلت من السماء ، فقلت : لمن أنت ؟ فقالت : لمن لا يشرب الماء المبرد ، فى الكيزان . فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسمرته . قال : فرأيت الخنزف لم يرفعه ولم يمسه حتى عفا عليه التراب . أم معروف بن فيروز الكرخى ، الذى كان مستجاب الدعوة . وكان أهل بغداد يقولون : قبر معروف الترياق الجرب لقضاء الحوائج ، والذى قال تلميذه السرى السقطى : رأيت معروف الكرخى فى النوم كأنه تحت العرش ، فيقول الله عز وجل للملائكة : من هذا ؟ فيقولون : أنت أعلم يا رب . فيقول : هذا معروف الكرخى ، سكر من حبى فلا يفيق إلا بقلأى . وقال يعقوب بن أخى معروف ، قال لى عمى : يا بنى إذا كانت لك إلى الله حاجة ، فسله بى .

وقال عبيد بن محمد الوراق : جاء رجل من الشام إلى معروف يسلم عليه ، وهو ببغداد . فقالوا له ، فقال : إني رأيت في المنام يقال : اذهب إلى معروف فسلم عليه ، فإنه معروف في أهل الأرض ، معروف في أهل السماء .

وقال إسماعيل بن شداد المقرئ ، قال لنا سفيان بن عيينة : من أين أنتم ؟ قلنا : من بغداد . قال : فما فعل ذلك الخبر ، قلنا : من ؟ قال : معروف . قال : لا تزالون بخير ما دام فيكم . وكان يقول : طلب الجنة بلا عمل ، ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحق . أم داود بن نصير الطائي ؟ الذي قال فيه محارب بن دثار : لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله علينا من أخباره . وكان يقول بالليل : إلهي همك عطّل على المموم الدنيوية ، وحال بيني وبين الرقاد . وقالت له دابته : أما تشتهي الخبز ؟ فقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . وقال له رجل : يا أبا سليمان ، ألا تسرح لحيتك ؟ قال : إني عنها مشغول . وأخباره في الزهد والعبادة عجيبة جداً . ولما مات دخل عليه ابن السماك الواعظ . فقال : داود سجن نفسك قبل أن تسجن ، وعذبت نفسك قبل أن تعذب ، فالיום ترى ثواب ما كنت له تعمل ، وكسرت تحته سراير من شدة ازدحام الخلق ، وتبركهم بنعشه ، كلما يعيدونه إلى موضعه . أم حبيب بن محمد العجمي الفارسي ؟ الذي كان يرى بالبصرة يوم التروية ، ويرى بعرفة عشية عرفة ، وصدرت على يديه كرامات عجيبة ، حتى جاء كتاب من الحق تعالى بتصديقه في شراء قصر في الجنة لبعض الحسنين .

قال أبو نعيم في (الحلية) : ثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني ، ثنا الحسن ابن سفيان ، ثنا غالب بن وزير الغزي ، ثنا ضمرة ، ثنا السري بن يحيى ، قال : قدم رجل من أهل خراسان وقد باع ما كان له بها ، وهم بسكنى البصرة ومعه

عشرة آلاف درهم ، فلما قدم البصرة ، وهم بالخروج إلى مكة هو وامراته ، سأل
 لمن يودع العشرة آلاف درهم ؟ فقبل الحبيب أبي محمد ، فأناه فقال له : إني حاج
 وامراتي ، وهذه العشرة آلاف درهم أردت أن أشتري بها منزلا بالبصرة ، فإن
 وجدت منزلا ويخف عليك أن تشتري لنا بها فافعل . وسار الرجل إلى مكة ،
 فأصاب الناس بالبصرة مجاعة . فشاور حبيب أصحابه أن يشتري بالعشرة آلاف
 دقيقا ، ويتصدق به . فقالوا له : إنما وضعها لتشتري بها منزلا . فقال : أتصدق
 بها وأشتري له بها منزلا من ربي عز وجل في الجنة ، فإن رضى وإلا دفعت إليه
 دراهمه . قال : فاشتري دقيقا وخبره وتصدق به . فلما قدم الخراساني من مكة
 أتى حبيباً فقال : يا أبا محمد أنا صاحب العشرة آلاف ، فما أدري اشتريت لنا بها
 منزلا أو تردها علي ؟ فأشترى أنا . فقال : لقد اشتريت لك فيه قصورا وأشجارا
 وثمارا وأنهارا ، فانصرف الخراساني إلى امرأته . فقال : أرى قد اشترى لنا
 أبو محمد حبيب منزلا أراه كان لبعض الملوك . قد عظم أمره . وما فيه . قال :
 ثم أقت يومين أو ثلاثة . فأتيت حبيباً فقلت له : يا أبا محمد المنزل . فقال :
 قد اشتريت لك من ربي منزلا في الجنة بقصوره وأنهاره ووصفائه . فانصرف
 الرجل إلى امرأته . فقال لها : إن حبيباً إنما اشترى لنا من ربه المنزل في الجنة .
 فقالت : يا فلان أرجو أن يكون قد وفق الله حبيباً . وما قدر ما يكون لبثنا
 في الدنيا ؟ فارجع إليه فلم يكتب لنا كتاباً بهذه المنزل . قال : فأتيت حبيباً .
 فقلت له : قبلنا ما اشتريت لنا ، فاكتم لنا كتاب عهد . فقال : نعم . فدعا
 من يكتب له الكتاب ، فكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اشترى حبيب أبو محمد من ربه عز وجل
 لفلان الخراساني . اشترى له منزلا في الجنة ووصفائه ووصيفاته بعشرة آلاف
 درهم . فعلى ربه تعالى أن يدفع هذا المنزل إلى فلان الخراساني . ويبرئ حبيباً
 من عهده .

فأخذ الخراساني الكتاب ، وانطلق إلى امرأته فدفعه إليها . فأقام الخراساني
نحواً من أربعين يوماً ، ثم حضرته الوفاة . فأوصى إلى امرأته إذا غسلتموني
وكفتموني فادفعي هذا الكتاب إليهم يجعلوه في أكفاني ، ففعلوا ودفن الرجل ،
فوجدوا على ظهر قبره مكتوباً في رق كتاباً أسود في ضوء الرق - براءة حبيب
أبي محمد من المنزل الذي اشتراه لفلان الخراساني ، بعشرة آلاف درهم ، فقد دفع
ربه إلى الخراساني ما شرط له حبيب ، وأبرأه منه ، فأثنى حبيب بالكتاب فجعل
يقروء ويقبله ويبكي ، ويمشي إلى أصحابه ويقول : هذه براءتي من ربي عز وجل .
وتصدق حبيب في بداية إقباله على الله بأربعين ألفاً ، في أربع دفعات ،
تصدق بعشرة آلاف في أول النهار ، فقال : يا رب اشتريت نفسي منك بهذا ،
ثم اتبعه بعشرة آلاف أخرى ، فقال : يا رب هذه شكراً لما وفقني له ،
ثم أخرج عشرة آلاف أخرى ، فقال : ربي إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل
هذه ، ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى ، فقال : رب إن قبلت مني الثالثة
فهذه شكراً لها . وقال ابن حبان : كان عابداً فاضلاً ورعاً تقياً من المجاني الدعوة .
فهذا بعض البعض من أحوال رجال خرقة الحسن البصري ، وتراجهم مطولة
في (الحلية) لأبي نعيم ، وغيرها من كتب الزهاد والصوفية ، بل ومن كتب
رجال الحديث . فإن هؤلاء كلهم من الرواة وكلهم ثقات على طريقة الحديث ،
بخلاف سند خرقة عمر فإن راويها عن أويس مجهول لا يعرف ونكرة لا تعرف ،
والحفاظ طعنوا فيها من جهته ، ومن جهة بطلان ما قال ، وعدم موافقته للتاريخ ،
بخلاف سند خرقة الحسن ، فإنهم ما تكلموا فيها إلا من جهة الانقطاع بين
الحسن وعلى ، ومع ذلك فلم يتكلموا فيها بعلم ، ولا دليل أصلاً ، وإما هو نقل
مجرد ، وتقليد لأول من غلسط في ذلك كما سيأتي ، ومن هنا تعرف مقدار أمانة
ابن تيمية في النقل ، وصدقه في الكلام على توهين الأخبار والآثار ، وتحقيق بأنه
يتكلم بهواه ، غير مبالي بمخالفته للواقع . ولا بكذبه الواضح البين . نسأل الله العافية .

(الوجه الخامس) أن الخرقه المروية عن عمر رضى الله عنه من طريق أبي مسلم الخولاني باطلة بدون شك ، بل هي مركبة مفتعلة ، وأبو مسلم الخولاني قد قال ابن حبان : إنه أسلم في زمن معاوية ، وعلى الصحيح من أنه أسلم قبل ذلك ، فلم تصح له رواية . إلا عن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل ، وأما عمر فلم تصح له عنه رواية ، وإن ذكر أنه روى عنه ، ثم على فرض ثبوت ذلك ، فهي رواية مجردة ، ومطلق أخذ ولقاء ، لا خصوص المعنى الذى يقصده الصوفيون ، لأمرين :

أحدهما : أن خرقه أبي مسلم الخولاني نادرة شاذة لا تكاد تذكر بين القوم ، ولا يعرفها منهم أحد ، وإنما ذكرها بعض أهل الفهارس والاثبات ، تبعاً لقول ابن تيمية هذا . وأخذ من مجرد الاجتماع واللقاء . فذكرها من طريق إبراهيم بن أدهم ، عن مالك بن دينار ، عن أبي مسلم الخولاني ، عن عمر رضى الله عنه .

ثانيهما : أن أكثر الأولياء العارفين وأقطاب الأمة الحمدية إنما تخرجوا من طريق خرقه على عليه السلام ، ومن رواية الحسن البصرى عنه ، وصرحوا بأن علياً عليه السلام هو إمامهم ومرجعهم ، لا عمر ولا أبو بكر رضى الله عنهما . وهذه الخرقه القادرية والرفاعية والبدوية والسهروردية والكبروية والجشسية والعلوية والشاذلية والخيومية والمدينية والنقشبندية والحمدية والقشيرية والهروية والغزالية والدسوقية والساحلية وغيرها ، وفروع الجميع التى تزيد على المائة كلها تتصل به على عليه السلام ، إمام من طريق الحسن البصرى ، أو من طريق آل البيت عليهم السلام ، وأين هي الخرقه المعروفة بانصال سندها إلى أبي مسلم الخولاني من هذه الطرق المذكورة ؟ فإنه لا وجود لها بين أسانيد أصحابها ، وإنما يتصل بعضها بأبي بكر رضى الله عنه ، على ما فى الطريق إليه من مقال وناقطاع ، فن عدم أمانة ابن تيمية أن يقلب الحقائق فيوهن ما هو ثابت ، ويقوى ما هو ضعيف أو باطل .

فصل

وقول ابن تيمية : إن رواية معروف الكرخي عن علي بن موسى الرضى باطلة لم يذكرها المصنفون لأخبار معروف بالإسناد الثابت المتصل كأبي نعيم وأبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي صنّفه في فضائل معروف .

جوابه لأنه إذا لم يذكر ذلك أبو نعيم ولا أبو الفرج . فقد ذكره من هو أقدم منهما ، وهو أبو عبد الرحمن السلمي ، شيخ أبي نعيم وأبي القاسم التشيرى عصرى أبي نعيم ، فقال في الرسالة : سمعت محمد بن الحسين يعنى أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت علي بن محمد الدلال يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبي يقول : رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته ، فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت : بزهك وورعك ؟ فقال : لا بقبولي موعظة ابن السماك ، ولزوم الفقر ، وصحبة الفقراء ، وموعظة ابن السماك ما قاله معروف الكرخي كنت ماراً بالكوفة ، فوقفت على رجل يقال له : ابن السماك وهو يعظ الناس ، فقال في آخر كلامه : من أعرض عن الله بكايته ، أعرض الله عنه جملة . ومن أقبل على الله بقلبه ، أقبل الله برحمته إليه ، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ، ومن كان مرة ومرة ، فالله يرحمه وقتاً ما . فوقع كلامه من قلبي ، فأقبلت على الله تعالى ، وتركته جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضى . وذكرت هذا الكلام لمولاي ، فقال : يكفيك بهذا موعظة إن انعطت .

أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسين ، قال : سمعت عبد الرحيم بن علي الحافظ ببغداد ، يقول : سمعت محمد بن عمر بن الفضل ، يقول : سمعت علي بن عيسى يقول : سمعت سرياً السقطي ، يقول : سمعت معروفاً يقول ذلك . هـ

فهذا سند متصل إلى معروف يثبت فيه أنه مولى لعلی بن موسى الرضى ورجاله ، وإن كنت لم أعرف بعضهم ، إلا أن هذه الحكاية بعيدة عن قصد الكذب ، وليس فيها ما يحمل عليه ، ولا ما يدعو إليه . ويؤيد صدقها ما اشتملت عليه من الحكمة مع تلك الرؤيا المطابقة للواقع ، والخبرة بقصة الاستماع إلى موعظة ابن السماك مع تباين مخرج سند الرؤيا ، وسند الحكاية أما محمد بن عمر بن الفضل الجعفي المذكور في الميزان بأنه حدث عن أبي القاسم البغوى وقد اتهم بالكذب ، وروى أيضاً عن أبي شعيب الحراني ، وابن مسروق . روى عنه أبو نعيم الحافظ قال : ابن أبي الفوارس مات سنة إحدى وستين وثلاثمائة . قال : وكان كذاباً هـ .

زاد الحافظ في اللسان ، وقال أبو نعيم : كتبنا عنه من فروع خرجها وكان ذا حفظ ومعرفة . هـ فهو غير المذكور في سند هذه الحكاية لأن الجعفي روى عنه أبو نعيم وكتب عنه الفروع ، وهذا من شيوخ شيوخ أبي عبد الرحمن السلمى الذى هو أكبر من أبي نعيم ومن طبقة شيوخه ، وقد مات قبله بثمان عشرة سنة . فإذا كان أبو عبد الرحمن السلمى يروى عن عبد الرحيم بن على الحافظ عنه ، وهو أكبر من أبي نعيم ، فكيف يروى عنه أبو نعيم بدون واسطة ؟ وكذلك على بن عيسى المذكور في هذا السند هو غير المذكورين في الميزان بهذا الاسم ، فإنه لا يوافق أحد منهم طبقة هذا ، بل هم إما متقدم عن طبقة ، أو متأخر عنها ؟ وقد أورد الحافظ محمد بن قاسم التركاني هذه الحكاية ثم قال : وهؤلاء الرواة كلهم ثقات من مشاهير الصوفية ، كما يظهر من كتب السلمى ، وأبي نعيم والقشيري وغيرهم ، فأبو عبد الله محمد بن عمر بن الفضل الصوفى الراوى عن الصوفية ، غير محمد بن عمر بن الفضل الجعفي المحدث عن أبي القاسم البغوى وأبي شعيب الحراني وابن مسروق الذى قال فيه ابن أبي الفوارس : إنه كان كذاباً . ولو فرض أنه عينه ؟ فقول ابن أبي الفوارس مردود بقول من عاينه

وعامله ، فقد قال عنه أبو نعيم كتبنا عنه من فروع خرجها ، وكان ذا حفظ ومعرفة ، فقول ابن أبي الفوارس إذ لم يكن عن عصبية فهو محمول على تشديد في اللهجة ، وعلى بن عيسى الصوفي صاحب السرى السقطي المكثّر عنه غير من ذكر في الميزان واللسان ، لأن جامهم متقدمون ولم يذكر أحد منهم بالرواية عن السرى السقطي ، ومن ثم تبعه عامة أهل المعرفة ، منهم ابن خلسكان وهلم جرا . إلى شارح الرسالة الزين زكرياء الأنصاري المحدث ه .

وقد قال أبو القاسم القشيري في أول ترجمة معروف ، وهو من موالى على بن موسى الرضى رضى الله عنه . مات سنة مائتين وقليل سنة إحدى ومائتين ثم قال سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول : كان معروف الكرخي أبواه نصرانيين فسلموا معروفاً إلى مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل : ثالث ثلاثة ، فيقول : بل هو واحد ، فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً فهرب معروف فكان أبواه يقولان ليمته يرجع إلينا على أى دين يشاء ، فنوافقه عليه ، ثم إنه أسلم على يد على بن موسى الرضى ، ورجع إلى منزله ودق الباب ، فقليل : من الباب ؟ فقال : معروف ، فقالوا : على أى دين جئت ؟ فقال : على الدين الحنيفي فأسلم أبواه ه .

فهذا أيضاً مؤيد للحكاية السابقة من اتعاض معروف بوعض ابن السماك ، وذكره ذلك لمولاه على بن موسى الرضى عليه السلام ، وهذه حكاية مشهورة متداولة بين أهل تلك العصور ، لا سيما من طائفة الجنيد الذى هو تلميذ تلميذ معروف الكرخي ، فهو بلا شك من أخذ عن الرضى وانتفع برؤيته وخدمته ، رضى الله عنهم أجمعين .

فصل

وقول ابن تيمية ، وأما الإسناد الآخر فيقولون : إن معروفاً صاحب داود الطائى ، وهذا أيضاً باطل . لا أصل له . وليس فى أخباره المعروفة ما يذكر ذلك فيها .

جوابه : أن أبا القاسم القشيرى قال فى باب الصحبة من رسالته : وكان الأستاذ أبو على يقول : أخذت هذه الطريقة عن النصراباذى ، والنصراباذى عن الشبلى ، عن الجعيد ، عن السرى ، والسرى عن معروف الكرخى ، ومعروف عن داود الطائى ه . فهذا أصل أصيل ، وإسناد صحيح متصل ، ورجاله فى أعلى درجات الثقة والعدالة ، والصدق والأمانة ، لاسيما والصحبة فى الطريق تثبت بين التلميذ والشيخ ، وتحصل بها الفائدة ، ولو بالاجتماع مرة واحدة . كما سبق ، ويأتى .

وقال شيخ الإسلام الهروى فى (الطبقات) كان معروف قد صحب داود الطائى .

ومثله فى طبقات الحنابلة للقاضى أبى الحسن بن أبى يعلى بن الفراء ، فإنه قال : ومعروف كان أستاذ سرى السقضى ، وصحب معروف داود الطائى ه .

وكل كتب هؤلاء قد رآها ابن تيمية وعرفها ، لاسيما الهروى وابن الفراء فإنهما من أكابر أئمة وشيوخ مذهبه الذين يعتمد عليهم ابن تيمية فى الفروع والأصول والاعتقادات ، ويكثر النقل عنهم فى كثير من كتبه ، وهم أئمة حفاظ ، لاسيما شيخ الإسلام الهروى ، فلا يذكر إلا ما ثبت عنه ، وصح لديه ، من طريق الرواية والإسناد ، ولا يشكك على هذا كون معروف الكرخى أسلم على يد الرضى عليه السلام ، والرضى ولد سنة إحدى وخمسين ومائة . وقيل سنة ثلاث وخمسين ، وداود الطائى مات سنة خمس وستين ، فيما قاله ابن نمير ، ورجحه

المهروى ، فيسكون الرضى وقت وفاة داود الطائى ابن أربع عشرة سنة على أقصى ما قيل فى وفاة الطائى ، وولادة الرضى . فيلزم أن يكون الكرخى صغيراً أيضاً قد لا يهتدى للأخذ عن داود الطائى فى ذلك السن ، لأن تاريخ ولادة معروف الكرخى غير معروف أصلاً ، وقد يكون أكبر من الرضى بعشر سنين أو أزيد فيه -كون سنه يوم وفاة الطائى أربعاً وعشرين سنة أو أكثر ، وهو سن قد حصل الفتح دونه لقوم لا يحصون من أهل القرون المتأخرة ، فضلاً عن السلف الصالح أهل خير القرون ، بشهادة أفضل الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا سيما من مثل معروف الذى هو أحد أفراد تلك العصور ، والذى أكرمه الله بالهداية والتوفيق من صغره ، وسيأتى ذكر من ثبتت له الصحبة ، وهو ابن خمس ، أو سبع سنين ، وصحت عنه الرواية ، وثبتت بها الأحكام الشرعية ، وكذلك من حصل له الفتح وصادر منه الكشف وهو دون البلوغ ، فأين ذلك من سن معروف المذكور ، فلا إشكال فى أخذه عن داود . والله أعلم .

فصل

وعلى فرض صحة ما يزعمه ابن تيمية من انقطاع طريق معروف الكرخى من كلا الجهتين جهة على الرضى ، وجهة داود الطائى ، مع أنه باطل بلا شك ، فالخرقة لها طرق عن الحسن البصرى لم يتعرض لها ابن تيمية ، منها طريق عبد الواحد بن زيد الذى تتصل من جهته الخرقة الجشتية بالأخذ والتلقين والصحبة والافتداء ، وهو طريق متصل لا شبهة فيه ، فإن معين الدين الجشتى ، أخذ عن عثمان الهارونى ، عن حاجى شريف الزندنى ، عن قطب الدين مودود بن يوسف ابن محمد بن سمعان الجشتى ، عن والده يوسف بن محمد ، عن خاله محمد بن أحمد أبدال ، عن أحمد الجشتى ، عن أبى إسحاق الجشتى ، عن ممشاد الدينورى ، عن أبى هميرة البهرى ، عن حذيفة المرعشى ، عن إبراهيم بن أدهم ، عن فضيل بن

عياض ، عن عبد الواحد بن زيد ، عن الحسن البصرى ، عن علىّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : طريق مالك بن دينار الذى يتصل من جهته طريقة ابن خفيف ، عن جعفر الحذا ، عن أبى عمرو الأصطخري ، عن أبى تراب النخشبى ، عن شقيق ابن إبراهيم البلخى ، عن إبراهيم بن أدهم ، عن مالك بن دينار ، عن الحسن البصرى ، عن علىّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : طريق عامر بن شعيب الذى يتصل من جهته التلقين من طريق الجنيد عن الحارث بن أسد الحاسبى ، عن بشر بن الحارث الحافى ، عن عامر بن شعيب ، عن الحسن البصرى ، عن علىّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : طريق هرم بن حيان ويونس بن عبيد ، فإن أبا سعيد بن الأعرابى ، أخذ عن مسلم بن عبد الله الخراسانى ، عن الفضيل بن عياض ، عن هرم بن حيان ، ويونس بن عبيد ، عن الحسن .

ومنها : طريق فضال العجمى ، وسيأتى فى رواية الحسن البصرى ، عن الحسن والحسين عليهما السلام ، فهذه طرق متعددة للصوفية رضى الله عنهم ، تثبت الأخذ والصحبة والافتداء والانتفاع المعروف عند المتأخرين بالخرقة ، من جهة الحسن البصرى ، عن علىّ عليه السلام ، وتبطل الطعن فى الخرقة الطلوية من جهة الانقطاع فى الطريق ، قبل الوصول إلى الحسن البصرى . أما ما يزعمونه من الانقطاع بين الحسن وعلىّ ، فسيأتى بإبطاله ، مع ذكر الطرق الأخرى إلى علىّ عليه السلام ، من غير طريق الحسن البصرى والحمد لله .

فصل

وقول ابن تيمية ، وفيها معنى الخرقه : أن الحسن صحب علياً ، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة ، فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعليّ ، جوابه من وجوه :

(الوجه الأول) : أن استناده إلى حكاية الاتفاق في مثل هذا ، مع الإعراض عن الدليل وإقامة الحجة على عدم الاجتماع ، فرار منه وتدليس ، وتمويه وتلبيس ، على طريقته المعروفة في أنقاله وردوده . بل في كل ما يكتبه في نصرة رأيه وهواه . فإنه لا يسلك سبيل الصدق والأمانة ، ولا يترك التختل والتلبيس ، لا سيما فيما يتعلق بآل البيت الأطهار ، والصوفية الأخيار ، وذلك لأنه يعلم علم يقين أن الحقائق التاريخية ، والقواعد الأصولية ، والحديثية ، تثبت رواية الحسن عن عليّ ، وتحكم لها بالصحة على شرط البخاري ومسلم ، كما هو محكوم بذلك لرواية من كان سنده دون سن الحسن البصري ، يوم خروج عليّ من المدينة ، فضلاً عن الحسن ، فلاجل ذلك يضرب صفحاً عن الدليل ، ويعدل إلى حكاية الاتفاق ، لارتياحه إليه ، ووجود ما يبتغيه فيه ، دون الدليل ، ولو كان الحال بالعكس ، لذكر الدليل وأطال في بيانه وتقريره ، وانتقد الاتفاق ، وضرب به وجوه أصحابه ، كما فعل في بعض المسائل الفروعية التي انعقد عليها الإجماع الذي يعدون مخالفه فاسقاً ، وخارقه كافراً ، أو قريباً من الكافر ، ومع ذلك فلم يعبا به ، وخالفه عملاً بما ظهر له من الدليل ، فضلاً عن مسألة سماع الحسن من عليّ ، واجتماعه به ، ولكن الرجل يدور مع أغراضه ويتقلب بحسب أهوائه ، وبعد فالدليل القاطع يثبت سماع الحسن واجتماعه به ، فليتنق بعد ذلك من شاء ، أو ليختلف . فإن العبرة بالدليل ، لا بالاتفاق ، والحقائق لا يثبتها في ذاتها اتفاق ، ولا ينفيها اختلاف .

(الوجه الثاني) أن حكاية الاتفاق على عدم الاجتماع كذب منه وافتراء ، كسائر ما يحكيه من الانفاقات ، فسماع الحسن من عليّ واجتماعه به مختلف فيه بين المتقدمين والمتأخرين .

قال : ابن أبي حاتم في المراسيل في ترجمة سماع الحسن من عثمان : سئل أبو زرعة عن الحسن : لقي أحداً من البدرين ؟ قال رآهم رؤية ، رأى عثمان بن عفان وعلياً ، قلت : سمع منهما حديثاً ؟ قال : لا ، وكان الحسن البصري يوم بوبع لعلي رضي الله عنه ابن أربع عشرة ورأى علياً بالمدينة ، ثم خرج عليّ إلى الكوفة ولم يلقه الحسن بعد ذلك ، وقال الحسن رأيت الزبير يبايع علياً رضي الله عنه ، ثم ترجم ابن أبي حاتم لسماع الحسن من عليّ ، وقال : حدثنا محمد بن أحمد بن البراء ، قال : قال علي بن المديني : لم ير الحسن علياً إلا أن يكون رآه بالمدينة وهو غلام هـ .

قال البخاري في التاريخ الصغير في ترجمة سليمان بن سالم القرشي أبي داود : العطار ، سمع علي بن زيد عن الحسن ، قال : رأيت علياً والزبير التزما . ورأيت عثمان وعلياً التزما .

وقال ابن العربي في شرح الترمذي : قد أدرك الحسن علياً مسنّاً هـ .

وذكر الذهبي في التذهيب : أنه رأى علياً وعثمان وطلحة .

وخرج الحافظ ضياء الدين المقدسي ، في (المختارة) رواية الحسن عن علي مصححاً لها ، ثم عقب ذلك بحكاية القول بعدم سماعه منه بصيغة التمرّض ، فقال : وقيل لم يسمع منه هـ . وقد اعترف ابن تيمية وجماعة من الحفاظ كابن عبد الهادي والزركشي أن تصحيح الضياء في (المختارة) أعلى من تصحيح الحاكم .

وقال الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتابه (أسنى المطالب بمناقب عليّ

ابن أبي طالب) بعد أن أسند الخرقه ما نصه : وأجمع مشايخ التصوف على أن الحسن البصري صحب علي بن أبي طالب ، ولبس منه الخرقه ، وسألت شيخنا الحافظ اسماعيل بن كثير ، فقال : لا يبعد أنه أخذ عنه بلا واسطة ، ولقيه له ممكن فإنه سمع عثمان بن عفان ، قلت : علي أنا روينا عنه الحديث عن علي رضي الله عنه بلا واسطة ، فذكر حديث (رفع القلم) من طريق أحمد ثم قال وقد تقدم في حديث المصاحفة أنه صافح علي بن أبي طالب ه .

وقد قال في أول الكتاب المذكور : وبعد فهذه أحاديث مسندة مما تواتر وصح وحسن من أسنى مناقب أسد الله الغالب ، مفرق الكتاب ، ومظهر العجائب لثبني غالب ، أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، أردفتها بمسالات من حديثه ، وبمتصلات من روايته وتحديثه ، وبأعلى إسناد صحيح إليه ، من القرآن والصحبة والخرقة التي اعتمد فيها أهل الولاية عليه ، ثم قال في آخره : وأما لبس الخرقه واتصالها بأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، فإني لبستها من يد جماعة ووصلت إلى منه من طرق ، ثم ذكر سنده في الخرقه . ولما نقل البرزلي في (جامع نوازل) كلام ابن تيمية في الخرقه . تعقبه بقوله : وما ذكره ليس بظاهر من وجوه .

الأول : أنهم حفظوا ومن حفظ حجة علي من لم يحفظ ، وزيادة العدل الصحيح قبولها .

الثاني : قوله إن معروفا غير معلوم بصحبه داود الطائفي وعلي رضي ، شهادة علي النفي : ومن أثبت أولى ممن نفي .

الثالث ما حكاه عن الحسن من عدم لقياه لعلي ، ليس كذلك ، لأنه كان في زمن علي قريبا منه في المسافة بحيث يمكن أخذه عنه ، لسنه وقربه ، وهذا إذا روى رواية عنه قبلت ، فإن ثبت لقياه عنه كما ذكر هؤلاء الشيوخ فقد ثبت

شرط الأخذ عنه عند البخارى ومسلم ، وإن لم يثبت لقيامه وثبت كونهما في زمن واحد ثبت الإسناد عند مسلم دون البخارى هـ

وقال الحافظ السيوطى فى (زاد المسير) الحفاظ مختلفون فى سماع الحسن من على فمنهم من لم يثبت كالبخارى ويحيى بن معين ، ومنهم من أثبت ، ورجحه الحافظ ضياء الدين المقدسى (فى المختارة) وذكر الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب حديثا من رواية الحسن عن على عليه السلام بالسماع ، ثم قال : قال محمد بن الحسن الصريفى شيخ شيوخنا : هذا نص صريح فى سماع الحسن من على ورجاله ثقات اهـ قال الحافظ السيوطى : وقد ألفت بسبب ذلك جزء سميته (اتحاف الفرقة برفو الخرقه) هـ .

قلت : قال فى أوله أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصرى من على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وتمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به فى طريق لبس الخرقه . وأثبتته جماعة وهو الراجح عندى لوجوه ، وقد رجحه أيضا الحافظ ضياء الدين المقدسى فى (المختارة) فإنه قال : قال الحسن بن أبى الحسن البصرى عن على وقيل لم يسمع منه ، وقبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر فى (أطراف المختارة) هـ .

ولما نقله الصفى القشاشى فى (السمط الجيد) قال عقبه فإن قلت جميع ما ذكره فى (الاتحاف) إنما يثبت اللقى والسماع ، وأما لبس الخرقه وتلقين الذكر فلا ، فأين الاتحاف قلت : قد ذكر فى أول الكلام أن من خدش فى لبس الخرقه من المتأخرين فتمسكه فى ذلك عدم سماع الحسن من على رضى الله عنه ، بناء على إنكار جماعة من الحفاظ سماعه ، ولم يقم دليلا على نفي اللبس غير إنكار السماع ، فإذا صح السماع . وثبت بأسانيد الأئمة المعتبرة فى الكتب المعتمدة ،

كالإمام أحمد والترمذى والنسائى والحاكم والضياء المقدسى وأبى نعيم والدارقطنى وأبى يعلى وغيرهم ، لم يبق للخادش النافى متمسك فى الخلدش ، ثم إن لبس الخرقه من طريق الحسن البصرى قد رواه جماعة من أكابر أهل الله المرادون بانفرقة فى لفظ الترجمة ، ومن المعلوم أن فيهم من هو جامع بين الفقه والتصوف ، وطرف صالح من الحديث ، كالشيخ عبد الكريم بن هوازن القشبرى ، والشيخ عبد القاهر بن عبد الله السهروردى ، وابن أخيه الشيخ شهاب الدين محمد بن محمد بن عبد الله السهروردى ، صاحب (عوارف المعارف) فأما القشبرى فقد قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى (تبیین كذب المفترى) أخبرنا الشيخان أبو الحسن على بن أحمد بن منصور وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن قالوا : قال لنا الشيخ أبو بكر أحمد بن على الحافظ : عبد الكريم بن هوازن ابن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشبرى النيسابورى ، سمع أحمد بن محمد بن عمر الخفاف ، ومحمد بن أحمد بن عبدوس المزكى ، وأبا نعيم عبد الملك وأبا الحسن الأسفرانى وعبد الرحمن بن إبراهيم المزكى ، ومحمد بن الحسن بن فورك ، والحاكم أبا عبد الله بن البيع ، ومحمد بن الحسن العلوى ، وأبا عبد الرحمن السامى ، وقدم علينا فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وحدث ببغداد ، وكتبنا عنه ، وكان ثقة وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعرى ، والفروع على مذهب الشافعى .

ثم قال بعد نحو ورقة : ولقد عقد لنفسه مجلس الإملاء فى الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، وكان يملئ إلى خمس وسنتين ، يذنب أماليه بأبياته ، وربما كان يتكلم على الأحاديث بإشاراته ولطائفه .

وقال التاج السبكى فى (الطبقات الصغرى) فى ترجمته : شيخ المشايخ أستاذ الجماعة ، ومقدم الطائفة ، أحد أحبار الأمة ، وعلماء الملة ، تفقه على أبى بكر

الطوسي ، وقرأ الأصول على ابن فورك ، والأستاذ أبي إسحاق إلى آخر ما قال رحمه الله .

وأما الشيخ عبد القاهر السهروردي ، فقال التاج السبكي في (الطبقات الصغرى) في ترجمته : أحد أئمة الطريقة ، ومشايخ الحقيقة ، تفقه بنظامية بغداد على أسعد الميمني وكان من هداة الدين ، وأئمة المؤمنين .

وأما ابن أخيه الشيخ شهاب الدين صاحب (عوارف المعارف) فيمكنني ما في كتابه المذكور من الأحاديث المسندة عن عمه وغيره مما يشير إلى مشاركتها في الحديث لا سيما نحو قوله حدثنا الشيخ أبو النجيب إمام ، وغير هؤلاء ممن هو مقبول ثقة عند الفريقين . فإذا انتفى سبب الخدش ، وقد رواه من هو ثقة ومقبول ، ظهر أن ما توهم انقطاعه موصول ، وبذلك يحصل الاتحاف ، وبالله التوفيق هـ بتصرف .

قلت : ومن أكابر مشايخ الصوفية العارفين الذين أثبتوا سماع الحسن بن علي ، وأخذوا الخرقة عنه ، وهم من الحديث الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ، والشيخ نجم الدين الكبري ، والغوث الجيلاني ، وجماعة كلهم ، قبل ابن تيمية .

وقال ابن حجر الميمني في (فهرسته) شنع كثير من الفقهاء والحديث على الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين في إثباتهم في أسانيدهم بلبس الخرقة وتلقين الذكر وغيرها سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهذا الإنكار لا وجه له ، وإما كان يحسن إيراد أن لو كان أئمة الحديث متفقين على عدم سماعه منه وليس كذلك بل أئمة

الحديث مختلفون في ذلك ، فمنهم من أثبتته ، ومنهم من نفاه ، لكن انتصر
 للعثميين له جماعة من المتأخرين منهم شيخنا السيوطي ، فذكر ملخص كلامه في
 رسالته (إتحاف الفرقة) ثم قال : وإذا تأملت هذا علمت أن ما عليه الصوفية
 في أسانيدهم التي تنتهي إلى الحسن البصري عن علي رضي الله عنه ، لا مطعن
 ولا إنكار عليهم فيه ، وأن ما هم عليه من سماع البصري من علي بن أبي
 طالب ، هو الحق الصريح الذي لا يجوز غيره ، وأن من اعترض وأنكر
 عليهم ، فاعتراضه وإنكاره زيف ، ليس في محله ، ولا ينظر إليه ، ولا يعول
 عليه ، قال : وقد سبق عن شيخنا زكرياء وغيره : أنهم من المنكرين لذلك
 أيضاً . فلا تغتر بذلك ، وإن كثرت المنكرات ، وجلت مراتبهم ، فإن الحق أحق
 أن يتبع ، والرجوع إلى الحق خير من التماس في الباطل ، وكل يؤخذ من قوله
 ويرد عليه ، إلا المعصومين عليهم السلام على أن هؤلاء المنكرين قد أولوا إنكارهم . وحمل
 على ما بعد خروج علي من المدينة ، لأن الحسن لم يجتمع به بعد ذلك . وإذا كان
 المنكرون يقولون نحن مع قولنا بأن الحسن لم يسمع من علي ، نروى سند لبس
 الخرقه وغيره عن الحسن عن علي ، تبركا بأولئك السادة الصوفية ، رجاء
 الاندراج في لحظهم ومددهم ، وعدد جماعتهم ، فإذا كان هذا حال المنكرين ،
 فما بالك أيها المطلاع على الحق والصدق الذي لا شك فيه ولا مرية ولا شبهة ، وهو
 صحة سماع الحسن من علي ، وأن سند الصوفية من هذه الطرق التي تنتهي
 إلى الحسن عن علي كلها متصلة لا انقطاع فيها ولا إنكار على أهلها .
 وقال العارف الشعرائي في (قواعد الصوفية) وقد أنكر بعض الحديثين كون
 الحسن البصري تلقن لا إله إلا الله من علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعزة
 ثبوت ذلك من طريقة مشهورة ، بل أنكر بعضهم اجتماع الحسن البصري بعلي
 رضي الله عنه ، فضلا عن الأخذ للطريق ، والحق أنه اجتمع به ، فلقنه الذكر ،
 وألبسه الخرقه ، فروى الحافظ ابن حجر وتلميذه جلال الدين السيوطي رحمهما

الله تعالى وقال : إن سنده صحيح ورجاله ثقات . إن الحسن البصرى كان يقول سمعت علياً رضى الله عنه ، يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمتى كالمنطر لا يدرى أوله خير أم آخره) .

وروى عن الحسن البصرى قال : سمعت علياً بالمدينة . وقد سمع صوتاً ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : قتل عثمان ، فقال : اللهم اشهد أنى لم أرض ولم أملأ . وفى مسند الحافظ بن مسدى عن الحسن قال : صالحت على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال جلال الدين السيوطى رحمه الله : فقد ثبت عندى وعند جماعة من الحفاظ رواية الحسن البصرى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، منهم الحافظ ضياء الدين رحمه الله (فى الأحاديث المختارة) وكل ما فيها من الأحاديث صحيح ، فعلم أن سند الثلقين ولبس الخرقه كان السلف يتداولونها فيما بينهم من غير ثبوت من طريق الحديثين ، إحساناً للظن بسلفهم حتى جاء الحافظ بن حجر والجلال السيوطى ومن وافقهما فصححوا سماع الحسن من على وأوصلوا السند بهما .

وقال : البرهان إبراهيم الكوارنى فى (إنباه الأنباه) بعد سوقه سند الثلقين ما نصه : ثم الراجح أن الحسن البصرى سمع من على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فإن الحفاظ مختلفون فى ذلك ، فأناكره جماعة منهم ، وأثبتته جماعة .

قال : الحافظ السيوطى فى (إنحاف الفرق) والإثبات هو الراجح عندى لوجوه ، وقد رجحه أيضاً الضياء المقدسى (فى المختارة) وتبعه الحافظ ابن حجر فى (أطراف المختارة) ثم ساق الوجوه المرجحة لسماعه ، فمن شاء فليراجعها ، فى (فتاوى السيوطى) وفى (السمط الحيد) لشيخنا نفع الله به ، فإنه ساقها مع نصوص جماعات الصوفية ، ومنهم الحفاظ ، وإذا صح السماع واللقاء ، وقد وصل سند تلقين الذكر من طريق الحسن جماعة كالحافظ أبى الفتوح الطاوسى ، وصله من طريق شيخه الزين الخوافى ، والمثبت مقدم على النافى ، كان وصل سند الذكر هو

الراجح ، هذا بحسب لسان فن الحديث وأهله ، وأما أكبر أهل الطريق فهم على بينة من ربهم في النفي والإثبات ، فإذا أثبتوا شيئاً وجزموا به ، فهو موافق للواقع ، وبالله التوفيق .

الوجه الثالث : أنه إذا بان بطلان ما ادعاه من الاتفاق على عدم اجتماع الحسن بعلي رضي الله عنه ، وثبت اختلاف أهل الحديث في ذلك بين مثبت وناف ، فالمثبت مقدم على النافي ، إذا استند إلى المشاهدة والعيان ، فكيف والنافي في هذه المسألة لا دليل معه أصلاً ، فضلاً عن المشاهدة والعيان ، بل الدليل مع المثبت للمقدم قوله على النافي .

قال ابن حجر الهيتمي في (فهرسته) بعد إيراد حديث أبي يعلى الآتي الذي قال فيه عقبة بن أبي الصهباء : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً يقول : وبيان أن رجاله ثقات ما نصه : وإذا ثبت أن رجال هذا السند ثقات ، وأن عقبة منهم ، قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً ، لم يبق لمنكر سماعه منه متمسك ، ولا دليل أصلاً ، لأنه ثقة أثبت شيئاً وغيره نفاه ، والمثبت مقدم على النافي ، وإن قل المثبت وكثر النافي كما هو مقرر في الأصول ، لأن المثبت معه زيادة علم ، لاسيما وهو قد أسند علمه إلى سماعه ، حيث قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً . وإذا كان هذا أعنى سماعه هو مستند علمه ، وجب تقديم ما أثبتته ، وأخبر عنه ، بهذه الطريق القوية ، التي لا تحتل شبهة ، على من نفاه ، لأنه إنما نفاه لجرد قرينة قامت عنده ، وهي تحتل الصحة والفساد ، بل صحة إثباته المذكورة عينت احتمال فساد تلك القرينة ، فبطل الاحتجاج بها ، هذا ، وذلك الإثبات المذكور يكفي فيه ما ذكر من صحة طريق مثبته وكونه ثقة أسنده إلى أقوى أسباب العلم ، وهو السماع ، ومع ذلك فقد انضم إليه قرائن كل منها يغلب على الظن أنه سمع منه ، وبها يزداد تأييد إثبات السماع ، ويجب ترجيحه . اهـ .

وقال العلامة المحدث فخر الدين النظامي في (فخر الحسن) لا شك أن من جرح بالإرسال وقبح في الاتصال ، ثم لم يأت ببرهان قاطع في سببه ، بل مبناه على العدم الأصلي فلا يقبل . لأن الاعتبار لمزيد العلم ، وهو الموجب لتقديم الجرح ، وذلك^(١) في الوصل اه .

الوجه الرابع : أن العبرة بالدليل ، لا بالقول المجرد ، سواء كان من المثبت أو من النافي (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) والدليل مع مثبت السماع والرؤية والاجتماع ، فقوله هو المقبول بالإجماع .

الوجه الخامس : أن النافي الذي يمكن أن يكون نفيه صدر عن علم وشبهة دليل عنده . في هذه المسألة هو رجلان أو ثلاثة كيحيى بن معين ، وبعض طبقته ، والباقي ممن جاء بعده ، إنما قال : ذلك عن تقليد ، وعدم بحث ونظر في الدليل ، وقول المقلدة لا عبرة به ، وإن كثر عددهم ، لأنهم بمنزلة العدم ، إذ المقلد ينطق بما قال غيره ، دون تمييز بين حقه وباطله ، ولا فرق بين صوابه وخطئه ، فالنفي راجع إلى قول شرذمة قليلة من الأقدمين الذين لم يعطوا المسألة حظها من النظر ، لعدم أهميتها عندهم ، ولو عرضت عليهم أدلة سماع الحسن من علي ، بل بعضها لما حصل منهم توقف في ذلك ، لأنهم قائلون بها ، بل متفقون عليها ، فهم ملزمون من جهتها بإثبات سماع الحسن واجتماعه بعلي عليه السلام ، وأخذه عنه ، وإلا كانوا متناقضين مخالفين لقواعد الرواية ، وأصول الحديث ، التي بها قد أثبتوا سماع قوم وصححو أحاديثهم ، وقبلوا روايتهم ، والفرق بين المتماثلين باطل ، فنفيهم سماع الحسن من علي باطل ، وإذا كانت الأقوال الخرجة على أصول الأئمة في الفروع والأصول ، تنسب إليهم وإن لم ينطقوا بها ، فإثبات سماع الحسن من

(١) أى مزيد العلم في وصل سماع الحسن .

على عليه السلام ، يجب أن ينصب إلى جميع أئمة الحديث والأصول ، ويحكمى عليه
الانفاق ، دون اعتبار النافين ، لخالفه نفهمم للفواعد والأصول المتفق عليها ، كما
هى الطريقة فى حكاية الإجماعات والاففاقات فى الفروع مع حكاية ضعف
قول الخالفين .

الوجه السادس : وإذا علم أن العبرة بالدليل وذكرنا أنه مع المثبتين ، فاعلم أن
الحسن البصرى ولد لسنتين بقمىتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة
المنورة ، فكان بها إلى أن بلغ من العمر أربع عشرة سنة ثم خرج إلى البصرة
بعد قتل عثمان رضى الله عنه ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل الحديث المتقدمين
والمؤخرين ، كمحمد بن عمر الواقدى ، وابن سعد ، والبخارى ، وعلى بن المدبى ،
وابن زرعة ، وأبى حاتم ، والترمذى ، وابن حبان وآخرين ، وذكره نقلا عن
هؤلاء وغيرهم ابن الأثير (فى أسماء الرجال من جامع الأصول) والخطيب التبريزى
فى (رجال المشكاة) وعبد الغنى فى (الإكمال) والمزى فى (التهذيب) والذهبى
فى (تذهيبه) وغيره ، والحافظ فى تهذيب التهذيب ، وهو مفعول عن الحسن البصرى
بالأسانيد الصحيحة .

قال البخارى فى التاريخ . حدثنا الحميدى ، ثنا سفيان ، عن إسرائيل بن
موسى ، قال : سمعت الحسن يقول : ولدت لسنتين بقمىتا من خلافة عمر ، وقال
أنا يوم الدار ابن أربع عشرة سنة .

وقال ابن سعد (فى الطبقات) قال : إسماعيل بن إبراهيم ، هو ابن علية ،
عن موسى ، عن الحسن ، قال : قاللى الحجاج ما أمدك يا حسن ؟ قال قلت سنتان
من خلافة عمر ، قال فقال : والله لعينك أكبر من أمدك .

ورواه أبو عبيد فى كتابه (غريب الحديث) عن ابن علية أيضا وفسر قوله

ما أمذك بمنتهى العمر ، قال : وإتما أراد المولد ، ولم يرد بقوله سفتان مضتا ، إنما أراد بقيتا ، وقال : وقوله : والله لعينك ، يقول : شاهدك ومنظرك ، اه . بل نقل عن الحسن أيضاً أنه كان أيام خلافة عثمان ابن خمس عشرة سنة كما رواه ابن سعد عن أبي داود الطيالسي عن خالد بن عبد الرحمن بن بكير ، فقال : حدثنا الحسن ، قال : رأيت عثمان يخطب وأنا ابن خمس عشرة سنة قائماً وقاعداً . .

فصل

إذا ثبت هذا فعلى عليه السلام كان طول هذه المدة بالمدينة المنورة لم يفارقها إلا بعد قتل عثمان رضى الله عنه بأربعة أشهر ، كما ذكره القضاعى وغيره . لأن مقتل عثمان كان لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين كما ذكره ابن حبان فى الثقات ؛ وخروج على عليه السلام كان فى آخر شهر ربيع الثانى سنة ست وثلاثين ، كما رواه عمر بن شبة فى (أخبار البصرة) بسند حسن عن عبد الرحمن بن أبى لىلى فصيح يقيناً أنه كان مع على فى بلد واحد ؛ إلى أن بلغ سنه الرابع عشرة ، أو الخامس عشرة ، ثم إنه ربح فى بيت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ، لأن والدته خيرة كانت مولاة لأم سلمة رضى الله عنها ، ولذلك كان الحسن يدخل سائر بيوت أمهات المؤمنين رضى الله عنهن . كما قال ابن سعد فى الطبقات . فأخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حريث بن السائب عن الحسن قال : كنت أدخل بيوت أزواج النبی صلى الله عليه وسلم فى خلافة عثمان فأتناول سقف البيت بيدي .

وقال البخارى فى الأدب المفرد : أخبرنا عبد الله حدثنا حريث بن السائب به مثله ، وعلى عليه السلام كان يزور أمهات المؤمنين ويتردد إليهن فى مصالحن بوصاية من النبی صلى الله عليه وسلم ، لا سيما أم سلمة رضى الله عنها ، فإنها

كانت لها مزيد اتصال بعليّ وآل بيته الكرام ، والحسن في بيتها مقيم مع والدته .

وفي مستدرك الحاكم عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : لما سار عليّ إلى البصرة دخل على أم سلمة يودعها ، الحديث .

وأیضا كان على عليه السلام جارا لأم سلمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم إذ بيته كان بلصق بيوتهن ، وقد ادخل الجميع في الحرم النبوی بعد ذلك . ولا يزال موضع بيت فاطمة عليها السلام معروفا من المسجد كواضع بيوت أمهات المؤمنين .

وأیضا فإن عليا عليه السلام كان يؤم الناس ويصلي بهم الجمعة والعید أيام حصار عثمان ، وهي نحو خمسين يوما ، والحسن إذ ذاك مرأوق قد ناهز الاحتلام فهو ممن كان يلزم الصلاة خلفه ، تلك المدة جزما ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة أن يأمرؤا الصبيان بالصلاة وهم أبناء سبع ، ويضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، فكيف بأبن أربع عشرة سنة ، الذي ربي في بيت النبوة وحجر أم سلمة رضى الله عنها ، وبيتها إذ ذاك بلصق المسجد ، وبابه مفتوح إليه ، وهم لا يعرفون التخلف عن الجماعة ، ولا الصلاة إلا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، على أنه ورد ذلك عن الحسن صريحا كما سيأتى ، فكيف ترد مع هذه القرآن القائمة مقام النص القاطع رواية من روى عن الحسن عن عليّ بالإرسال والانتقطاع ؟ ويقبل قول من نفى السماع ؟ فضلا عن الرؤية والاجتماع ؟

الوجه السابع : أنه نقل عنه رؤية عثمان وسماع خطبته . والرواية عنه ، وقد استشهد قبل مفارقة عليّ المدينة بمدة ، ولم يكن له من المجاورة والاتصال بأمر سلمة رضى الله عنها ما كان لعلى عليه السلام ، فكيف لا يثبت اجتماعه بعلى ، وأخذه عنه ؟

قال عبد الله بن أحمد في زوائد مسند أبيه : حدثني زياد بن أيوب ، حدثنا هشيم ، قال : زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان بن عفان متكئ على رءاه ، فأتاه سقاءان يختصمان إليه ، فقضى بينهما ثم أتته فنظرت إليه ، فإذا رجل حسن الوجه ، بوجفته نكتات جدري ، وإذا شعره قد كسا ذراعيه .

وقال الطبراني (في الكبير) حدثنا أبو يزيد القراطيسي ، ثنا أسد بن موسى ثنا المبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان ، وأنا يومئذ قد راهقت الحلم ، فسمعته يخطب وشهده يقول : ما تنقمون عليّ ؟ قال : وما من يوم إلا وهم يفتسمون فيه خيراً كثيراً . يقول : يا معشر الناس ، أغدوا على أعطيائكم ، فيغدون فيأخذونها وافرة ، ثم يقول : يا معشر المسلمين أغدوا على كسوتكم ، فيجاء بالحلل فتقسم بينهم .

وقال : أنا الثقة عن يونس عن الحسن قال سمعت عثمان يخطب وهو يأمر بذبح الحمام ، وقتل الكلاب .

وقال البخاري في الأدب المفرد : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا مبارك يعني ابن فضالة ، عن الحسن ، قال : سمعت عثمان يأمر في خطبته يقتل الكلاب وذبح الحمام .

وقال الدولابي في الكنى : حدثنا أسحاق بن سيار الفصيمي ، ثنا أبو قرة عبد الحميد بن أيوب الواشجي ، ثنا عقبة الأصب الرفاعي ، قال : سمعت الحسن بن أبي الحسن يقول : ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقرأت القرآن في خلافة عثمان ، ورأيت عثمان يخطب على المنبر ، وعليه قميص لين ، يقعد أحياناً ويقوم أحياناً ، يأمر بقتل الحمام الطيارة والكلاب ، وينهى عن المثلة .

وفي (التمهيد) لابن عبد البر عن الحسن قال : سمعت عثمان غير مرة يقول :
في خطبته أقتلوا الكلاب واذبجوا الحمام .

وقال : ابن جرير حدثني المثنى ثنا إسحاق بن الحجاج ، ثنا إسحاق بن
إسماعيل ، عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن . قال : رأيت عثمان بن عفان على
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليه قميص فوهى ، محلول الزر ، وسمعته يأمر
بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله في هذه
السراير ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (والذى نفس محمد
بيده ما أسر أحد سريرة إلا البسه الله رداءها علانية ، إن خيراً نفيح وإن شراً فشر)
ثم قرأ هذه الآية (وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله) قال :
السمت الحسن (١) :

وقال : ابن أبي شعبة في (المصنف) ثنا ابن علية ، عن شعيب بن الحجاب
عن الحسن ، قال : رأيت عثمان يُصَب عليه من إبريق .

وقال : أحمد في الزهد حدثنا إسحاق بن سليمان ، ثنا أبو جعفر ، عن
يونس ، عن الحسن ، قال : رأيت عثمان قائماً في المسجد في ملحفة ، ليس حوله
أحد ، وهو أمير المؤمنين .

ورواه أحمد أيضاً وأبو نعيم في (الحلية) والبيهقي في (السنة) من طريق
عبد الله بن عيسى أبي خلف الخزاز ، عن يونس بن عبيد : أن الحسن سئل عن
القائلة في المسجد ، فقال : رأيت عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفة ، يقيل في المسجد
وأثر الحصا بجنبه ، فيقول الناس : هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين . فإذا ثبت
سماع الحسن من عثمان الذى هو أقدم موتاً من على ، فسماعه من على أولى بالثبوت .

(١) أى لباس التقوى هو السمت الحسن .

فإن قلت : المطالب النقلية لا يكتفى فيها بالإمكان ؟ بل لابد من الوقوع ،
والوقوع لا يثبت بالقياس ، بل لابد من النقل ، لأن الراوى قد يتبها له السماع
والرواية من شيخ ، ولا يتبها له ذلك من قرينه ومن فى طبقة ، لأسباب وموانع .

قلت : الجواب عن هذا فى الوجه الذى بعده .

الوجه الثامن : أن الحسن روى عن على عليه السلام عدة أحاديث ، أسندها
من جهته جماعة من الرواة ، كما أسند الصوفية من جهته الخرقه والتلقين والصحبة
والاقتداء ، والأصل فى رواية العدل الثقة : الاتصال ، وعدم الانقطاع ، حتى
يقوم الدليل على الإرسال ، وعدم الاتصال ، والدليل قائم بنفى الانقطاع ، شاهد
بشبهات الاتصال ، فالأحاديث المذكورة كلها متصلة غير منقطعة والذى أمكن
الوقوف عليه منها عشرة أحاديث^(١) .

الحديث الأول : قال الإمام أحمد فى المسند : حدثنا هشيم . قال : أخبرنا
بونس . عن الحسن . عن على . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
يقول : (رفع القلم عن ثلاثة عن الصغير حتى يبلغ . وعن النائم حتى يستيقظ .
وعن المصاب حتى يكشف عنه) .

ورواه عن الحسن أيضا قتادة . قال : أحمد حدثنى بهز . وحدثنا عفان قال :
حدثنا همام . عن قتادة . عن الحسن . عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ . وعن المعتوه أو قال المجنون حتى
يعقل . وعن الصغير حتى يشب) .

(١) بقى حديث حادى عشر ، ذكره الحافظ فى تهذيب التهذيب عن الحسن عن
على عليه السلام فى أن أولاد الزنا يمتقون . يعنى إذا كان أحدهم رقيقا صح عتقه فى
كفارة ونحوها .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن يحيى القطعى . حدثنا بشر بن عمر ثنا همام .
عن قتادة . عن الحسن به .

وقال الحاكم فى المستدرک أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أنا على بن عبدالعزيز
ثنا همام به ، كذا وقع فى النسخة المطبوعة وفيه انقطاع .

الحديث الثانى : قال النسائى (فى الكبرى) حدثنا الحسن بن أحمد بن
حبیب ، ثنا شاذ بن فیاض ، عن عمر بن إبراهيم ، عن الحسن عن على : أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أفطر الحاجم والمحجوم) .

وقال عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن على
عليه السلام به ، وهو حديث متواتر ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . من
طرق متعددة .

الحديث الثالث : قال الطحاوى فى (معانى الآثار) حدثنا ابن مرزوق ،
قال : حدثنا عمرو بن أبى رزین ، قال : حدثنا هشام بن حسان ، عن الحسن ،
عن خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم على بن أبى طالب
وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن الیمان وعمران بن حصین ورجل آخر : أنهم كانوا
لا يرون فى منس الذکر وضوءا .

الحديث الرابع قال الطحاوى أيضاً : حدثنا أحمد بن داود ، قال : حدثنا
أبو عمر الحوضى ، قال : حدثنا حمام عن قتادة . عن الحسن . وخلاس بن عمرو
أن عليا قال : فى الرهن يترادان الزيادة والنقصان جميعا ، فإن أصابته
جائحة برىء .

(تنبيه) أورد الحافظ السيوطى فى (تحاف الفرقة) هذا الأثر فوقع له فيه
وهم ، فإنه قال : قال الطحاوى : حدثنا نصر بن مرزوق ، حدثنا الخطيب ثنا حماد
ابن سامة . عن قتادة . عن الحسن . عن على . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا كان في الرهن فضل - فأصابته جائحة فهو بما فيه (هـ والموجود في (معاني الآثار) حدثنا نصر ثنا الخصيب ، ثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن خلاص ، هو ابن عمرو ، أن علياً قال : إذا كان في الرهن فضل فأصابته جائحة ، فهو بما فيه ، وإن لم تصبه جائحة وآتهم فإنه يرد الفضل . حدثنا أحمد بن داود ، قال : حدثنا أبو عمر الحوضي ، إلى آخر الأثر الذي أوردناه فانتقل بصره من السند الذي أراه ، إلى المتن الذي قبله ، فظن أنه مرفوع ، وهو موقوف .

الحديث الخامس : قال الدارقطني في سننه : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز . قال حدثنا داود بن رشيد ، حدثنا أبو حفص الأبار ، عن عطاء بن السائب عن الحسن ، عن عليّ عليه السلام ، قال : في الخلية والبرية والبتة والبائن والحرام - ثلاث ، لا تحل حتى تنكح زوجاً غيره .

ورواه ابن أبي شيبة في (مصنفه) مرفقاً في خمسة أبواب بسند واحد ، فقال : حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب عن الحسن به .

الحديث السادس : قال الدارقطني (في السنن) أيضاً : حدثنا أحمد بن محمد ابن عبد الله بن زياد القطان ، حدثنا الحسن بن علي بن شبيب المعمرى ، قال : سمعت محمد بن صدران السلمي ، يقول : حدثنا عبد الله بن ميمون المرأني ، حدثنا عوف ، عن الحسن أو خلاص ، عن علي رضي الله عنه شك ابن ميمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - لعلي عليه السلام (يا علي قد جعلت إليك هذه السبقة بين الناس) فخرج علي رضي الله عنه ، فدعا سراقه بن مالك ، فقال : يا سراقه الحديث .

وهكذا رواه البيهقي أيضاً فقال : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان ، ثنا الحسن بن علي بن شبيب المعمرى به مثله ،

بالشك فيه عن الحسن أو خلاص ، ونقله الحافظ السيوطى فى (الاتحاف)
من سنن الدارقطنى فأورده عن الحسن وحده ، جاز ما به فلعله تصرف منه .

الحديث السابع قال الخطيب فى التاريخ ، أخبرنا الحسن بن أبى بكر ، أخبرنا
أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ، حدثنا محمد بن غالب ، ثنا
يحيى بن عمران ، فى شارع دار الرقيق ، حدثنا سليمان بن أرقم ، عن
الحسن ، عن على ، قال : كفنت النبى صلى الله عليه وسلم فى قميص أبيض ،
وثوبى حبره ، سليمان بن أرقم ضعيف ، لكن قال بعض الحفاظ : أنه
توبع عليه .

الحديث الثامن : قال أبو نعيم فى الحلية : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا
أبو يحيى الرازى ، ثنا هناد ، ثنا ابن فضيل ، عن ليث عن الحسن . عن على
رضى الله عنه . قال : طوبى لكل عبد نومة ، عرف الناس ، ولم يعرفه الناس .
عرفه الله تعالى برضوانه ، أولئك مصابيح الدجى . يكشف الله تعالى عنهم كل
فتنة مظلمة . ويدخلهم الله تعالى فى رحمة منه . ليس أولئك بالمذايع البذر
ولا الجفأة المرائين . .

الحديث التاسع قال الدارقطنى : حدثنا على بن عبد الله بن مبشر . حدثنا
أحمد بن سنان . ثنا يزيد بن هرون . أنا حميد الطويل عن الحسن . قال : قال
على : إن وسع الله عليكم فاجعلوه صاعا من بر وغيره . يعنى زكاة الفطر .

الحديث العاشر قال ابن جرير فى التفسير : حدثنا المثنى . قال : حدثنا
الحجاج بن المنهال . ثنا سفيان بن عيينة عن إسرائيل . عن أبى موسى . سمع
الحسن البصرى . يقول : قال على فينا والله أهل بدر نزلت الآية (ونزعنا ما فى
صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) .

وستأتى أحاديث أخرى فى الوجه الذى بعده .

وذكر الحافظ السيوطى حديثاً من كتاب (العروس) لجعفر بن محمد الحسينى
أعرضنا عن ذكره لكونه متسكماً فيه ، بل الحافظ السيوطى نفسه أورده
فى ذيل الموضوعات .

فصل

فهذه الأحاديث محكوم باتصالها على قواعد أهل الحديث المتفق عليها ، بل على
شرط البخارى ومسلم فى الاتصال كما سيأتى بيان شروطهما ، فالخرقة مثلها .
فإن قيل : إن الحسن البصرى وإن كان إماماً ثقة ، لكنه مدلس ، وعنفة
المدلس لا تقبل ، ولا يثبت بها الاتصال ، والأحاديث السابقة كلها مضعفة ،
فلا يثبت بها المطلوب .

قلنا : الجواب عن هذا هو :

الوجه التاسع : وهو أن الحسن قد ثبت عنه بالأحاديث الصحيحة : أنه رأى
عليّاً ، وسمع منه ، وجالسه فى حلقاته ، وصلى خلفه مدة طويلة ، بالفاظ لا تحتمل
التدليس ، ولا تقبل التأويل ، وهى كافية فى إبطال قول كل منكر ، وناف
للرؤية والسماع .

أما الرؤية : فقال البخارى فى التاريخ الصغير فى ترجمة سليمان بن سالم القرشى
أبى داود العطار : سمع على بن زيد من الحسن قال : رأيت عليّاً والزبير التزما
ورأيت عليّاً وعثمان التزما .

وقال ابن أبى حاتم فى المراسيل : سئل أبو زرعة عن الحسن : لقي أحداً من
البدرين ؟ قال : رأيهم رؤية . رأى عثمان بن عفان وعليّاً ، قال : وقال الحسن :
رأيت الزبير يبائع عليّاً رضى الله عنهما .

فصل

وأما السماع : فقال : أبو يعلى فى (مسنده) حدثنا حوثره^(١) بن أشرس ، قال : أنا عقبه بن أبى الصهباء الباهلى ، قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » أورده الحافظ فى تهذيب التهذيب ، ثم قال : قال محمد بن الحسن الصيرفىنى شيخ شيوخنا : هذا نص صريح فى سماع الحسن من على كرم الله وجهه ، ورجاله ثقات ، حوثره وثقه ابن حبان ، وعقبه ، وثقه أحمد ، وابن معين ه .

وقال الحافظ الترمذى بعد نقل عبارة ابن حبان فى توثيق حوثره ، مع أنقاله عن أحمد وابن معين وغيره فى توثيق عقبه ما نصه : فالحديث مسلسل بأئمة أهل البصرة ، ولعمرى ما للمفكرين من جواب عن هذه الرواية السالبة عنهم الدراية فى الباب ه .

حديث آخر : قال الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف بن مسدى المتوفى شهيداً بمكة سنة ثلاث وستين وستمائة فى مسلسلاته : صاغت أبا عبد الله محمد بن عبد الله ابن عيسوى النغزاوى بها ، قال صاغت أبا الحسن على بن سيف الحضرمى بالأسكندرية^(٢) ح ، وصاغت أيضاً أبا القاسم عبد الرحمن بن أبى الفضل المالكي

(١) وقع هذا الاسم فى بعض النسخ من زاد المسير ، بلفظ : جويرة ، وهو تصحيف من بعض النساخ .

(٢) رمز المحدثون بلفظ ح إلى تحويل السند من شيخ إلى شيخ ، لتقوية السند بتعدد طرقه ، وقوله بعد : قال كل واحد منهما ، يعنى أبا الحسن على بن يوسف الحضرمى ، وشبل بن أحمد بن شبل . ونحن ننصل بهذا السند من طريق شيخنا أبى =

بالأسكندرية ، قال صاغت شبل بن أحمد بن شبل قدم علينا ، قال كل واحد منهما : صاغت أبا محمد عبد الله بن مقبل بن محمد العجبي ، قال صاغت محمد بن الفرج بن الحجاج السكسكي ، قال : صاغت أبا مروان عبد الملك بن أبي ميسرة ، قال : صاغت أحمد بن محمد النغري بها ، قال : صاغت أحمد بن الأسود ، قال : صاغت عمشاد الدينوري ، قال : صاغت علي بن رزين الخراساني ، قال : صاغت عيسى القصار ، قال صاغت الحسن البصري ، قال : صاغت علي بن أبي طالب ، قال صاغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صاغت كفي هذه سرادقات عرش ربي عز وجل . قال ابن مسدي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وهذا إسناد صوفي ه .

قال الحافظ التركاني أحمد الأسود ومن فوّه إلى الحسن مشاهير أئمة الصوفية ، ومن دونه ليس فيهم من يصلح لأن يتهم بكذب بل ولا يضعف ه . كذا قال ؟ أخذاً من عدم ذكرهم في كتب الضعفاء كالميزان ولسانه ، ثم للحديث طريق آخر .

قال الحافظ شمس الدين بن الجزري في (أسنن المطالب) : صاغت الشيخ الإمام العالم الزاهد أبا محمد محمد بن محمد بن محمد بن محمد النسائي الجمالي رحمه الله . وهو صافح الشيخ الإمام الحدث محمد بن مسعود الكازروني ، قال : صاغت أبا الخير محمد بن علي بن محمد الأصبهاني الموازيني ، قال : صاغت علي بن محمد بن عبد الصمد الدوني ، قال : صاغت الشيخ أبا الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصفاني ، قال : صاغت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد القرظي ،

= النصر القاوجي رحمه الله عن والده أبي المحاسن القاوجي الشاذلي صاحب المؤلفات الكثيرة ، المتوفى سنة ١٣٠٥ هجرية ، وهو من جملة ثمانين مسلسلًا روينها من هذا الطريق ، كما روينها من طرق أخرى والحمد لله رب العالمين .

بمدينة عدن ، قال : صاغت والدى بعدن ، قال : صاغت على بن أبي بكر بن حمير بن تبع بالمسجد السعيدى فى عدن ، قال : صاغت سالم بن عبد الله بن محمد بن سالم الإمام ، قال : صاغت أحمد بن عبد الله النعري ، قال : صاغت أحمد الأسود بسنده السابق .

فصل

وأما المجالسة ، فقال الدولابى فى الكنى : أخبرنى أحمد بن شعيب النسائى ، قال : أنبأنا على بن حجر ، قال : حدثنا حكام بن أسلم ، عن أبي حمزة عبد الله ابن جابر ، عن الحسن ، قال : إني لفي حلقة على إذ جاءت الصيحة من دار عثمان فرأيتہ رافعاً يديه إلى السماء وهو يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . قال الحافظ التركمانى : رواته كلهم ثقات ، فذكر توثيق جميعهم ، ثم قال : ومن أعجب كرامة الحسن على ربه ، أن رواة هذا الأثر كرواة خبر مثل أمقى المصرح فيه بالسماع ، لم يتكلم فى سند واحد منهما أحد من الحفاظ ه .

قلت : وله مع ذلك طريق آخر ، قال : اللالكائى فى (السنة) أخبرنا أحمد ابن محمد الفقيه ، أنا محمد بن أحمد بن حمدان ، ثنا تميم بن محمد ، ثنا نصر بن على ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن عامر الأحول ، عن الحسن ، قال شهدت علياً بالمدينة وسمع صوتاً ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قتل عثمان ، قال : اللهم أشهد أنى لم أرضى ولم أمالىء ، مرتين أو ثلاثاً .

فصل

وأما الصلاة خلفه ، فقال البيهقى فى (السنن الكبرى) أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر بن الحسن القاضى ، قالوا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا العباس الدورى ، ثنا الحسن بن بشر ، ثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ،

عن الحسن ، قال : أئنا على بن أبي طالب في زمن عثمان رضى الله عنه عشرين ليلة ، ثم احتبس ، فقال بعضهم : قد تفرغ لنفسه ، ثم أمهم أبو حليمة معاذ القارى ، فكان يقنت ، وتسكلم فيه للماردىنى فى (الجوهر النقى) لأنه مما احتج به البيهقى على مخالفة مذهب أبى حنيفة ، وترجم للباب الذى أورده فيها ، من قال : (لا يقنت فى الوتر إلا فى النصف الأخير من رمضان) فقال الحكم : هذا ليس بثقة ، وليس بشيء ، وقال أبو حاتم مضطرب ، وقال أبو داود : منكر الحديث ، وقتادة مدلس ، وقد عنعن . والحسن لم يصح لقاؤه لعلى ه .

قلت : أما كونه لم يلق علياً ، فقول باطل ، لا شبهة فيه ، وهو ناشئ عن تقليد وجهل بما أورده ، وأما التعلق بتدليس قتادة ، فأبطل وأبطل ، فإن طول ملازمة قتادة للحسن وروايته عنه لا تحتاج إلى تحرز من تدليسه ، ثم إن أحاديث قتادة بأسرها لا فرق فيها بين الخرج منها فى الصحيحين وغيرهما كلها بالنعنة كسائر أحاديث تلك الطبقة ، فينتج منه أنه لا يوجد فى الدنيا حديث صحيح من رواية قتادة البتة ، وأما الحكم فقد وثقه العجلي مع تعنته فى الرجال ، وروى عنه كثير من الحفاظ ، واعتبروا حديثه ، واحتج به البخارى فى الأدب المفرد وغيره ، بل صحح له الترمذى ، مع أن من يتكلم فيه إنما يصفه بالانفراد : بما لا يتابع عليه ، وهذا من أوهام الجارحين وتعنتهم ، وأى ضرر على الحفاظ فى الانفراد ؟ لا سيما مع التوسع والإكثار ، وقد سكنت البيهقى عن الحديث المذكور ، وذكره فى كتابه (المعرفة) بصيغة الجزم محتجاً به ، فهو ثابت صحيح ، لا سيما مع شواهد الصحيحة ، ووجود البراهين القاطعة على اجتماع الحسن بعلى عليه السلام .

الوجه العاشر : أنه ورد عن الحسن البصرى أيضاً التصريح بالإكثار من الرواية عن على ، والسماع منه ، وأن جل مراسيله سمعها من على عليه السلام .

قال الحفاظ المزي فى (التهذيب) : أخبرنا أبو إسحاق بن الدراجى ، عن

أبي جعفر الصيدلاني إذنا ، قال : أخبرنا أبو علي الحداد ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا الأطروش ، حدثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي ، ثنا محمد بن موسى الحرشي ، ثنا ثمامة بن عبيدة ، قال : حدثنا عطية بن محارب ، عن يونس بن عبيد ، قال : سألت الحسن قلت : يا أبا سعيد إنك تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنك لم تدركه ، قال ابن أخي إنك سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، إني في زمان كما ترى ، وكان في عمل الحجاج ، كل شيء سمعته أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً .

الوجه الحادي عشر : أن الحسن سئل عن عليّ ، فأجاب السائل بقوله : كان عليّ والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وإذا فضلها ، وإذا سابقتها ، وإذا قرابتها ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالأنومة عن أمر الله ، ولا بالأنومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمسأل الله ، أعطى القرآن عزائمهم ، ففاز منه برياض موقنة ، ذلك عليّ بن أبي طالب يا لكع . ذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب) . فقد أجاب عنه جواب من عرف أحواله ، وشاهد سيرته ، ثم إن السائل لم يسأله عنه ، حتى كان مشهوراً عندهم أنه رأى علياً . وخالطه ، فلذلك سأله عنه .

الوجه الثاني عشر : أن الحسن ثقة باتفاق الأمة ، وإجماع الأئمة^(١) ، وقد روى عن عليّ عليه السلام تارة بالعنينة ، وأخرى بالسماع ، وصرح مع ذلك

(١) وقد ذكره الذهبي في الميزان ، استطراداً ، في ترجمة مشابهة له في اسمه ، وهو الحسن بن أبي الحسن المؤذن البغدادي الضعيف ، وصرح بإمامته قال : إلا أنه كثير التدليس ، فإذا قال : حدثنا فهو ثقة بلا نزاع .

بأنه رأى علياً ، وجالسه ، وصلى خلفه ، وشهد له التاريخ ، وصدقه العيان ،
في كونه كان معه في بلد واحد ، بل جاراً له ، إلى أن بلغ سنه الرابع عشرة ،
ولم يرد عنه تكذيب لذلك ، ولا رجوع عنه ، فكيف يشك مع هذا في لقائه
وصحة روايته عنه ؟ إذا صح السند إليه بذلك ؟ وسند الخرقه والصحبة رجاله
في أعلى درجة الثقة والعدالة والصدق والأمانة ، فسند الخرقه والصحبة صحيح ،
متصل لا شك فيه ، ولا شبهة .

فإن قيل : سلمنا الرؤية واللقاء والمجالسة والاجتماع ، ولكن الحسن
كان صغير السن لا تنهياً له الرواية والسماع ، وحفظ الأحاديث والأخبار .
قلنا : جوابه .

الوجه الثالث عشر : وهو أن سماع من سنه أربع عشرة سنة أو خمس عشرة
كما كان سن الحسن يوم خروج عليّ من المدينة ، من أعلى ما يطلب في سن بداية
السماع وكتابة الحديث في العصور المتأخرة ، فضلاً عن عصر الصحابة والتابعين .
قال يحيى بن معين : حد الغلام في كتابة الحديث أربع عشرة سنة .
وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : سمعت الحديث وأنا ابن أربع عشرة سنة ،
بل جمهور العلماء على أن السماع يصح ممن هو دون السن المذكور ، وهو
الصحيح من مذاهب أهل الحديث والأصول ، لأن كثيراً من الصحابة حفظوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا الأحاديث الكثيرة عنه ، وهم لم يبلغوا
السن المذكور ، بل منهم من لم يقاربه . فقد روى سهل بن سعد الساعدي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من مائة وثمانين حديثاً ، وكان سنه يوم انتقال
النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى خمس عشرة سنة .

وروى الحسن بن عليّ عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر
حديثاً ، وكان سنه يوم انتقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين أو دونها .

وروى أخوه الحسين الشهيد عليه السلام ، عشرة أحاديث أيضاً أو نحوها ، وهو أصغر من أخيه الحسن .

وروى عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من ثلاثين حديثاً ، وكان سنه يوم انتقال النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين .

وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من مائة وعشرين حديثاً ، وإن لم يصرح بالسماع منها إلا في العدد اليسير ، وكان سنه يوم انتقال النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين أو عشرًا ، لأنه أكبر من ابن الزبير بستة أشهر .

وروى أبو الطفيل عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو عشرة أحاديث ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم نحو عشرة أعوام أو أقل^(١) .

وروى السائب بن يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من عشرين حديثاً ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين .

وروى المسور^(٢) بن مخزومة عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من عشرين حديثاً ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أيضاً .

وروى عمر بن أبي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم إثني عشر حديثاً ، وأدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين .

وروى يوسف بن عبد الله بن سلام عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو أربعة

(١) وهو آخر الصحابة موتاً على الإطلاق ، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ وجهل ابن حزم صحبته ، وجرحه في الحلي ، ورد عليه مصحح الكتاب بأنه تابعي ثقة .

(٢) بكسر الميم ومكون السين وفتح الواو ، ومخزومة : بفتح الميم والراء بينهما خاء ساكنة .

أحاديث وتركه صغير السن ، روى عنه أنه قال : سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوسف وأقعدني في حجره ، ومسح على رأسي ، وكذلك عبد الله بن جعفر ومسامة بن مخلد ، وآخرون .

وهذه عائشة^(١) أم المؤمنين رضي الله عنها . روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ألف ومائتي حديث ، وضبطت الكثير من أحواله وسننه ، وقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ابنة تسع سنين ، فحفظت عنه في ذلك السن فما بعده إلى أن انتقل وسنها ثمان عشرة .

وكذلك أنس بن مالك رضي الله عنه أتت به أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخدمه وهو غلام صغير يلعب مع الصبيان ، فحفظ عنه السنن والشرائع ، وروى أكثر من ألفي حديث ، ومائتي حديث بالثنية فيهما .

وكذلك عبد الله بن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أزيد من ألف وستمئة حديث وملا الدنيا علماً وتفسيراً لكتاب الله تعالى ، ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم ، ولم يدرك من حياته صلى الله عليه وسلم إلا أربع عشرة سنة . وكذلك أبو سعيد الخدري وآخرون يطول ذكرهم .

وأما التابعون ومن بعدهم فلا يدخلون تحت الحصر ، وقد روى الخطيب (في الكفاية) عن سعيد بن عامر ، قال : حملني خالي على عاتقه فسمعت شميلاً ، يحدث عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم (مثل الجليس الصالح مثل العطار

(١) وهي أحد حفاظ الصحابة السبعة الذين رووا أكثر من ألف حديث ، وهم مجموعون في هذين البيتين :

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا عن المصطفى المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس صديقة وابن عباس كذا ابن عمر
سعد هو أبو سعيد الخدري ، لأن اسمه سعد بن مالك بن سنان ، ويلاحظ أن معظم هؤلاء السبعة كانوا صغار السن .

إن لم تصب من عطره . أصبت من ريحه ، ومثل الجليس سوء مثل القين إن لم يحرق ثوبك ، أصابك من ريحه) .

وعن الفضل بن زياد ، قال : سمعت أحمد ، وذكر ابن عيينة ، فقال : أخرجه أبوه إلى مكة ، وهو صغير ، فسمع من الناس : عمرو بن دينار وابن أبي نجيح في الفقه ، ليس ترضيه إلى أحد إلا وجدته مقدماً .

وعن نصر بن علي ، حدثني أبي ، قال : ذكر ابن عيينة ، عند شعبة ، فقال : رأيت ذلك الغلام عند عمرو بن دينار ويده ألواح ، وفي أذنه قرط من ذهب .

وعن النضر الهلالي ، قال : كنت في مجلس سفيان بن عيينة ، فنظر إلى صبي دخل المسجد ، فكان أهل المجلس تهانوا به لصغر سنه ، فقال سفيان :

(كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) ثم قال لي يا نضر لو رأيتني ولى عشر سنين ، طولى خمسة أشبار ، ووجهي كالدينار ، وأنا كشعلة نار ، ثيابي صغار ،

وأكلمي قصار ، وذيلي بمقدار ، ونعل كإذان الغار ، اختلف إلى علماء الأمصار ، مثل الزهري ، وعمرو بن دينار ، وأجلس بينهم كالسمار ، محبرتي كالجوزة ،

ومعلمتي كاللوزة ، وقلما كاللوزة ، فإذا دخلت المجلس قالوا : وسعوا للشيخ الصغير ، ثم تبسم ابن عيينة ، وضحك ، وتسلسل^(١) ذلك منه إلينا . فسمعناه من أبي النضر

القاوقجي ، وأبي حفص العطار ، وأبي عبد الله بن جعفر ، وغيرهم . من طريق عابد السندی ، وأبي الحسن القاوقجي ، وابن عقيلة ، وآخرين .

وروى الخطيب أيضاً عن ابن المديني ، قال : حدثنا حفص بن غياث ، قال سمعت طلق بن معاوية يحدث عن أبي زرعة عن أبي هريرة فذكر خبراً ، ثم قال :

حفص سمعت هذا الحديث منه منذ سبعين سنة ولم أبلغ عشر سنين ، وعن أبي بكر ابن عياش ، قال : قال رجل للأعمش : هؤلاء الغلمان حولك ، قال : اسكت

هؤلاء ؛ يحفظون عليك أمر دينك .

(١) هذا من المسلسلات الثمانية التي أشرنا إليها في مسلسل المصاحفة .

وعن الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد : أن الأوزاعي سئل عن الغلام يكتب الحديث قبل أن يبلغ ؟ فقال : إذا ضبط الإملاء ، جاز سماعه وإن كان دون العشر ، واحتج بحديث سبرة بن معبد (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

وعن إبراهيم الحربي قال : مات عبد الرزاق والدبري^(١) ست سنين أو أربع سنين والدبري هو رواية كتب عبد الرزاق كلها . وقد شحن الأئمة والحفاظ كتبهم بالرواية عن عبد الرزاق من طريق الدبري ، وكذلك أبو عمرو الهاشمي ، رواية سنن أبي داود . عن اللؤلؤي ، سمعه عليه أربع مرات ، آخرها وهو ابن خمس سنين ، فاعتمد الحفاظ روايته وسمع من لا يحصى منهم السنن ، من طريقه ، إلى غيرهم من يستحيل على الخلق إحصاؤهم ، فن القرن الثاني إلى أواخر القرن التاسع ، وآلاف المخلوقات تسمع الحديث وتسمع أبناءها في سن الطفولة^(٢) والصب ، بل وفي سن الرضاع ، كما هو معلوم ، لأهل هذا الشأن ، وما في كتب الرجال وطبقات محدثين وإن كثرت فإنما هو قطرة من بحر .

وقد نص على هذا شيوخ الفن وأئمة ، كابن الصلاح ، وابن الأثير ، والنووي والبلقيني ، والعراقي ، وآخرين .

(١) اسمه إسحاق الدبري ، بفتح الدال والباء .

(٢) وكثيرا ما تجد في الأجزاء الحديثية ، وفي كتابة الطبايق : حضورا في الخامسة أو الرابعة مثلا ، يعنون أن الراوي حضر وهو في سن الخامسة أو الرابعة وهذا لا يكاد يخلو منه جزء ولا طبايق . وقد بلغ درجة الاجتهاد الشريف التمساني أحد أئمة المالكية الواصلين إلى درجة الاجتهاد . نبغ في العلم وهو دون البلوغ وتصدر للتدريس في ذلك السن ، فرآه رجل يدرس لاطلبة في رمضان وهو مفطر ، فسأله على سبيل التنسكيت بقوله : أحاض الشيخ أم نقساء ؟ فأجابه الشريف : لم أبلغ الحلم ياطويل الأذان ! ولشريف هذا كرامات عديدة رضى الله عنه .

قال ابن الصلاح : يصح التحمل قبل وجود الأهلية فتحمل رواية من تحمل قبل الإسلام ، وروى بعده ، وكذلك رواية من سمع قبل البلوغ ، وروى بعده ، ومنع من ذلك قوم فأخطأوا ، لأن الناس قبلوا رواية أحداث الصحابة كالحسن بن عليّ وابن عباس وابن الزبير والنعمان بن بشير وأشباههم ، من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ وما بعده ، ولم يزالوا قديماً وحديثاً يحضرون الصبيان مجالس التحديث والسماع ، ويعتدون بروايتهن لذلك . هـ بل قد حددوا السن الذي يصح معه التحمل بخمس سنين ، وترجم البخاري لذلك في الصحيح (باب متى يصح سماع الصغير) ثم أخرج حديث محمود بن الربيع ، قال : عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم حجة مجها في وجهي ، وأنا ابن خمس سنين من دلو ، بل جوز بعضهم السماع في سن الأربع ، على ما في بعض الروايات لحديث محمود .

قال القاضي عياض : حدد أهل الصنعة في سن التحمل والسماع أن أقله سن محمود بن الربيع ، فذكر الحديث ثم قال : في رواية أخرى له أنه كان ابن أربع سنين ، أسنده عنه ابن الصلاح . ثم قال : والتحديد بخمس هو الذي استقر عليه عمل أهل الحديث المتأخرين فيسكتبون لابن خمس فصاعداً سمع ولمن لم يبلغ خمسا حضر أو أحضر ، فأين سن الحسن من سن الأربع عشرة التي كان فيها الحسن البصري يوم خروج عليّ من المدينة ، على أن الذي ارتضاه المحققون هو عدم التحديد بالخمس وأن المدار على الفهم والتميز الذي قد يحصل لبعض الأفراد دون سن الخمس .

قال ابن الصلاح : والذي ينبغي في ذلك أن يعتبر في كل صغير حاله على الخصوص فإن وجدناه مرتفعاً عن حال من لا يعقل فهما للخطاب ورداً للجواب ونحو ذلك صححنا سماعه ، وإن كان دون خمس ، وإن لم يكن كذلك لم نصحح سماعه وإن كان ابن خمس بل ابن خمسين ، وقد بلغنا عن إبراهيم بن سعيد

الجوهري قال : رأيت صبيا ابن أربع سنين وقد حمل إلى المأمون قد قرأ القرآن ونظر في الرأي غير أنه إذا جاع بكى ، وعن القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد الأصماني قال : حفظت القرآن ولي خمس سنين وحملت إلى أبي بكر المقرئ لأسمع منه ، ولي أربع سنين فقال بعض الحاضرين لا تسمعوا له فيما قرأ فإنه صغير فقال لي ابن المقرئ اقرأ سورة الكافرين ، فقرأتها فقال : اقرأ سورة الكوثر فقرأتها ؛ فقال لي غيره : اقرأ سورة الرسائل فقرأتها ، ولم أغلط فيها ، فقال ابن المقرئ : إسمعوا له والعهد على ، قال : وأما حديث محمود بن الربيع فيدل على صحة ذلك من ابن خمس مثل محمود . ولا يدل على انتفاء الصحة فيمن لم يكن ابن خمس ، ولا على الصحة فيمن كان ابن خمس ، ولم يميز تمييزاً محموداً . ١ هـ .

وقال النووي : إن التقييد بالخمس أنكره المحققون ، وقالوا : الصواب أن يعتبر كل صبي بنفسه ، فقد يميز لدون خمس ، وقد يتجاوز الخمس ولا يميز ؛ هـ بل نقل الزركشي في (البحر المحيط) عن أبي نصر القشيري حكاية إجماع أهل الحديث على أن الصبي المميز يصح منه التحمل . وإن لم يفهم المعنى . بدون تقييد بسن مخصوص .

فصل

فإذا صح أن المعتبر هو التمييز فقط ، وصح التحمل في سن الرابعة فالحسن أولى بذلك لأمو .

الأمر الأول : أنه كان في سن المراهقة قد ناهز الاحتلام ، وجاوز سن التمييز .

الأمر الثاني : أنه كان قد حفظ القرآن ، ولازم الصلاة في الجماعة فربضة ونافلة وحضر خطب عثمان ، كما تقدمت الأسانيد بذلك .

الأمر الثالث أنه كان كامل المنظر وافر العقل ، متفوقا على أقرانه ، ومن هو في سنه كما تقدم في قول الحجاج له : والله لعينك أكبر من أمدك ، فإن من يكون كذلك يكون متفوقا على أقرانه في العقل والتمييز .

الأمر الرابع : أنه أتى موهبة كبرى ، وفتوحا خاصا من صغره ، بسبب ارتضاعه من بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهى أم سلمة رضى الله تعالى عنها .

قال أبو نعيم في الحلية . حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن محمد بن أبي كامل ، ثنا هوزة بن خليفة ، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، قال : كان الحسن ابنا لجارية أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعثت أم سلمة جارتها في حاجتها فبكى الحسن بكاء شديدا فرقت عليه أم سلمة ، فأخذته فوضعت في حجرها فآلقت به ثديها فلدغ عليه ، فشرب منه فكان يرى أن المبلغ الذى بلغه الحسن من الحكمة بذلك اللبن الذى شربه من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال ابن سعد فى الطبقات بعد ذكره أن أم الحسن كانت مولاة لأم سلمة رضى الله عنها : فيذكر أن أمه ربما غابت فيبكي الصبي ، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلقه به إلى أن تحبب أمه ، فدر عليه ثديها فشربه ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك ه .

وهكذا رواه محمد بن سلام الجمحى عن أبي عمرو الشعاب ، وذكره غير واحد من المتقدمين كأبن قتيبة وابن الجوزى وآخرين .

فصل

فبان مما ذكرنا من الوجوه ثبوت الاتصال وعدم الانقطاع ، وأن الخرقه بالنسبة لرواية الحسن البصرى عن علي عليه السلام صحيحة متصلة على شرط

البخارى ومسلم ، وجميع أهل الحديث والأصول ، من مخفف ومتشدد ، ففى (تقريب) النووى وشرحه للحافظ السيوطى : الإسناد الممنوع قيل أنه مرسل حتى يقين اتصاله ، والصحيح الذى عليه العمل . وقاله الجاهير من أصحاب الحديث والفقهاء والأصول : أنه متصل ، قال ابن الصلاح : ولذلك أودعه المشترون للصحيح فى تصانيفهم ، وأدعى أبو عمر والدانى إجماع أهل النقل عليه ، وكاد ابن عبد البر يدعى إجماع أئمة الحديث عليه ، قال العراقى : بل صرح بادعائه فى مقدمة التمهيد بشرط أن لا يكون الممنوع مدلسا ، وشرط إمكان لقاء بعضهم بعضا ، وفى اشتراط ثبوت اللقاء وطول الصحبة ومعرفة الرواية عنه خلاف ، منهم من لم يشترط شيئا من ذلك واكتفى بإمكان اللقاء ، وعبر عنه بالمعاصرة ، وهو مذهب مسلم بن الحجاج ، ادعى الإجماع فيه فى خطبة صحيحة ، وقال : إن اشتراط ثبوت اللقاء قول مخرع لم يسبق قائله إنى ، وإن القول الشائع المتفق عليه بين أهل العلم بالأخبار قديما وحديثا : أنه يكفى أن يثبت كونهما فى عصر واحد ، وإن لم يأت خبر قط أنهما اجتمعا أو آسافها .

ومنهم من اشترط اللقاء وحده ، وهو قول البخارى وابن المدينى والحققين من أئمة هذا العلم ، إلا أن البخارى لا يشترط ذلك فى أصل الصحة ، بل التزمه فى جامعهم فقط ، وابن المدينى يشترطه فيها . ونص على ذلك الشافعى فى الرسالة .

ومنهم من اشترط طول الصحبة ، وهو أبو المظفر السمعانى .
ومنهم من اشترط معرفته بالرواية عنه ، وهو أبو عمرو الدانى .
واشترط أبو الحسن النجاشى أن يدركه إدراكا بينا ، حكاه ابن الصلاح .
قال شيخ الاسلام الحافظ من حكم بالإقطاع مطلقا شدد ، وبإياه من شرط طول الصحبة ، ومن اكتفى بالمعاصرة مهمل ، والوسط الذى ليس بعده إلا التعمت مذهب البخارى ومن وافقه ه .

فهذه الشروط كلها متوفرة في رواية الحسن عن علي عليه السلام ، بالنعنة فإنه عاصره وأدرك من حياته نحو عشرين سنة ، وكان معه في بلد واحد ، إلى أن بلغ خمس عشرة سنة أو أربع عشرة كما هو شرط مسلم ، ولقيه ، واجتمع به وجلس في حلقاته ، وصلى خلفه في الفريضة ، منذ بلغ سن السبع أو دونه ، وصلى خلفه في رمضان عشرين ليلة ، كما هو شرط البخاري وطالت صحبته إياه في المدينة المنورة ، لأنه كان جاراله في بيت أم سامة ، وكان يجلس في حلقاته كما هو قول أبي المظفر السمعاني ، مع أنه قول باطل يخالف لأشد الناس شروطا ، وهو البخاري ، فضلا عن غيره ، وهو معروف بالرواية عنه كما سبقت أحاديثه وأخباره في ذلك كما هو قول أبي عمرو الداني ، مع أنه قول باطل أيضاً . وقد أدرك عليا إدراكا بينا أبين من إدراك كثير من الصحابة الذين أجمعت الأمة على صحبتهم وصحة أحاديثهم كما بينا ذلك سابقا ، كما هو قول أبي الحسن القاسمي ولا يغيب عنك أن هذه الشروط كلها في الحديث الممنوع ، وأما ما صرح فيه بالسماع مع الثقة والعدالة فهو بمعزل عن كل هذا . لأن تصريحه بالسماع مع ثقته وعدالته تقتضي على كل احتمال ولا تحتاج إلى شرط ، ولا احتياط ، وإلا كان كاذبا غير عدل ولا ثقة ، والمفروض خلاف ذلك وقد علمت تصريح الحسن بالسماع من علي فأتضح سماع الحسن من علي ، وصحة رواية الخرقه عنه وضوح الشمس في رابعة النهار .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فإن قيل : هذا فيما يتعلق بالرواية وسماع الحديث والصوفية لا يروون من طريق الحسن عن علي مجرد الإلباس والتلقين اللذين هما من قبيل الرواية كما قررته سابقا ، وشرحته ، بل يستندون من جهة الصحة والافتداء والأدب والسلوك وما ينشأ عنها من مواهب وأسرار وعلوم ومعارف ، وذلك يحتاج إلى طول

صحبة وملازمة وإلى سن يليق بذلك ، وسن الحسن البصرى وصحبته لعل لا تسكنى
فى المطلوب على ما يريد الصوفية .

فالجواب من وجوه :

الوجه الأول : أن الحسن صحب عليا من سن تميزه ، وهو سن الخمس إلى
أن بلغ من العمر أربع عشرة سنة فصحبته نحو تسع سنين أو ثمانية ، وتأدب
بأدبه واهتدى بهديه ، لأنه كان جارا له فى بيت أم سلمة التى كانت حريصة
على تأديبه وتعليمه ، وكانت ترسله لأفاضل الصحابة يحفكونه ، ويبركون عليه
ويدعون له ، فكيف تغفله عن الاتصال بأعلم الصحابة وأعرفهم بالله فى عصره
على بن أبى طالب الذى كان لها به وبأهل بيته مزيد اتصال وكامل محبة .

الوجه الثانى أن فوائد الصحبة للكمل والتأدب بأدبهم والاهتداء بهديهم
تحصل للراغب فيه فى أقرب وقت ، وأقل اتصال ، كما حصل لكثير من الصحابة
برؤية النبى صلى الله عليه وسلم ، والتابعين برؤية الصحابة ، وغيرهم بصحبة
العارفين ، فكيف بالحسن البصرى الخصوص بالعبادة والترتبة فى بيت النبوة ،
وحجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، والذى كان ينطق بالحكمة حتى قيل فيه
إن كلامه يشبه كلام الأنبياء ؟ وقد صحب أفضل الصحابة فى عصره وأعرفهم
بالله تعالى ، وعميد أهل بيت النبوة ، وباب مدينة العلم ، وأخا النبى صلى الله
عليه وسلم وخليفته الباطنى ، وموضع علمه وسره ومرجع الصوفية ، ومدد الأولياء
لأجرم أن يكون أولى من جميع من بعدهما فى ذلك .

قال أبو حامد الفاسى فى (مرآة المحاسن) لما تكلم على الحسن البصرى :
ولو لم يثبت له من على كرم الله وجهه غير الرؤية لكفت ، فإن خصوصية
الصحبة والتابعة تسكنى فى حصولها الرؤية ، ومن المشايخ من يوصل إلى الله
بنظرة وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى فى تلميذه أبى العباس رضى الله عنهما :
أبو العباس هذا إذا نظر إلى رجل أغناه ، فذلك فى حق على كرم الله وجهه من

أقرب القريب بالأولوية الواضحة ، لاسيما في حق الحسن المستعد لقبول ذلك النور ، ويكفيه خصوصية التقام الندى الطاهر ، فإنه به متأهل لذلك (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ه .

وقال أخوه أبو العباس أحمد (في المنح الصافية) ولا مانع من أخذ الحسن رضى الله عنه عن على كرم الله وجهه كما يقوله الصوفية أهل البصيرة الصافية رضى الله عنهم ، حيث ثبتت الروبة ، لأن هذه الطريقة لما كانت ليس المعتبر فيها أخذ المريد وتلقيه من الشيخ باللسان ، بل المقصود منه أن يحصل على سبيل الهمة والحال هداية المريد ، وإشراق الأنوار في قلبه ، ويحصل له بسببه تجليات وأنوار من ربه ، وبطلع على حقيقة العلم ، ومكنون السر ، حتى ينقطع إليه ، ويؤثر خدمته ويقبل عليه ويرفض ما سواه ، إلى غير ذلك من المواهب التي هذه من أوائلها ، كما قال قطب زمانه أبو الفضل ابن عطاء الله في (المنن) وليس شيخك من سمعت منه ، إنما شيخك من أخذت عنه ، وليس شيخك من واجهتك عبارته ، إنما شيخك الذى سرت فيك إشارته ، وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، إنما شيخك الذى رفع بينك وبينه الحجاب ، وليس شيخك من واجهك مقاله ، إنما شيخك الذى ينهض بك حاله ، شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ، ودخل بك إلى المولى ، شيخك هو الذى ما زال يحلو مرآة قلبك ، حتى تجلت فيه أنوار ربك ، نهضك إلى الله فنهضت إليه ، وصار بك حتى وصلت إليه ، وما زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه ، فزج بك في نور الحضرة وقال : ها أنت وربك ، هنالك محل الولاية من الله ، وموطن الإمداد من الله ، وبساط التلقى من الله إلى آخر كلامه . وإذا كان في أولياء الله تعالى من بغى بنظرة ويكسب الطابى الصادق حالا وحياة ، كما قيل : لله عباد إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه سعادة ، وكما قال القطب أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه في

تلميذه أبي العباس المرسى رضى الله عنه : فوالله إنه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه ، فلا يمسى عليه المساء إلا وقد وصله إلى الله تعالى ، وقال القطب أبو العباس المرسى فى نفسه والله ما بينى وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة ، وقد أغنيته . فكيف لا يكون هذا فيمن قال فيه صلى الله عليه وسلم (على منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى) كما رواه الشيخان فى صحيحهما ، وقال فيه أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم (على منى وأنا منه ، لا يؤدى عنى إلا أنا أو على) أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

وقال فيه الشيوخ رضى الله عنهم : إنه أعطى العلم الدنى ، ولا تصح النسبة إلى الولاية الحقيقية والمعارف الأهلية إلا من جهته وحقيقته ، فهو إمام الأولياء الحمديين كلهم ، وأصلهم ، ومنشأ انسابهم . إلى الحضرة الحمدية ، إلى آخر ما سبق عنه .

وقال الشيخ زروق فى (عدة المريد الصادق) : اعلم أن الأولياء الأوائل من القوم ، لم يكن لهم ترتيب فى المشيخة معروف ، ولا اصطلاح مألوف ، وإنما كانت الحبة واللقاء ، فكان الأدنى منهم إذا لقي الأعلى ، استفاد برؤيته أحوالا ، لأن من تحق بحالة لم يحل حاضره منها ، والأحوال موروثه ، فلذلك قال ابن العريف : كيف يفاج من لم يخاط مفلحا ؟ وكان الصحابة ينتفعون برؤيته عليه الصلاة والسلام ، حتى قال أنس رضى الله عنه : ما نفضنا أيدينا من تراب عند دفنه . صلى الله عليه وسلم ، حتى أنكرنا قلوبنا هـ .

وقال العارف ابن عراق فى رسالته فى الخرقه والتلقين : واعلم أن من شرط الذكر أن يتلقى من أفواه سادات الرجال ، فإن لذلك شأنًا عجيبيًا ، وخاصة غريبة ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم الرجل المسلم بالنخلة حيث قال لأصحابه (إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل الرجل المسلم حدثونى ما هى) قال الراوى . وهو عبد الله بن عمر فوقع الناس فى شجر البوادرى ، ووقع فى نفسى أنها النخلة ،

ثم قالوا حدثنا : ماهى يا رسول الله ؟ قال : (هى النخلة) وذلك ليعلم أن النخلة لا تثمر أبداً ما لم تؤبر^(١) فكذلك المريد الصادق ما لم يتلقن الذكر من شيخ داع إلى الله على بصيرة ، ويمده بها ويحفظه ببصره ، لا تثمر شجرة وجوده ، ولا يربط بلحه ولقد أحسن من قال من العارفين بالله الدالين عليه : يبلغ المريد الصادق بنظر شيخه إليه ما لا يبلغه بجتهاده ألف سنة . ولقد صدق الفقيه الأجل محمد بن الحسين البجلي نفع الله به فى رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم قال : قلت ياسيدى يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال : وقوفك بين يدى ولى من أولياء الله كلب شاة ، أو شىء بيضة ، خير لك من أن تعبد الله حتى تنقطع إرباً إرباً . فقلت له ياسيدى حيا كان أو ميتاً ؟ قال : حيا كان أو ميتاً ، فالمرید الصادق لا يشوص^(٢) نخيله ، والشيخ السابق لا يخيب نظره .

وقال ابن الميالى فى حق الشيخ المربى الكامل :

والعبد هذا هو الحر الذى حصلت له الخلافة جل الله معطيه
أوصافه ظهرت من وصف مبدعه وكله مظهر يبدى تجليه
إذا روى ذكر المولى برويته وفاز بالسعد والتقريب رائيه

قال ابن علان فى شرح البيت الأخير إذا روى هذا العبد ذكر المولى برويته ، كما ورد فى وصف الصالحين (الذين إذا رؤوا ذكر الله) لأن نور قلبه مشرق على وجهه (سيأهم فى وجوههم) فمن رآه ، رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، ومن تم له ذاك فاز بالسعد والقرب ، قال ابن علوان رضى الله عنه .
سعدت أعين رأتك وقرت وكذا أعين رأت من رآك

(١) تأبير النخل : تلقيحه .

(٢) يقال تشييص النخل إذا لم يثمر لعدم تلقيحه ، أما الشوص فهو التنظيف .
شاص فمه بالسواك نظفه به والمضارع يشوص بضم الشين .

ومثلوا ذلك بالشمس إذا أشرقت على جدار ، وفي مقابل ذلك الجدار ، جدار آخر ، فيشرق ذلك الجدار الآخر ، لمواجهة للجدار الذي أشرقت عليه الشمس ، وهذه طريقة معروفة عند المشايخ ، يسمونها بالرابطة ، وهى رؤية وجه الشيخ ، فإنها تثمر ما يثمر الذكر ، بل هى أشد تأثيرا لمن عرف شروطها وآدابها ، وذلك إنما يكون للشيخ الكامل الفانى المشرق بالتجليات الذاتيات ، ومن ذلك كانت تربيته صلى الله عليه وسلم للصحابة ، فكانوا يستغنون برؤية طلعتة الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة ، وينتفعون بأنوار طلعتة السعيدة أكثر ما ينتفعون بالأذكار فى مدة مديدة ، ولهذا كانت درجة الصحابة لا تضاهى ، والاجتماع بالمشايخ ولو ساعة مرتبة بها يقبأه ، اجتمع شخصان فى طريق ضيق ، فقال أحدهما الآخر : تقدم ، فقال : بم استحق التقدم عليك : فقال : لأنك صحبت الجنيد نصف يوم ، فجعل مصاحبتة للجنيد نصف يوم ، فضيلة يستحق بها التقدم عليه . وهكذا أهل الإنصاف هـ .

وقال ابن عجيبة فى شرح تائمة شيخه العارف البوزيدى رضى الله عنهم :
فيا سعد من كان له مجاوراً ، يقول رضى الله عنه : يأسعده ، يا بشره من كان مجاوراً لصاحب هذه الروح الصافية ، التى سبقت لها العناية ، ولاحت عليها أنوار الولاية ، لأنه يدرك بصحبته فى ساعة واحدة على سبيل التعظيم والحببة من العلوم والأسرار والمعارف والتمكين ، ما لا يدركه فى سنين متطاولة بالرياضة والمجاهدة فما بالك إذا طالت الصحبة والخدمة ؟

وقال ابن عباد فى شرح الحسك عند قول ابن عطاء الله : لا تصحب من لا ينهضك حاله ، بعد أن ذكر وصف المنتفع بصحبتهم ، وفى صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ، ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات ، وأنواع المكابدات ، حتى يبلغوا من ذلك إلى أمر لا يسهه عقل عاقل ، ولا يحيط به علم ناقل ، قال سيدى أبو العباس رضى الله عنه ماذا أصنع بالكيميا ؟ والله لقد صحبت

أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة ، فيشير إليها فتشمر رمانا للوقت ، فمن يحب مثل هؤلاء الرجال ، ماذا يصنع بالكيمياء ؟ وقال أيضاً رضى الله تعالى عنه : والله ما سار الأولياء والإبدال من قاف إلى قاف ، إلا حتى يلتقوا واحدا مثلنا . فإذا لقوه كان بغيتهم ، وقال أيضاً رضى الله تعالى عنه الولي إذا أراد أغنى . وقال أيضاً رضى الله تعالى عنه : ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته . وقال في شيخه أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : أبو العباس هو الرجل الكامل ، والله إنه ليأتية البدوى يبول على ساقيه ، فلا يمسى عايه المساء ، إلا وقد أوصله إلى الله ه .

وقال الشيخ زروق في شرح الحكم ، عند قول ابن عطاء الله : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه ، ما نصه : وقد استقر صحيحاً أنه ما خالط أحد صادقاً إلا نفعه الله تعالى على قدر همته ، كما قيل : على قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وقد قال شيخنا أبو العباس الحضرمي رضى الله عنه في كتابه (صدور المراتب) فهنيئاً مريئاً لمن ذاق ، أو ذاق بعض ما ذاق . أهل الأذواق ، أو رأى من ذاق . فقد قال : (المطر قريب عهد بربكم) فيستحب البروز فيه ، والتبرك عند نزول المطر ، هكذا ذكره الشارع صلى الله عليه وسلم وهو مطر من السحاب ، فما ظنك بالموثمن العارف بالله فمن الأخرى والأولى النظر إلى العارف بالله والصادق بالله والسائر لله النظر إليه بالتأثير فيه سعادة الدنيا والأخرى عند مصادفة الحل والتوفيق ، وقد تقدم من كلام الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش يوصي الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنهما ، وأصح من إذا ذكر ذكر الله . فالله يغني به إذا شهد ، وينوب عنه إذا فقد ، ذكره نور القلوب ، ومشاهدته مفتاح الغيوب ه ، ومما يدل على أن رؤية العارف تزيد من نور المعرفة وغيرها ، قول أنس رضى الله عنه : ما نفضنا التراب من أيدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجدنا

النقص في قلوبنا ، وبالجلة فأولياء الله تعالى أبواب الله ، ومعرفة فهم منفتح
تلك الأبواب ه .

وقال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) في ترجمة الحسن البصري :
وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم يسمع من
كلامه ولم ير عمله ه .

قلت : هذا والله حال كبار العارفين الذي أخبر به كل من رآهم وترجم لهم ،
ورأى نفا عيانا والحمد لله : فكيف لا يكون على كذلك ؟ وقد شهد له النبي صلى الله
عليه وآله وسلم بذلك . وأشاد إليه بقوله صلى الله عليه وسلم (النظر إلى علي
عبادة) فلم يكن عبادة إلا لسكون الرأي يستفيد بالنظر إليه حالا وخشية وإيمانا
ورغبة في الآخرة . محبة في الله تعالى ، فكيف بمن جالسه وخالطه وسمع منه ،
ولا سيما مثل الحسن البصري . قال : الحاكم في (المستدرک) حدثنا دعلج ابن أحمد
السجزي ، ثنا علي بن عبد العزيز بن معاوية ، ثنا إبراهيم بن إسحاق الجعفي ،
ثنا عبد الله بن عبد ربه العجاسي ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن حميد بن عبد الرحمن
عن أبي سعيد الخدري ، عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (النظر إلى علي عبادة) قال الحاكم : هذا الحديث صحيح الإسناد ،
وشواهد عن عبد الله بن مسعود صحيحه ، وتعقبه الذهبي ، فقال : بل موضوع .

قلت : كذب والله الذهبي واقتري ، إذ حكم على الحديث بالوضع ، دون
أن يبين سبب ذلك ، ولا أن يكون في سنده راو ضعيف ، ولا ذكر هو واحداً
منهم في الضعفاء . فتبجح الله النواصب أعداء آل البيت الكرام ، والحديث صحيح ،
كما قال الحاكم ، وله طرق كثيرة بلغ بها حد التواتر ، على رأي جماعة . إذ زادت
على عشرة . والحديث عمران هذا طريق آخر . قال أبو مسلم الكشي : حدثنا
أبو نجيد عمران بن خالد بن طليق ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمران بن حصين ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النظر إلى وجه علي بن أبي طالب

عبادة » قال أبو عبيد : قال ابن الأعرابي : تأويله أن علياً كان إذا برز ، قال الناس : لا إله إلا الله ، ما أشرف هذا الفتى ، لا إله إلا الله ، ما أشجع هذا الفتى ، لا إله إلا الله ، ما أعلم هذا الفتى ، لا إله إلا الله ، ما أكرم هذا الفتى . كذا أسنده ابن الأبار في (معجم أصحاب الصرف) من طريق الكشي . ورواه الطبراني عن الكشي به ، وفيه : رأيت عمران بن حصين يحد النظر إلى عليّ ، فقليل له ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « النظر إلى عليّ عبادة » وهذا سند حسن . وقد ذكر الذهبي في (الميزان) : عمران بن خالد ، فقال : روى عن آبائه حديث النظر إلى علي عبادة . رواه عنه يعقوب النسوي ، وهذا باطل في نقدي .

قلت : شكك باطل فاسد ، فيه كل حديث ورد بفضل عليّ فهو موضوع ، فقبح الله : بدأ يبطل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهوى ، مع بغض آل بيته الكرام ، وقد تعقبه الحافظ صلاح الدين العلائي ، فقال : الحكم عليه بالبطالان بعيد ، ولكن كما قال الخطيب : غريب ه ، أي والغريب يجمع الصحيح كما هو حال أكثر الأحاديث الصحيحة ، ومع ذلك فليست غرابته مسامة ، ولا يقصدون الغرابية من جهة الإسناد ، ولكن من جهة المعنى ، إذ لم يفهموا كون النظر إلى عليّ عبادة ، ولا تصوروا معناه ، لبعده عنهم ، فاستغربوه ، وهو أولى وأسلم من تهجم الذهبي الخبيث ، ومع كونه لم يذكر في عمران جرحاً ، فعمران أيضاً لم ينفرد به ، بل توبع عليه .

قال أبو بكر أحمد بن شاذان في مشيخته : حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد البوشنجي يعرف بابن الأزهر ، ثنا العباس بن بكار بالبصرة ، حدثني خالد بن طليق الخزاعي به . وخالد وإن قال الدارقطني ليس بالقوى ، فقد ذكره ابن أبي حاتم ، وقال : إنه كان قاضي البصرة ولم يذكر فيه جرحاً ، وقال : الساجي صدوق يهيم ، وذكره ابن حبان في الثقات ، فكل من طريق عمران صحيح على

انفراده ، فكيف باجتماعهما ، فكيف مع وروده من حديث عبد الله بن مسعود وعائشة وأبي بكر وعثمان وثوبان وأبي هريرة وابن عباس وجابر بن عبد الله وأنس . فالحديث بمجموع طرقه صحيح البتة ، أو متواتر على رأى من يكتفى في التواتر بعشرة ، ومعناه ما قررناه من انتفاع الرأى لعلى عليه السلام في الباطن ، لمن كان فيه الاستعداد لذلك ، كالحسن البصرى ، والله أعلم .

الوجه الثالث : أن الانتفاع المذكور ، والفتح الإلهى لا يختص بالكبار دون الصغار ، فقد فتح على قوم في سن الصبا ، أو ظهرت لهم بوادر الفتح ، ثم حصل الفتح التام في حال الكبر ، وحال الحسن البصرى مع على عليه السلام ، لا يخرج عن هذين الأمرين إما أن يكون الله تعالى أكرم به بالفتح في صباه على يد على عليه السلام أو حصلت له على يديه مقدمات ذلك وتم له الأمر بعد الكبر .

وقد ذكر ابن عطاء الله : في بعض نسخ لطائف المنن عن أبي الحسن الشاذلى رضى الله عنه قال : سلك سيدى عبد السلام الطريق وهو ابن سبع سنين ، وظهر له من الكشف أمثال الجبال ، ثم خرج إلى السياحة ، وأقام بها ستة عشر سنة ، قال : فدخل عليه يوماً شيخ في مغارة ، فقال له : من أنت ؟ قال له : أنا شيخك ، قد كنت ابن سبع سنين ، وكل ما كان يصلك من المنازل فهو منى ، وهو كذا وكذا لجميع ما جرى له من الأحوال ، وكان سكناه بالمدينة ، وكان يحىء إليه ويعلمه ويفيده ؛ فقلت له : يا سيدى كان يأتيك طياً أو سافراً ؟ قال : فى ساعة يأتينى ويروح ، قلت يا سيدى : وكنت أنت تروح إليه ؟ قال : نعم ه ، وهذا الشيخ هو سيدى عبد الرحمن المدنى العطار ، وتقدم أن سيدى علياً وفا فتح له على يد والده سيدى محمد ، وأنه شيخه لا شيخ له فى الطريق غيره ، مع أنه لما توفى تركه ابن ست سنين .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : كنت مع أستاذى يعنى القطب ابن مشبش ؛ ومعه ابن له صغير . فخطر ببالى أن أسأل الأستاذ عن الإسم الأعظم فكشفنى الصبى وقال لى : يا أبا الحسن ليس الشأن أن تعرف الإسم .

إنما الشأن أن تكون أنت عين الإسم؛ فتبسم الأستاذ . وقال لى : أجابك عنا ولدنا . ولكم لهؤلاء من نظير . وأول من حصل له ذلك السبطان عليهما السلام . واسطة جدّها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وقد تركهما عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى دون عشر سنين . وقد نص أكابر الأقطاب على أن أول الأقطاب هو سيدنا الحسن السبط عليه السلام .

فصل

وقد أدخل جماعة في سند الخرقه والتلقين بين الحسن البصرى وعلى ابنه الحسن السبط عليهما السلام ، منهم الساحلى فى (البغية) والفاسى فى (المنح البادية) والبدير فى (الجواهر الغوالى) وآخرون ، فإن كان ثابتا من جهة النقل فهو من المزيّد فى متصل الأسانيد . لأن سماع الحسن من على ثابت لا يحتاج إلى واسطة .

فصل

ومع ثبوت لقاء الحسن عليا عليه السلام ثبوتنا لا شك فيه ولا شبهة ، كما يعلم مما أسلفناه ، فالخرقة لم يفرد بها الحسن البصرى عنه ، بل وردت عنه من طرق أخرى .

الطريق الأول عن الحسن السبط عليه السلام عنه كما سبق فى سند الطريقة الشاذلية من رواية جابر عنه .

الطريق الثانى عن أويس القرنى ، عن عمر ، وعلى ، كما سبق أيضا مع الكلام على كل من الطريقين .

الطريق الثالث عن الحسين السبط عليه السلام عنه ، ويتصل من جهة عدة طرق منها الطريقة العلوية ، وقد أفرد سندها وتراجم رجاله بمؤلفات منها (البرقة الشيقة فى ذكر لباس الخرقه الأنيقة) لاسيد أبى الحسن على بن أبى بكر السكران (١٥ — البرهان الجلى)

المتوفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة وكنز (البراهين الكسبية) للسيد شيخ بن محمد الجفري المتوفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف (وعقد اليوقيت الجوهريّة) لشيخ بهض شيوخنا السيد عيدرروس بن عمر الحبشي . وغيرها . قال : السيد علي بن أبي بكر السكران في البرقة المشيقة وفي كتابه (الأتمودج اللطيف في مناقب الفقيه) المقدم محمد بن علي باعلوى : أخذ الفقيه المذكور وتأدب بأبيه الحسين النسيب علي بن محمد ، وعلي بن محمد تأدب بأبيه الإمام الحلق والبهر المدفق الشيخ محمد بن الشيخ علي علوى ، والفقيه محمد تأدب بأبيه الشيخ الكبير صاحب الكرامات الخارقة والمكاشفات المشرقة ، علي بن الشيخ علي والشيخ علي هذا من كراماته : أنه كان إذا قال في تشهده في الصلاة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول له وعليك السلام ياشيخ ورحمة الله وبركاته ، والشيخ علي بن علوى المذكور تأدب بوالده الشيخ الشريف علوى بن الشيخ محمد بن علوى والشيخ علي تأدب بأبيه الشيخ الحسين النسيب الشريف محمد بن علوى والشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الله تأدب بالشيخ الحسين السني علوى بن الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد ، والشيخ علي بن عبد الله تأدب بأبيه الشيخ أبي اسباخ سلاله المبشر والغبوة ، ومعدن العلم والفتوة ، أبي علوى عبد الله بن الشيخ أحمد بن عيسى ، والشيخ عبد الله تأدب بوالده الشيخ الكبير سلاله المجد الأئيل كمال الدين أحمد بن الشيخ عيسى ، وأحمد بن عيسى هذا هو الذي خرج إلى حضرموت من البصرة ، والشيخ أحمد تأدب بأبائه الشيخ السيد الإمام الفضل ، والبحر الكامل مجموع أنواع الحاسن نور الدين علي بن الإمام جعفر الصادق ، وبأدب أخيه موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، والإمام جعفر تأدب بوالده الشيخ الإمام محمد الباقر ، ومحمد الباقر تأدب بوالده الإمام زين العابدين علي بن الحسين ، وعلي بن الحسين تأدب بوالده سبط الرسول

نجل البتول الحسين ، والحسين تَدَبُّبُ والده الأمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب
وعلى بن أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :
(أدبني ربي فأحسن تأديبي) ه .

ومنها الطريقة البخارية الشاهية المنسوبة إلى جلال الدين البخاري وإلى
الشاه عالم .

قال الشيخ فقير الله بن عبد الرحمن الحنفي من ذرية محمد بن الحنفية في
كتابه (قطب الإرشاد) : أخذتها عن الشيخ العلامة المحقق محمد هاشم التتوي
عن السيد الشريف الجامع بين كمال الظاهر والباطن السيد محمد سعد الله بن
السيد عالم محمد السورتي ، عن شيخه القطب الكامل ، مظهر النور شاه
عبد الشكور ، عن السيد الشريف شاه عوفي الجهنجاني ، عن السيد شاه أبي الوقاء ،
عن السيد تاج الدين ، عن السيد فريد عالم ، عن شاه عالم ، عن السيد قطب عالم ،
عن السيد محمود ، عن السيد جلال الحق والدين البخاري ، المعروف بمخزوم
جهانيات ، عن السيد أحمد الكبير ، عن السيد حسين جلال الدين البخاري
الكبير ، عن السيد علي ، عن السيد جعفر ، عن السيد محمد ، عن السيد محمود
عن السيد أحمد عن السيد عبد الله ، عن الإمام السيد علي الأسقي ، عن الإمام السيد
جعفر ، عن الأمام السيد علي ، عن الأمام السيد محمد الجواد ، عن الإمام السيد
علي الرضي ، عن والده السيد الامام موسى الكاظم ، عن والده السيد الإمام
جعفر الصادق ، عن والده السيد الإمام محمد الباقر ، عن والده السيد الإمام
زين العابدين ، عن والده السيد الإمام حسين الشهيد ، عن والده الإمام علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ، عن مرجع الكل سيدنا محمد
صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : الطريقة الشطارية إلا أن فيها الاتصال الروحاني بين الشيخ محمد
المغربى ، وأبي يزيد البسطامي ، وبين أبي يزيد البسطامي ، وجعفر الصادق ، لأن

كلا منهما لم يدرك الآخر ، وإنما تلقن من روحانيته ، كما في (الجواهر والسمط
الحديد وقطب الإرشاد) وغيرها وساقها محمد بن عبد الرحمن الفاسي في (المنح
البادية) مساق الطرق المتصلة من غير تنصيص على الأخذ الروحاني بين المغربي
وأبي يزيد البسطامي ، ولا بين أبي يزيد وجعفر الصادق ، فوهم . وأوهم .

الطريق الرابع عن كميل بن زياد عنه ، ومن جهته تتصل الطريقة الكبرى
المنسوبة إلى نجم الدين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الخوارزمي المعروف
بالكبرى^(١) ، فإنه أخذ عن أبي إياس عمار بن ياسر بن محمد بن عماد بن مظهر ،
عن جمال الدين أبي المظفر عبد الصمد الزنجاني ، عن أبي الفتوح أحمد بن محمد
الغزالي ، عن أبي بكر النساج ، عن أبي القاسم الكركاني .

(ح) وأخذ نجم الدين الكبرى أيضا عن أبي الحسن إسماعيل بن الحسن بن
عبد الله القهصري ، عن محمد بن مالكي ، عن داود بن محمد المعروف بخادم
الفقراء ، عن أبي العباس بن إدريس ، عن أبي القاسم بن رمضان ، عن أبي
يعقوب الطبري ، عن أبي عبد الله عثمان المكي ، عن أبي يعقوب النهرجوري ،
عن أبي يعقوب السوس ، عن عبد الواحد بن زيد ، عن كميل بن زياد ، عن
علي عليه السلام .

وتتصل من جهته أيضا الطريقة الجشتية ، فإن شيخها قطب الدين مودود
ابن يوسف الجشتي ، أخذ عن والده يوسف بن محمد بن سمان . عن والده
محمد عن والده سمان عن خاله محمد بن أبي أحمد أبدال الجشتي عن والده أبي أحمد
ابن فرشناقم ، عن أبيه . عن أبي إسحاق الشامي . عن ممشاد الدينوري .
عن هبيرة البصري . عن حذيفة المرعشي . عن إبراهيم بن أدهم . عن الفضيل
ابن عياض . عن عبد الواحد بن زيد . عن كميل بن زياد . عن علي عليه السلام .

(١) بضم الكاف ثم باء مفتوحة بعدها راء مفتوحة أيضا .

فصل

وقول ابن خلدون : إن الصوفية جعلوا لبس الخرقة أصلا لطريقهم ، كذب منه وافتراء ، فليس هو عندهم شرطا للدخول فيها ، فضلا عن أن يكون أصلا لها ، وإنما جعله بعضهم علامة على الانتساب إلى الطريق ، وعتبة على الدخول فيها ، وأكثرهم أو كثير منهم كالشاذلية والنقشبندية لا خرقة في طريقهم أصلا ، كما بيناه سابقا ، فقول ابن خلدون كذب منه على الصوفية أو جهل بطريقهم التي لا يختلف اثنان من أهل العلم والأنصاف في أن أصلها العمل بالعلم على وجه الإخلاص ، والأخذ بالعزائم ، دون الرخص ، وقد ذكر الناس للتصوف حدوداً بلغت الألفين ليس في شيء منها . أن التصوف لبس الخرقة ، بل هي كلها راجعة كما قال الشيخ زروق إلى صدق التوجه إلى الله تعالى ، واختلاف تلك الحدود . إنما هي وجوه فيه ، وصدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق ، بما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرط ، ولا يرض لعباده الكفر . فلزم تحقيق الإيمان (وإن تشكروا يرضه لكم) فلزم العمل بالإسلام ، فلا تصوف إلا بفقته ، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه ، ولا فقه إلا بتصوف ، إذ لا عمل إلا بصدق توجه ، ولا هما إلا بإيمان ، إذ لا يصح واحد منهما بدونه . فلزم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد ، إذ لا وجود لها إلا فيها كما لا كمال له إلا بها ، ومنه قول الإمام مالك رضى الله عنه : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، فتزندق الأول ، لأنه قائل بالجبر الموجب لنفي الحكمة والأحكام ، وتفسق الثانى لخلوه عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله تعالى ، وعن الإخلاص المشروط في الأعمال ، وتحقيق الثالث لقيامه في الحقيقة في عين تمسكه بالحق ه . فأصل التصوف هو الإيمان والإسلام ، والعمل بمقتضاها ، بل هو روحهما اللازم لهما ملازمة الروح للجسد ، بحيث يكون وجودهما بعده كوجود جسد بلا روح ، ولذلك حكم الإمام رضى الله عنه

على الفقيه الذى لم يتصوف بالفسق ، لأن أعماله كلها مبنية على غير إخلاص ،
 وجارية على مقتضى هواه وطبيعته ، لا على هدى الشريعة وما جاءت به ، وقد
 قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به)
 وما جاء به هو ما عليه الصوفية رضى الله عنهم ، بدليل أنه يصدر على يديهم من
 الكرامات مثل ما كان يجرى على يد الأنبياء من المعجزات . وما ذلك إلا لكمال
 المتابعة وتماثل التمسك بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، ووراثته عمله كما قال
 صلى الله عليه وآله وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) فهم الوارثون وحدهم ، لظهور
 ما كان عند المورث صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأخلاق والأعمال عندهم ،
 لا عند الفقهاء ، وعلماء الظاهر الذين يظنون أنهم العلماء الوارثون جهلا منهم ،
 واغترارا وادعاء وافتراء ، فإن من ترك ذهبها وفضة وياقوتها وجوهرها ظهرت عند بعض
 أصحابه ، ثم ظهر عند البعض الآخر حديد ونحاس وقصدير ورصاص ، وادعى
 الكل أنه الذى ورث ما كان عند صاحبه ، فإن الأول صادق يشهد له العيان
 ويصدق ما بيده من الذهب والجوهر ، والثانى كاذب فى دعواه ، لأنه ليس بيده
 شيء مما كان عند صاحبه ، فالصوفية رضى الله عنها يشهد لوراثتهم وجود التركة
 عندهم ، وهى العمل والتقوى والخشية والزهد والورع والكرم والحلم والصبر
 والاحتمال وملازمة الذكر والمراقبة وغير ذلك من المقامات التى هى سيرة النبى
 صلى الله عليه وسلم ، وأخلاقه المعروفة فى كتب الحديث ، والمروية بنقل الكافة
 عن الكافة ، لا بنقل الصوفية وحدهم فإن ادعى الفقهاء وعلماء الظاهر أنهم
 متمسكون بذلك أيضاً كما هو الواقع ، كدسهم فراغ اليد من النتيجة فإن الصوفية
 رضى الله عنهم تظهر على يديهم نتيجة متابعة النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك
 الأعمال والأخلاق ، وهى العلم اللدنى الذى تنفجر ينابيعه من صدورهم ، دون تعلم
 ولا مدرسة ، كما قال تعالى (واتقوا الله وعباهم الله) وهم القوم الذين يعلمهم الله
 لا غيرهم ، فدل على أنهم المتقون لا غيرهم ، إذ لو كانوا متبعين مثلهم لعلمهم الله

تعالى . كما علمهم . وأيضاً لو اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم لأحبهم الله (فاتبعوني يحببكم الله) ولو أحبهم الله ، لكان سمعهم وبصرهم كما في الحديث الصحيح ، ومن كان الله سمعه وبصره وبده ورجله سمع البعيد ، ونظر إلى المغيب ، وجرى على بده ما يعجز عنه البشر ، ومشى برجله إلى ما لم يصل إليه غيره ، وصار العالم كله عنده بمنزلة نقطة واحدة ، وهذا إنما يصدر على يد الصوفية رضى الله عنهم . فدل على أنهم المحبوبون الفائزون بكامل المتابعة ، وأن الفقهاء وعلماء الظاهر لاحظ لهم في كل المتابعة ، وإنما لهم منها الصور الظاهرة . والله تعالى لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى القلوب والبواطن ، وبهذا تحقق صدق ما قاله الإمام مالك رضى الله عنه . وأن كل من لم يتصوف من الفقهاء ، فهو فاسق ، والفاقد لا تقبل شهادته لسقوط مروءته وانحرام ديانتته ، هذا فيمن يكون متظاهراً بالصالح ، والميل إلى الخير والدين ، فكيف بالفجار من العلماء الذين لا رغبة لهم إلا في الدنيا ، ولا نظر لهم إلا في الأسباب ، والطرق الموصلة إليها ، ولا شغل لهم إلا بها ، نسأل الله السلامة والعافية ، وابن خلدون كان من رؤوس هذه الفرقة مع الفسق الظاهر ، والميل إلى الأحداث وخدمة الملوك والأمراء ، وبغض أهل البيت الأطهار ، وعداوة أهل الله ، فلا جرم ينطق فيهم بمثل ما نقلناه عنه ، فإن من سخط الله عليه وسقط من عينه ، ابتلاه بالوقعة في الصوفية الذين هم صفوة الله من خلقه ، وألقى في قلبه عداوتهم حتى يبارزه بالحاربة ، ويلقى الله تعالى على ذلك نعوذ بالله من الخذلان .

فصل

ولو كان لبس الخرقه أصل طريق الصوفية كما يقول ابن خلدون ، لكان جل الرواة وأهل الحديث صوفية فقد لبس الخرقه أمم لا يحصيها إلا خالقها ولا يحيط بها إلا ربها ، من القرن السادس إلى وقتنا هذا ، بل لبسها حتى أشد الناس عداوة للصوفية ، وأكثرهم إنكاراً عليهم ، وطعننا في طريقهم ، كما يعلم من كتب الرجال وتواريخهم ، ورواة السنن والمسانيد ومعاجم التأخرين واثباتهم ، وفهارسهم ومسائلاتهم ،

وقد لبسها الحافظ ابن حجر من يد جماعة كافي (معجمه) وألبسها أيضاً لجماعة ، مع طعنه فيها ، وجزمه بانقطاع سندها . وكونه من أبعد الناس عن التصوف والصوفية وكذلك تلميذه الحافظ السخاوى ، بل ولبسها من هو أشد الناس عداوة للصوفية منهما كالذهبي وأمثاله ، فلو كانت هى أصل طريق التصوف والتخلي كما يقول ابن خلدون ، لكان هؤلاء من مشايخ الصوفية ، ويكفى فى بطلان هذا سماعه .

قال الحافظ السخاوى فى (المقاصد الحسنة) قال : شيخنا يعنى الحافظ : إياه ليس فى شىء من طرقها ما يثبت ، ولم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبى صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه ، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك إلى آخر ما سبق عنه . ثم قال : ولم ينفرد شيخنا بهذا ، بل سبقه إليه جماعة حتى من لبسها وألبسها كالدمياطى والذهبي والمهيكارى وأبى حيان والعلائى ومغلطائى والعراقى وابن الملقن والأبناسى والبرهان الحلبى وابن ناصر الدين وتسكلم عليها فى جزء مفردا وكذا أفردها غيره ممن توفى من أصحابنا ، وأوضحت ذلك كله مع طريقها فى جزء مفرد ، بل وفى غيره من تأليفى ، هذا مع إلباسى إياها لجماعة من أعيان الصوفية أمثالا لإلزامهم لى بذلك حتى تجاه الكعبة المشرفة تبركا بذكر الصالحين ، واقتفاء لمن أثبتته من الحفاظ المعتمدين ه .

وقال أيضاً فى كتابه (الجواهر المسكلة فى الأخبار المسلسلة) وكنت بحمد الله ممن لبست الطاقية الصوفية من جماعة كثيرين منهم الإمام الزاهد الصبرمفيد القاهرة الزين رضوان المقرئ ، الحافظ بلباسه لها من الشيخ الرحلة^(١) الصدر محمد بن محمد البكرى ، بلباسه لها من القطب أبى بكر محمد بن أحمد القسطلانى ، بلباسه لها من الإمام الشهاب أبى حفص السهروردى ، بلباسه لها من قطب الأقطاب الحيوى

(١) بضم الراء المشددة وفتح الحاء واللام .

أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح السكيلازي، بلباسه لها من أبي سعد المبارك بن علي
الخرمي، وهو من أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، وهو من أبي الفرج
الطرسوسي، وهو من أبي الفضل عبد الواحد التميمي، وهو من والده عبد العزيز،
وهو من أبي بكر الشبلي، وهو من سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد البغدادي،
وهو من خاله أبي الحسن السري السقطي. وهو من أبي محفوظ معروف الكرخي
وهو فيما يزعمه الصوفية من أبي سليمان داود بن نصير الطائي، وهو كذلك من
أبي محمد حبيب العجمي، وهو فيما هو ممكن من الإمام أبي سعيد الحسن البصري
وهو فيما عند الصوفية من علي بن أبي طالب رضى الله عنه، قال: وإنما أثبت هذا
هنا تبركا بذكر الصالحين، واقتفاء لكثير من أئمة الحديث الماضين هـ.

وقال ابن الصلاح فيما نقله عنه الحافظ السيوطي في (زاد المسير) ولى في
الخرقة إسناد عال جدا، ألبسني الخرقة أبو الحسن النؤيد بن محمد الطوسي، قال
أخذت الخرقة من أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن أبي القاسم التشيرى،
قال: أخذت الخرقة من جدى الإمام أبي القاسم، وهو أخذها من أبي علي الدقاق
وهو أخذها من أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن حمويه النصراباذي، وهو أخذها
من أبي بكر الشبلي، بسنده السابق.

وقال الحافظ شمس الدين بن الجزرى في (أسنى للطالب بمناب على بن
أبي طالب) لبست الخرقة المباركة من يد شيخى وأستاذى الشيخ الصالح المسند المعمر
أبي حفص عمر بن الحسن بن زيد بن أميلة المراغى، ثم الحلبي، ثم المزى، في
يوم الثلاثاء ثامن عشر شوال سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وأخبرنى أنه لبسها
من يد شيخه الإمام العلامة الزاهد العارف العابد الناسك عز الدين خطيب الخطباء
أبي العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم الصالح الزاهد محي الدين إبراهيم بن عمر
ابن الفرج بن أحمد بن شاذان الواسطي الفاروثنى، شيخ القراءات والتفسير والتصوف
في سنة تسعين وستمائة، وللشيخ عز الدين المذكور في خرقة التصوف ثلاث طرق

أحمدية وقادرية وسهروردية . فأما الأحمدية فإنه لبسها من يد والده الشيخ محي الدين إبراهيم المذكور ، وهو لبسها من يد والده الشيخ أبي حفص عمر بن الفرج ، وهو لبسها من يد شيخة ومربيه الشيخ الصالح الإمام العالم سيد مشايخ زمانه سيدي أحمد ابن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة المغربي المعروف بابن الرفاعي ، رحمه الله عليه . وأما القادرية فإنه لبسها من يد شيخه الإمام شيخ العارفين وإمام السالكين شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله المعروف بعموبه ^(١) بن سعد بن الحسين البكري السهروردي ، وهو لبسها من يد الشيخ الإمام العالم السيد الكبير صاحب المواهب والكرامات والمجائب الظاهرات أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست ابن عبد الله بن يحيى الكيلاني ، وأما السهروردية ، فإن الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله عليه لبس من يد شيخه وعمه الشيخ الإمام العارف الكبير ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر ، ثم ذكر سنده السابق إلى الجنيد ، ثم إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الحافظ السيوطي في (زاد المسير) : ذكر سندی بلبس الخرقه وتلقين الذكر ، لبست الخرقه عن الشيخ الإمام العالم الصالح كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي المعروف بابن إمام الكاملية تجاه الكعبة المشرفة في شوال سنة تسع وستين وثمانمائة ، وأجاز لي أن ألبسها من شئت وكتب لي خطه بذلك ، وأخبرني أنه لبسها من الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري ، وهو لبسها من الشيخ زين الدين أبي حفص عمر بن الحسن بن أميالة المراغي ، إلى آخر ما سبق عنه .

وقال الحافظ تقي الدين الفاسي في (ذيل التقييد في روائ السنن والمسانيد) في

(١) بفتح الميم وضم الميم وفتح الياء بعد هاء ساكنة .

ترجمة محمد بن أحمد الرفا : ولبس خرقة التصوف من العز بن جماعة ، وأبى الحزم القلانسي ، والعفيف اليافي ، والصدر الميديمي ، وناصر الدين الفارقي ، والشيخ خليل المالكي ، والشيخ حيدر الفارسي ، وألبسها عنهم .

وقال في ترجمة قطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني وسمع على الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، كتاب (عوارف المعارف) ولبس منه خرقة التصوف ه .

وقال ابن حجر الهيتمي في (فهرسته) : حكى التاج السبكي في طبقاته عن القاضي عز الدين المهكاري بن خطيب الأشمونين في مصنف ذكر فيه سيرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أن الشيخ عز الدين لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي وأخذ عنه ه .

وقال قبل ذلك : ذكر طريق القوم السالمين من الحذور واللوم ، في تلقين الذكر ، ولبس الخرقة جريا على قاعدتهم في ذلك . أخذت ذلك عن جماعة كثيرين من أئمة الطريق الجامعين بين العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحكام والحكم ، والحقائق الموجودات ، المتحركة والساكنة . لكن منهم من غلب عليه الأول . كشيخنا العارف الحقق الشمس بن أبي الحماثل ، ومنهم من غلب عليه الثاني كأشياخنا الثلاثة السابقين ، يعني شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي والحافظ جلال الدين السيوطي ، نعم شيخنا زكريا ممن تربى بتربية القوم ، فتلقن الذكر ، ولبس الخرقة ، واختلى وجاهد نفسه إلى أن أشرقت عليه أنوار القبول ، وخضعت لديه من أكابر العلماء الفحول ، ولقد قال يوماً لشيخه العارف السراج النبتي ، وكان الخضر يجتمع به كثيراً : يا مولاي لعلكم تجمعوني على الخضر فقال حتى أستاذنه ، ثم سأل شيخه هل اجتمعتم بالخضر ؟ وما الذي ذكره لكم في أمري ؟ فقال : استأذنته لك في أنك تجتمع به ، فقال : إلى الآن

ما جاء إبان الاجتماع ، أنه رجل صالح ، قال شيخنا زكريا : أخذت طريق القوم وتلقفت ولبست الخرقة من السادة المنتدبين للإرشاد والإفادة ، وذكر أسمائهم ، لكننا تقتصر على بعضهم إشاراً للاختصار ، وهو العارف السراج النبتي السابق ذكره أيضاً ، قال : أخذت ذلك كله عن الجلال بن أبي الحسن يوسف بن الصفي ، عن التاج محمد العجمي ، عن قطب الوقت سيدى يوسف العجمي الكوراني ، (صاحب الزاوية المشهورة بقراة مصر) وقبره مشهور بها مجرب لإجابة الدعاء عنده ، بل قيل إنه يربي وهو في قبره ، ولقد رأينا من انقطع بتلك الزاوية سنين عديدة ، فلاحت عليه لوائح أهل الطريق ، وكثرت أتباعه ، وسيدى يوسف أخذ عن النجم محمود الأصفهاني ، عن المظفرى ، عن النجيب على بن برغوش الشيرازي ، عن شيخ الإسلام عمر السهروردي ، بإسناده .

قال : ومن طرق شيخنا زكريا في ذلك : أنه أخذ ذلك عن أحمد الدمياطي الشهير بالزلباني ، وهو عن الزين أبي بكر الخوافي ، وهو عن الزين الشبرشتي القاهري ، عن سيدى يوسف العجمي ، إلى آخر السند المذكور هـ .

وقال القسطلاني في المواهب اللدنية بعد نقل كلام شيخه السخاوي في الخرقة ما نصه : نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد ، وهو صاحب على بن أبي طالب من غير خلف في صحبته له بين أئمة الجرح والتعديل ، وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرني ، وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب ، وهذه صحبة لا مطعن فيها ، وكثير من السادات يكفى بـ مجرد الصحبة كالأشاذلية وشيخنا أبي إسحاق المتبولي ، وكان يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر وأخذ اليهود واللبس ، وله في ذلك رسالة (ريحانة الفلوب) قرأتها على ولد ولده العارف بالله تعالى المسلك سيدى على مع إلباسه لى الخرقة والتلقين والعهد ، ولشيوخ قطب الدين القسطلاني (ارتقاء الرتبة في اللباس والصحبة) هـ .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني في (صلة الخلف بموصول

السلف) سلسلة لبس الخرقة الصوفية طرقها كثيرة متشعبة . أفردتها بالتصنيف ابن أبي الفتوح الطالوسي الصوفي ، وسماه (جمع الفرق لرفع الخرق) اقتصر منها على الخرقة المدينية : نسبة إلى أبي مدين الغوث ، فأقول : لبست الخرقة الصوفية المدينية من يد شيخنا أبي عثمان الجزائري ، قدس الله روحه ، وأكبر ظني أن الذي قاله لي عند ذلك خالدة تالدة ، لا تباع ولا توهب ، وهو لبسها من يد شيخه أبي عثمان المقرئ ، وهو لبسها من يد أبي العباس أحمد بن حجي^(١) الوهراني ، وهو لبسها من يد شيخ الطريقة التنازية أبي سالم سيدي إبراهيم التازي ، وهو لبسها من يد أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني ، بالمسجد النبوي ومن يد سيدي صالح بن محمد بن موسى الزواوي .

أما المراغي فلبسها من يد أبي المعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، وهو من يد الشيخ الضجاعي ، من يد برهان الدين العلوي ، عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن الجماس ، عن أبي الفضل القاسم بن سعد بن محمد العذري ، عن الحافظ أبي عبد الله يوسف الخلاسي ، عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مسدي الأزدي عن أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن سيديونه الخراعي .

وأما الزواوي فلبسها من يد المعمر محمد بن نخلص الطيبي ، من الشيخ مقلطاي بن قليج ، من أبي عبد الله العريان ، من والده الشيخ جماعة الطويل الماصري ، من الشريف أبي محمد التاجوري ، من القطب أبي محمد صالح ، وهو والخراعي من يد الغوث الفرد الجامع أبي مدين شعيب بن الحسن الفطناني ، إلى آخر سنده السابق . وقد لبسها من يد الروداني جماعة منهم عبد الله بن سالم البصري كما في ثبته .

وقال أبو سالم العياشي في (مسالك الهداية إلى معالم الرواية) البسني سيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي كما لبس هو من العالم الحجة أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري بسنده السابق عند الروداني .

(١) بفتح الحاء وكسر الجيم المشددة .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفاسي (في المنح البادية) في الخاتمة التي عققدها لذكر الخرقه وتلقين الذكر ، أما القادرية فقد ألبسنيها السيدان الشريفان أبو العز السلاوي ، وأبو الجلال الجزأري ، وهما عن أبي عثمان سعيد ابن إبراهيم قدورة ، وهو من سيدي سعيد بن أحمد المغربي ، وهو من سيدي أحمد حجي الوهراني ، وهو من الولي الشهير سيدي إبراهيم التازي ، دفن وهران المتوفى سنة ست وستين وثمانمائة وهو من العارف سيدي صالح بن محمد ابن موسى الزواوي ، وهو من أحمد بن محمد بن مخلص الطيبي ، ومن محمد ابن أيدير ، وهما من مرف الدين العادلي ، وهو من ناصر السنة عبد الله بن شجاع ابن القاسم المعدني ، وهو من أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي ابن سرور اقدس ، وهو من الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ثم ذكر طرقا في نحو ثلاث ورقات .

وقال المقرئ في (أزهار الحكمة في أخبار العامة) وقد ذكر ابن فهد في مؤلف له ، سنده في إرخاء العذبة ، ولبس الخرقه ، وتلقين الذكر . فقال : لقنني الذكر وألبسني العذبة في عمامة لفها بيده المباركة سيدي الشيخ محمد بن عراق ، وقال لي : تلقت الذكر ، وأخذت العذبة من القطب سيدي الشريف زين الملة والدين أبي الحسن علي بن ميمون الفاسي ثم الصالح الحسني المالكي ، وهو أخذ ذلك عن أستاذه صاحب الكرمات سيدي أبي العباس أحمد بن محمد التباسي التونسي المغربي ، وهو أخذ عن شيخه الولي الكبير أبي العباس أحمد بن أبي سعيد مخلوف الشابي الفيراوي الهذلي ، وهو أخذ عن الشيخ عبد الوهاب الهندي وهو أخذ عن مشايخ أجلاء ، مكملين ، هندیين ، وسفديين ، وهم أخذوا عن الشيخ القدوة أبي مدين شعيب التامساني ، فذكر سنده السابق .

قال المقرئ : كتب لي هذا السند من هذا الطريق إلى شيخه عبد الوهاب الهندي سيدي الشنخ الأستاذ الشهير أبو الغيث القشاش التونسي ، رضوان الله عليه ،

وقد ألبسني قلنسوته وجبته ، ولم أر وجهه ، ولكن سمعت كلامه ، لكونه حين قدمت تونس المحروسة ، كان لا يظهر للناس ، وقد كتبت ذلك في غير هذا الموضع ، ومن لبست منه الخرقة سيدى الشيخ أحمد بن أبى القاسم المروى التادلى ، بحضرة مراکش ، سنة عشر وألف ، عن شيخه الخروبي الطرابلسى ، عن شيخه الكبير الشهير سيدى أحمد زروق البرنوسى ، بسنده المعروف .

ولنعد إلى كلام ابن فهد فمقول :

قال ابن فهد بعد أن ذكر السلسلة المتقدمة ، ماصورته : هذه السلسلة جليمة المقدار عظيمة الافتخار ، متضمنة لجماعة من العلماء والصوفية الكبار ، لكن فى كثير من روايتها جهالة ، وغير ذلك مما لا يعرج عليه فى مثل هذه الحالة ، وإنما القصد التبرك بها ، والافتداء بمن أخذها من أعيان الصوفية أرباب الولايات ، والأحوال السنية ، وكلهم متفقون عليها ، لا يختلف اثنان فيها ، ولها طرق كثيرة ، بروايات شهيرة ، مذكور فى بعضها : أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ عن جبريل عليه السلام ، وهو أخذ عن الله تبارك وتعالى ، فقليل لأحد روايتها سيدى الشيخ القطب الربانى عبد القادر الجيلانى ، نفع الله به : ما أخذ عنه ؟ قال : العلم والأدب .

وسئل الحافظ قاضى القضاة بمكة المشرفة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشى الشافعى رحمه الله تعالى ، عن لبس الخرقة المتداولة بين طائفة الصوفية ، وهل لها أصل فى الشرع ؟ أم لا ؟ وهل سندها متصل بالنبى صلى الله عليه وسلم اتصالاً محكوماً به ؟ أم لا ؟ وغير ذلك مما يذكر فى الجواب .

فأجاب : لبس الخرقة أمر مشهور معمول به من زمن السلف إلى اليوم ، ولها أصل فى الشرع ، وهو : أن النبى صلى الله عليه وسلم خلع بردته على كعب ابن زهير لما أنشده قصيدته المشهورة التى أولها (بانت سعاد) كما ذكره أهل السير وغيرهم ، وقد ألبس النبى صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة

كعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، ومن تتبع مثل ذلك وجده كثيراً في رجال ونساء ، ولم يزل أكابر الصوفية والعارفون بالله ، يستعملونها كمعروف والسرى والجفيد وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ، كسيدنا الشيخ قطب الأولياء سيدى عبد القادر الجيلانى ، والإمام أبى النجيب السهروردى ، وقبلهما الإمام أبو حامد الغزالى ، وشيخه أمام الحرمين ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، وهى عمل الناس فى الأقطار ، على اختلاف الأعصار ، بها يتبركون ، ولها يستعملون ، ولهم فيها طرق كثيرة صحيحة متصلة بأرباب الولايات ، والأحوال السنية ، وأعيان الصوفية وكلهم متفقون عليها ، لم يختلف فيها اثنان فيما علمت فمفكرها غبى جامد ، وما للفقهاء الجامدين والكلام فى ذلك ؟ وطريق معروف عن مولانا السيد أبى الحسن الرضى متصلة عن آبائه السادة الأكرمين ، وهى واضحة ، وأما طريق الحسن البصرى عن على رضى الله عنه ، فأهل الحرمين ينكرون سماعه منه ، وروايته عنه ، لعدم اتصاله به ، وإن كان ممكناً . وأما أهل الطريق ، فمتفقون عليها ، ومن زعم أنها بدعة ، فقد أخطأ الطريق ، وهى موجودة فى الصدر الأول ونجوز روايتها بالأسانيد ، ولا مانع من ذلك ، بل ينبغى لمريد الخير أن يرغب فى ذلك ، لتحصل له بركة السادة أولياء الله الصالحين ، ويحصل له الاتصال بهم ، والانتظام فى سلكهم ، نفع الله بهم ، وقد لبسناها ولنا فيها طرق كثيرة ، وكذلك مشايخنا العلماء ومشايخهم ، وعلى ذلك عمل الناس فى ديار مصر ، والشام والعراق ، وخراسان ، والغرب وسائر بلاد الإسلام هـ

وقال : أبو الحسن على بن إبراهيم البوتيجى فى (السمط المجيد للطالب المجيد) ألبسنى شيخنا الشهاب أحمد العجمى ، وهو لبسها من الشيخ أحمد السحيمى ، ولقننى الذكر وألبسنى طاقيته شيخنا شرف الدين الأنصارى ، بحق أخذه عن جده الشيخ الصالح المسند محيى الدين ، بأخذه عن جده لأبيه جمال الدين

بأخذه عن والده شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، قال شيخ الإسلام
 زكريا الأنصارى : أخذت عن غير واحد من السادة ، منهم أوحى الجماعة القائم
 فى النصيحة بين العباد ، بما استطاع ، الشمس أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر
 الواسطى الأصل الغمرى . والشهاب أبو العباس أحمد بن على بن موسى
 الأنصارى . والشمس أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبى بكر القوى . والسراج
 أبو حفص عمر بن على النبتيتى . والشهاب أحمد بن الفقيه على بن محمد بن تميم
 الدمياطى الشهير بالذلبانى . والزين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن إسحاق بن
 محمد التيمى الخليلى الشافعىون . وهم مفترقون بالقاهرة . إلا النبتيتى . فبزوايته
 بقرب خانكة سر يافوس . نفعنا الله ببركاتهم . وتلقنت الذكر . ولبست الخرقة
 جريا على قاعدتهم فى ذلك . ممن عدا الأول . وأذنوا لى فى التلقين والإلباس
 ونحو ذلك . بأخذ الأول عن الشيخ أبى العباس أحمد الزاهد . والثانى والثالث
 عن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر بن محمد الانقاوى . والرابع عن الشيخ
 جمال الدين أبى الحاسن يوسف الصفى . والخامس عن الزين أبى بكر بن محمد
 ابن محمد على الخوافى . وعبد العزيز الغزنوى . والسادس عن الشيخ شهاب الدين
 أبى العباس أحمد بن محمد الفاصح . بأخذ الزاهد عن الشهاب الدمشقى . وهو
 عن عبد الرحمن الشرفى . وهو عن عبد الرحمن الروذبارى . وهو عن على الإلاء
 وهو المجد البغدادى . وهو عن النجم أبى الجناح أحمد بن عمر بن محمد عرف
 بالبكرى . وهو عن عثمان . وبأخذ كل من الخوافى والغزنوى والأنقاوى عن
 الزين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام القرشى الشبريتيشى
 ثم القاهرى . وبأخذ الصفى عن كل من الشيخين التاج أبى عبد الله محمد بن
 أبى الحاسن يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر الكورانى العجمى ،
 بل وبلغنى أن الشيخ يوسف الصفى اجتمع به ، فاعله أخذ عنه ، بأخذه عن النقيه
 حسن الشمشيرى ، والنجم محمود الأصفهانى ، بأخذ أولهما عن ثانيهما ، وكذا عن
 (١٦ — البرهان الجلى)

البدر محمود الطوسي ، وهما عن النور عبد السلام الطنزي ، وهو عن النجيب على بن برغوش الشيرازي بسنده السابق ه .

وقال أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي في (الفوائد الجليلة بتعليق مساللات عقيلة) لبست الطاقية والقميص من يد شيعي الشيخ عبد الخالق بن أبي بكر ، وهو لبس من ابن عقيلة بسنده .

ولبست أيضاً من شيعي السيد وجيه الدين عبد الرحمن العيدروس ، وشيعي السيد سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل الحسيني ، وهما لبسا من يد السيد وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه^(١) الحسيني الترمي ، قال الثاني : إجازة مكانة من بلده إلى زبيد ، وهو لبس من القطب السيد عبد الله بن علوي باحداد ، بسنده .

ولبست من شيعي محمد بن الطيب الفاسي ، وشيعي إسماعيل بن عبد الله النقشبندی ، وهما لبسا من السيد عمر البزار ، وهو لبس من يد السيد باحداد ، بسنده .

: سند آخر : لبس الشيخ محمد عقيلة من السيد على بن عبد الله صاحب سورة إجازة مكانة بسنده .

ولبست من يد السيد الوجيه عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس ، والحسين ابن عبد الرحمن بن محمد العيدروس ، وهو من شيعه على بن عبد الله صاحب سورة ، بسنده .

(١) بفتح الباء وسكون اللام ، وهذه الباء في لفظة حضرموت تفيد معنى : آل فلان .

سند آخر في إلباس الخرقة القادرية : لبست من شيعي عبد الخالق ، وهو لبس من ابن عقيلة وهو لبس من قاسم بن محمد البغدادى ، من شيعه السيد على القادرى ، بسنده .

ولبست من يد السيد عماد الدين محمد ، وهو لبس من يد جده السيد أبى عبد الله محمد ، وهو من يد السيد ياسين الحموى ، من يد والده السيد عبد الرزاق ، من يد والده السيد شرف الدين بسنده .

ولبست من يد السيد على بن موسى بن شمس الدين الحسينى ، وهو لبس من يد الشيخ عبد الغنى الفابلسى ، وهو لبس من يد السيد ياسين بسنده .

ولبست من يد السيد محمد أبى بكر بن عبد الرحيم الحسينى البغدادى ، وهو من يد الشيخ قاسم البغدادى بسنده .

ولى طرق فى إلباس الخرقة القادرية غير ما ذكره ابن عقيلة ، فمن العوالى : أنى لبست من الشيخ الزاهد محمد بن عبد الكريم القادرى المدنى ، من يد شيعه عبد النبى البصرى ، من الشيخ حسين البصرى ، من محمد صادق ، من محمد قاسم ، من عبد الفتاح ، من الشيخ غريب الله ، المعمر أربعائة سنة ، من الشيخ داود الهداد ، من الشيخ القطب عبد القادر الجيلانى ، قدس الله سره .

وبلى ذلك أنى لبست من يد السيد محبى الدين نور الحق الحسينى المكي ، من السيد سعد الدين غلام محمد ، من يد المعمر السيد عبد الشكور الحسينى ، من يد المعمر السيد شاه مسعود الأسفراينى ، ثم ذكر سند آخر مسلسل بالأهدليس .

قلت : وإنما لم أذكر سند الإصل الذى هو مسلسلات عقيلة ، لأنه لم يقع له ذلك بشرطه ، إنما رواه بإجازة ، فإنه قال : أخذت الإجازة والإلباس

بالمراسلة والمكاتبة ، عن السيد الجليل ، والسند المثيل ، العلامة القدوة المحقق السيد عبد الله بن علوى الحداد ، وهو أخذ ولبس من مولانا العارف بالله الكبير السيد محمد بن علوى باعلوى ، نزيل مكة المكرمة ، فذكر سنداً مسلسلاً بالسادات العلويين .

ثم قال : وسند آخر بالمكاتبة أيضاً : ألبست الخرقه من السيد الجليل ، والسند المثيل ، العارف الكبير ، الولي الشهير ، السيد على بن عبد الله العبدروس ، الساكن بفدرسورت من أرض الهند ، وصورة ما كتبه لى ، ثم ذكر نص إجازته .

فصل

فهذا ما يتعلق بالخرقة وسماع الحسن من كلام ابن تيمية ، وابن خلدون . وأما ما يتعلق بالأبدال ، والمهدى المنتظر ، والطنن فى الصوفية من كلام ابن خلدون ، فسنفرد لكل من المسائل الثلاثة كتاباً خاصاً إن شاء الله تعالى ، وقد سبق ردى على ابن خلدون طعنه فى أحاديث المهدي فى كتاب سميته (إبراز الوهم المكنون) وهو مطبوع^(١) ، وسنعود للكتابة فيه مرة أخرى ، إن شاء الله تعالى .

(١) بدمشق بمطبعة الترقى سنة ١٣٤٧ ، وجدير لهم بأن يعاد طبعه لأهمية فائدته وللشوكافى كتاب مطبوع فى الهند ، بين فيه تواتر أحاديث المهدي ونزول عيسى عليه السلام والدجال . أما حديث الأبدال ، فهو ثابت صحيح مخرج فى سنن أبى داود وغيرها من كتب السنة ، واشتهر فى زمن السلف ووصف به كثير منهم ، قل قتادة : لا نشك أن الحسن البصرى من الأبدال . وقيل فى حماد بن سلمة : إنه من الأبدال . لأنه تزوج نحو مائة امرأة فلم يولد له . ومن علامة الإبدال أن لا يولد لهم =

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين ؟

= وقال إبراهيم الخواص في الإمام الشافعي : إنه في الأبدال ، ومن أطلع على كتاب تهذيب التهذيب والميزان ولسانه لوجد أسماء كثيرة نحو كراستين وصفوا بالإبدال وللاحفاظ السخاوى يضعف حديث الأبدال لكنه اعترف مع ذلك باشتهار استعمال هذا اللفظ بين السلف وهم جرا . وهذا كاف في تصحيحه لو أنصف وتأمل ، لأن من المقرر في علمي الحديث والأصول ، أن الحديث الضعيف يصححه تلقى الأمة له بالقبول ، كحديث تلقين الميت ، ولا وصية لوارث ، أخذ بهما الأئمة (رحمهم الله تعالى) مع ضعفهما ، لتلقى الأمة لهما بالقبول ، فكذلك حديث الأبدال ، ثم كيف سها السخاوى عن حديث أم سلمة في سنن أبي داود ، وفيه ذكر الأبدال بإسناد صحيح ؟ وهذا آخر ما رأينا كتابته ، راجين التوفيق من الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين .

